

غنيمة الفريقين

من حكم

الغوث الرفاعي أبي العلمين

للسيد هاشم بن أبي السعود سعد بن سلامة الأحمدي الرفاعي

ت ٦٠٣ هـ

تحقيق

أحمد رمزه بن حمود محا أبي الهدى



غنيمة الفريقين من حِكم الغوث الرّفاعي أبي العلمين
هاشم بن أبي السّعود سعد بن سلامة الأحمديّ الرّفاعي
الطبعة الأولى ٢٠١٨ م



عمّان، الأردن، تلفاكس: 0096264615859

Email: darannor@gmail.com
www.darannor.com
www.facebook.com/darannorpage
@Darannor



غنيمة الفريقين

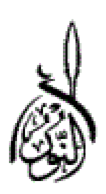
من حكم

الغوث الرفاعي أبي العلمين

هاشم بن أبي السعود سعد بن سلامة الأحمدي الرفاعي ت ٦٠٣هـ

تحقيق

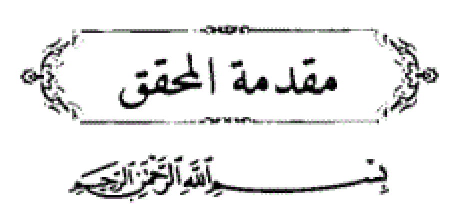
أحمد رمزه بن حمود محا أبي الهدى



2018







مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين المعطي الحكيم الذي ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾[البقرة:٢٦٩]، والصلاة والسلام على أكمل الخلق وأشرفهم وأحكمهم أجمعين تاج هام الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد النبي الأمي الطيب الطاهر الأمين وعلى آله وأصحابه الغر الميامين وتابعيهم ومن نهج نهجهم وحذا حذوهم إلى يوم الدين، آمين.

أما بعد:

هذا كتاب كله حكم وعبر ومواعظ لإمام كبير وعَلَم شهير وذي مقام مكين السيد أحمد الرفاعي الحسيني الحسني الأنصاري، قوله عِلم وعلمه عمل وعمله إخلاص وبسر إخلاصه نفع الله به العوام والخواص؛ وما ذاك إلا لعظيم حبه واتباعه لجده أشرف المرسلين عليه الصلاة والسلام وهو ﷺ قال لابنته السيدة زينب: «يا بنتاه من حُرم معرفة قدر النبي ﷺ فلا سبيل له إلى معرفة الله ولا إلى محبته تعالى، ومن ضلّ عن طريقه وسنّته فكل طريقه ضلال.

يا بنتاه: حدثي عن أبيك أنه يقول: لو بلغنا أن رسول الله ﷺ أمر بقص الأعناق لقصصناها امتثالاً لأمره الشريف»[1].

لذلك لا يُستغرب قول الإمام عز الدين الفاروثي فيه[2]: كان ﷺ آيةً من آياتِ الله يمشي على وجه الأرض، تفجَّرت ينابيعُ الحكمَةِ من قلبه الطَّاهر، وجرت على لسانه كالبحر الزَّاخر.

---

(١) انظر «المعارف المحمدية» صـ٩١ـ.

(٢) «إرشاد المسلمين» صـ١١٦ـ.

وقد خاطب الإمام الرفاعي في مجالسه ومواعظه العامة والخاصة بل وخاصة الخاصة وما حاد فيها عن كتاب الله وسنة جده رسول الله ﷺ، لذا هي بحق درر فريدة وقلائد ثمينة يتحلى بها طلاب الآخرة، ويتضح ذلك جلياً في قوله[1]: «يا أَوْلِياءُ، يا وُعَّاظُ، يا رِجَالَ الدَّوائِرِ، يا أَصْحَابَ الـمَنَابِرِ، يا شُيُوخَ الأَرْوِقَةِ، يا فِتْيَانَ الرُّبُطِ، يا أَهْلَ الزَّيْقِ، يا سُلَّاكَ الطَّرِيْقِ، يا عُلَمَاءُ، يا حُكَمَاءُ، يا أَرْبَابَ النُّقُولِ المَعْقُولَةِ والعُقُوْلِ الـمَقْبُوْلَةِ، أَيْنَ أَنْتُمْ؟! كُلُّ ما أَنْتُمْ فيه تَحْتَ كَلِمَتَيْنِ: وَصْلٌ أو قَطْعٌ؛ فَالوَصْلُ بَاطِنُهُ وظَاهِرُهُ وأُمُّهُ وأَبُوهُ ورُوْحُهُ وجِسْمُهُ التَّأَدُّبُ بِأَدَبِ القُرْآنِ على ما شَرَّعَ حَبِيْبُ الرَّحْمَنِ، وما فَوْقَ ذلك مِنَ الأَقْوَالِ والأَفْعَالِ فَمِنْ هَفْوَةِ نَفْسٍ، أو مِنَ اسْتِرَاقِ سَمْعٍ...».

ثم إنَّ هذا الكتاب ليس فقط لمن انتسب لطريقة هذا الإمام الهمام السيد أحمد الرفاعي الكبير فحسب بل لمن أراد من المسلمين أن يجلو البصر والبصيرة وينير القلب ويُنَمِّي الفكر ويزكي النفس بكلماته وبكلمات أمثاله من الأئمة الربانيين، ولكن ينبغي على من انتسب لهذه الطريقة أن يتعرف على مؤسسها من خلال إجالة الطرف وإعمال الفكر في سيرته وكتبه ومجالسه وأوراده والعمل بأعماله[2] ليهذب نفسه ويزكيها وينهج نهج شيخ الطريقة من خلال شيخه ومرشده الذي وصله بهذه الطريقة المباركة وسلَّكَهُ وهذبه وربَّاه.

وقد أكرمني الله تعالى بخدمة هذا الكتاب المبارك قدر الاستطاعة، بإرشاد وتوجيه من شيخي المربي الفاضل العالم الأزهري الشيخ بديع الشبلي - حفظه الله ورعاه - الذي وصلني بهذا الطريق المبارك، وألبسني الخرقة، وأجازني بالطريقة الرفاعية العلية، وبكلِّ ما تحتويه كما تشرف بها عن شيخه العارف بالله الشيخ ياسين المرعشلي، وهو عن شيخه العارف بالله السيد الشيخ أحمد المراشحي السبسبي الرفاعي، وهو عن العارف بالله

---

(١) انظر الصحيفة رقم ١١٧ في هذا الكتاب.

(٢) نقل الشيخ أحمد بن جلال اللاري الحنفي في «جلاء الصدى» لوحة ٢٠/خ عن الإمام أحمد الرفاعي الكبير ما نصه: من لم ينتفع بأفعالي كيف ينتفع بأقوالي؟!.

الشيخ خالد السمسميه، وهو عن العارف بالله الشيخ مصطفى بن محمود جوخدار، وهو عن العلامة الكبير والشيخ الشهير السيد محمد أبي الهدى الصيادي، وأسانيده ﷺ مشهورة معلومة عند أهل هذه الطريقة الرفاعية العلية.

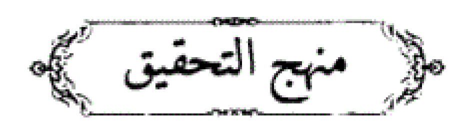
والله سبحانه وتعالى أرجو وبنبيه ﷺ أتوسل أن يعفو عني وعن والِدَي، ويجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني الله به والمسلمين ويطهر القلوب ويغفر الذنوب ويستر العيوب ويحسن الختام، آمين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه الراجي عفو ربه العبد الفقير

أحمد رمزه بن حمود جحا أبو الهدى







منهج التحقيق

- مقدمة المحقق.
- مؤلفات الإمام أحمد الرفاعي الكبير ﷺ.
- ترجمة الإمام جامع الكتاب، ولم أترجم الإمام أحمد الرفاعي الكبير قدس الله سره اكتفاء بترجمة جامع الكتاب.
- تخريج الآيات القرآنية الكريمة، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.
- مقابلة وتوثيق وإثبات ما ورد في طيات هذا الكتاب المبارك من كل كتب السادة الرفاعية التي بين يدي.
- تراجم العلماء الواردة أسمائهم في الكتاب.
- وضع عناوين للكتاب ضمن معقوفين [ ]، وكذلك كل ما زيد من عمل المحقق.
- شرح بعض الكلمات الغريبة، ووضع بعض التعليقات اللطيفة.
- أصل كتاب غنيمة الفريقين.
- فهرست الكتاب: فهرس الآيات القرآنية عدا الآيات التي في حزب السيف القاطع، فهرس الأحاديث الشَّريفة، وفهرس الأعلام، وفهرس الأشعار، وفهرس المصادر والمراجع المطبوعة، وفهرس المصادر والمراجع المخطوطة، وفهرس الموضوعات.





مؤلفات الإمام أحمد الرفاعي الكبير ﷺ

- «**البرهان المؤيد**» الذي جمعه من مجالس وعظه ودوّنه شيخ الإسلام شرف الدين ابن الشيخ عبد السميع الهاشمي العباسي الواسطي نفعنا الله بهم أجمعين، وهو مطبوع طبعات كثيرة.
- «**المجالس الأحمدية**» قد يكون الكتاب الذي جمعه تلميذ الإمام الرفاعي الشيخ عبد العظيم ابن الشيخ أحمد بن خميس، قال ابن جلال في «جلاء الصدى» لوحة ١٩٤/خ ما نصه: «...وكان الشيخ عبد العظيم يبسط ذيله حتى يفرغ السيد أحمد الرفاعي ﷺ من المجلس، فيقول لهم كُلَّ ما تكلَّمَهُ، وقد جمع من ذلك كتاباً وأورد فيه كلَّ مجلسٍ بعينه».
- «**غنيمة الفريقين من حكم الغوث الرفاعي أبي العلمين**» وهو الكتاب الذي بين أيديكم جمع الشيخ هاشم الأحمدي الرفاعي تـ(٦٣٠)هـ.
- «**الحكم**» مطبوع، وشرح الحكم السيد محمد أبو الهدى الصيادي في «قلائد الزبرجد» وهو أيضاً مطبوع.
- «**حالة أهل الحقيقة مع الله**» جمعه الفقيه الجليل أبو شجاع بن منجح الشافعي الواسطي، وهو مطبوع.
- «**النظام الخاص لأهل الاختصاص**» مطبوع.
- «**الصراط المستقيم في معاني بسم الله الرحمن الرحيم**».
- «**تفسير سورة القدر**».
- «**الرواية في حديث النبي ﷺ**».
- «**الطريق إلى الله**».
- «**البهجة**».

- «**شرح التنبيه في الفقه الشافعي لأبي إسحاق الشيرازي**» مفقود، وذكر السيد سراج الدين المخزومي في «صحاح الأخبار» صـ٩١ـ، أنه كتاب جليل يحوي ست مجلدات، وهو من أندر الكتب، وأنه ضاع يوم دخل التتار بغداد.

قال الإمام أحمد عز الدين الفاروثي في «إرشاد المسلمين» صـ١٥٤ـ:وله ﷺ كتبٌ كثيرةٌ، وأحزابٌ شهيرةٌ، وقد بلغَتْ أَحْزَابُهُ إلى اثنينِ وسِتِّينَ وستِّمائَةٍ؛ وهي متداولَةٌ بِأَيدِي الأَحمَدِيِّينَ وغَيْرِهِم.





ترجمة جامع الكتاب

اسمه ونسبه:

هو السيد هاشم الأحمدي العبدلي المدني، ابن سعد بن سلامة بن أحمد بن الإمام عبد الله الأشبيلي المدني ابن الشريف الأعظم السيد حازم الرفاعي الأشبيلي الجد الجامع لأنساب بني رفاعة المدنيين والعراقيين[1] ابن أحمد بن علي بن رفاعة الحسن المكي نزيل إشبيلية المغرب ابن المهدي بن أبي القاسم محمد بن الحسن بن الحسين القطيعي بن أحمد الأكبر بن موسى الثاني بن الأمير إبراهيم المرتضى ابن الإمام موسى الكاظم الحسيني ابن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين الإمام الحسين الشهيد سبط النبي ﷺ.

سبب اشتهاره بالأحمدي:

قال حفيدُ السَّيِّدِ هاشِمٍ الأحمديِّ السَّيِّدُ أسعدُ المدنيُّ مفتي الحنفية في المدينة المنورة (١٠٥٠-١١١٦)هـ في «مسلسله» صـ٦ـ نقلاً عن النسابة الأصيلي في «مشجره»، والنسابة ابن الأعرج في «بحر الأنساب» ما نصه: القطب الكبير هاشم الأحمدي العبدلي المدني الذي رأى يد النبي ﷺ يوم مدت للسيد أحمد الرفاعي عام حجه ولبس منه الخرقة؛ ولذلك كان ينتسب إليه، فيقال: الأحمدي.

---

(١) قال العلامة أسعد المدني في مسلسله صـ٢٣ـ: الحازميون ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

الثابتيون: وهو آل ثابت بن حزام ومنهم السيد الكبير أحمد الرفاعي رضي الله عنه.

والعسليون: وهو آل محمد عسلة: ومنهم القطب السيد سيف الدين عثمان، وولداه الإمامان الجليلان السيد علي والسيد عبد الرحيم وكلاهما صهر الإمام الرفاعي وخليفته...

والعبدليون: وهم آل عبد الله المدني؛ فـمحمد عسلة وثابت ماتا بإشبيلية ودفنا بمقابر أهلهم وتعرف بمقابر قريش، وأما السيد عبد الله فإنه هاجر إلى مدينة جده ﷺ سنة خمس وأربعمائة.

ولادته ونشأته:

ولد بالمدينة المنورة عام (٥٣٣)هـ ونشأ بها وقرأ العلم على علماء أهلها، وكان إماماً هماماً أسداً ضرغاماً عالماً عاملاً واصلاً كاملاً، لبس الخرقة الرفاعية من يد ابن عمه الغوث الأكبر أحمد الكبير الرفاعي ﷺ، وفي ختام هذا الكتاب المبارك قال السيد هاشم الأحمدي: إني قد تبركت وتشرفت وجمع الله علي شتاتي فأتحفت بالخرقة المباركة الأحمدية الرفاعية من شيخي وسيدي وابن عمي نائب النبي ﷺ في الأمة المحمدية مجدد شريعته المصطفوية السيد أحمد الكبير الرفاعي ﷺ في سنة خمس وخمسين وخمسمائة في حرم جده سيد المرسلين عليه صلوات رب العالمين ثالث يوم من اليوم الذي مدت له فيه يد المصطفى عليه الصلاة والسلام من قبره بين الألوف على رؤوس الأشهاد وشهد له بذلك الحاضر والباد وذلك في اليوم السابع عشر من شهر محرم الحرام من السنة المذكورة.

تزوج علوية بنت عيسى شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا أمير المدينة، وأعقب منها صدر الدين علياً وراجحاً، وله شعر بديع منه قوله:

كَشَفْنَا غطاءَ المجدِ بالجِدِّ والتُّقَى ... وقُمْنَا على إِثْرِ الجُـدُوْدِ الأَوَائِـلِ
سَحَبْنَا مُرُوْطاً مِنْ نَسِيْجِ رِفَاعَةٍ ... لها سُـدْوَةٌ من بَاهِرَاتِ الفَضَائِلِ
أَبونَـا عَـلِيُّ المُرْتَضَـى وجُـدُوْدُنَـا ... شُمُوْسُ المَعَالِي كَامِلاً بَعْدَ كَامِلِ
فَمِنَّا إلى السِّبْطَيْنِ حَبْلَانِ عَنْهُما ... رَوَيْنَا أَحَادِيْثَ العُلَا بِالسَّلَاسِلِ
ومِنَّـا حُسَـيْنٌ وابْـنُـهُ وحَـفِـيْـدُهُ ... وجَعْفَرُ شَيْخُ الآلِ زَاكِي الشَّمَائِلِ
ومِنَّا الإِمَـامُ الكَاظِمُ السَّنَدُ الَّذِي ... لَـهُ اللهُ أَعْطَى طَيِّبَاتِ الخَصَائِلِ
ومِنَّا الأَمِيْرُ المُرْتَضَـى فَارِسُ الوَغَى ... إِمَامُ الهُدَى تَاجُ الرِّجَالِ الأَفَاضِلِ
ومِنَّا عَـرِيْـقُ الـسُّـدْوَتَـيْنِ رِفَـاعَـةٌ ... وحَـازِمُ مَمْـدُوْحُ الهُـدَاةِ الأَمَـاثِـلِ
ومِـنَّـا لِـعَـبْـدِ الله سَـاكِـنِ طَيْبَةٍ ... أُصُـولٌ نَمَتْنَا رَائِـقَـاتُ المَنَاهِلِ
ومِنَّا أَبُـو العَبَّاسِ أَحْمَـدُ مَـنْ لَهُ ... جَلَا المُصْطَفَى كَفّاً زَكِـيَّ الأَنَامِلِ

وَمِنَّا مُهَنَّا والحُسَيْنُ وهَاشِمٌ مُلُوْكُ الحِمَى سَادَاتُ زُهْرِ القَبَائِلِ
إذا قَامَ يَوْمَاً لِلْفَخَارِ خَطِيْبُنا لَدَى النَّاسِ لم يَتْرُكْ مَقَامَاً لِقَائِلِ

أيضاً قوله:

يا كِرَامَ الحِمَى حُسِبْنا عَلَيْكُم نَحْنُ يا عِتْرَةَ الرَّسُوْلِ ضِعَافُ
أَدْرِكُوْنَا فَالخَوْفُ طَمَّ عَلَيْنَا والَّذِي أَمَّ بَابَكُم لا يَخَافُ

وله أيضاً:

خُذُوا بِيَدِي يا أَهْلَ أُمِّ عَبِيْدَةٍ فَإِنَّ انعِطَافَاتِ القُلُوبِ لها سِرُّ
ولا تَهْجُرُوا عَبْدَاً قَطِيْعاً بِبَابِكُمْ فما شَأْنُكُمْ يا سَادَةَ العَرَبِ الهَجْرُ

وفاته:

توفي السيد هاشم الأحدي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا والمسلمين به في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام سنة (٦٣٠)هـ عن سبع وتسعين سنة، ودفن بالبقيع عند أبيه[1].

---

(١) انظر ترجمته في «عقود اللآل» لوحة ٣٢٤، ومسلسل أسعد المدني صحيفة رقم ١٠، و٢٣-٢٤، و«الروضة الندية في تراجم سلسلة السلالة الطاهرة الأسعدية» صـ٩ـ.



أصل كتاب غنيمة الفريقين

مخطوطة بخط نسخي مقروء (٣٨) لوحة، في كل لوحة (٢١) سطراً، من المكتبة البريطانية قسم المجموعات الشرقية والمكتبة الهندية رقم or ٨٩٧١.

حصلت على نسخة مصورة (مكيرفلم) من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض، ولا يسعني إلا أن أشكر الأخ الفاضل أبا سعيد الحاوي الذي أحضر لي هذه النسخة المصورة جزاه الله تعالى خير الجزاء.

هذه لوحة الغلاف

هذا كتاب غنيمة [illegible] من حكم الغوث [illegible]

[illegible] رضي [illegible] الله عنه

جمعه خليفته بالذات المتصف بأتم الصفات

العاليات ولد حفيده العارف بالله القطب

الجليل السيد هاشم [illegible]

الرفاعي الحسيني قدس سره

ونفعنا والمسلمين

بعلومه آمين

[illegible] سيدنا الغوث [illegible] رضي الله عنه [illegible]

[illegible]

خذوا جهدي يا أهل أم عبيدة ○ فإن انعطافات القلوب لها سر

ولا تهجروا عهداً قطعنا ببابكم ○ فأنتم يا سادة العرب [illegible]

هذه اللوحة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة الجامعة الكاملة على عبده ورسوله سر الوجود [illegible] روح
العالمين سيدنا محمد المصطفى، وسلام على عباده الذين اصطفى ([illegible])
هذا كتاب جمعته وسميته (غنيمة [illegible]) [illegible]
رضي الله عنه [illegible] وهو شيخ الإسلام والمسلمين، ناصر أحكام السنة والدين، سيد
الأقطاب العارفين، سلطان الأولياء المحمديين، المشرف جهاراً بتقبيل يد سيد المرسلين،
الغني عن الألقاب، وكنز الأحباب، سيدنا ومولانا السيد أحمد محي الدين أبو العباس
الرفاعي الحسيني الحسني الكبير رضي الله عنه وعنا به ونفعنا والمسلمين بعلومه
ونسبه الشريف الشائع المتواتر المستفيض هو أحمد بن علي بن الحسن بن يحيى بن
ثابت بن حازم بن أحمد بن علي بن أبي المكارم رفاعة الحسن المكي بن المهدي
ابن محمد أبي القاسم بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن موسى بن إبراهيم المرتضى ابن
الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام
زين العابدين علي ابن الإمام الحسين السبط الشهيد ابن أمير المؤمنين علي كرم الله
وجهه ورزقه من زوجه البتول الطاهرة سيدتنا فاطمة الزهراء النبوية
بنت سيد الموجودين وخاتم النبيين وحجة الله على خلقه أجمعين أبي الطيب
والطاهر والقاسم سيدنا محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلى الله عليه وسلم
وعليهم أجمعين، وينتهي له نسب من طريق الأمومة لسيدنا الإمام الحسن السبط
ولسيدنا الإمام الحسين السبط الشهيد أيضاً ولسيدنا ومولانا أمير المؤمنين أبي بكر الصديق

ومن

ومن طريق أمه بالأمات لسيدنا خالد ابن زيد أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهم
أجمعين، ولد سنة اثني عشر وخمسمائة ونشأ في بيت خاله قطب الوجود الباز
الأشهب سيدي الشيخ منصور البطائحي الرباني وخلفه في مشيخة الشيوخ وهو ابن
ثمان وعشرين سنة، وحج سنة خمس وخمسين وخمسمائة فوقف أمام قبر النبي صلى
الله عليه وسلم وأنشد

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد له رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الشريفة من قبره فقبلها والألوف
من المسلمين في الحرم النبوي ينظرون ورجع إلى العراق وقد ملأ صيته الآفاق
ونطق بالحكمة وجدد أمر الدين بلا فتنة وتفرد بكل مرتبة عالية ومنقبة سامية
وسيأتي كلامه ومنها يعرف فضله إن فقهت مقامه وتوفي سنة ثمان وسبعين
وخمسمائة وهو في رواقه بأم عبيدة ولم تقم دولة لولي في المسلمين بعد
الصحابة والأئمة الأولى الاثني عشر كما قامت له ولم يخلفه زمانه ولم يكن في عصره مثله
سلام الله عليه ورضوانه

الحمد لله الذي فجر ينابيع الحكم من قلوب الأولياء
فجرت على ألسنتهم وتحققوا بحكمها فأفيض لهم منه نور أوضح لهم محجة العلم اليقين
[illegible] الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والصلاة والسلام على قاموس برهان
الحقيقة وناموس [illegible] المعرفة والطريقة أشرف أصحاب القلوب الطاهرة [illegible]
وأعظم ملوك حضرات الغيوب الذي [illegible] روح العوالم آدم البروز في نشأة خلقه
[illegible] آدم سيدنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه وحبيبه وسلطان حضرات قربه
ومظهر برهان أمره في ملكه وملكوته وعلى آله وأصحابه الهداة المرضيين وورثته

هذه اللوحة رقم ٣٧

هذه اللوحة الأخيرة رقم ٣٨

وعلى اخوانه النبيين والمرسلين افضل صلوات [illegible] تسليمات الله وهو عليه
الصلاة والسلام قال لي ادبني ربي فأحسن تأديبي . وقد كان شيخنا وسيدنا امام العارفين
سلطان الأولياء والصالحين السيد احمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه يجمع اصحابه
عند الحاجة لدفع المهمات متحلقين [illegible] وهم معه جهارا يقرؤن فاتحة الكتاب
مرة وآية الكرسي مرة وسورة القدر مرة وسورة النصر مرة وسورة الاخلاص
والمعوذتين والفاتحة [illegible] ويقول سلام قولا من رب رحيم [illegible]
ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا [illegible] بسم الله
الذي لا يضر مع اسمه شئ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم [illegible]
لا إله إلا الله [illegible] الله [illegible] الصلاة والسلام عليك
يا سيدي يا رسول الله يا احمد انت حبيبي وانت وسيلتي فأدركني [illegible]
ويختم بالفاتحة على النية يحصل المراد بإذن الله تعالى وكان من دأب اصحابه
بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان يقولوا يا عباد الله اعينونا [illegible] يا حبيب
رسول الثقلين يا ابا العلمين يا سيدي احمد الرفاعي المدد . ويقرؤن الفاتحة
[illegible]
المقدام رضي الله عنه ونفعنا به في [illegible] بسلام
مع جده سيد الوجودات سيدنا محمد عليه
من ربه افضل الصلاة واكمل السلام
والحمد لله رب العالمين



[افتتاحية الكتاب]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله وكفى، والصَّلاةُ الجامعةُ الكاملةُ على عبدِهِ ورسولِهِ سرِّ الوجوداتِ، روحِ الكائناتِ، سيِّدنا محمَّدٍ المصطفى، وسلامٌ على عبادِهِ الذِّينَ اصطفَى.

أمَّا بعد:

هـذا كتـابٌ جَمَعتُـهُ وسمَّيْتُـهُ: «**غَنِيمَـةُ الفَرِيقَيْنِ مِـنْ حِكَمِ الغَـوثِ الرِّفاعيِّ أبي العَلَمَينِ** ﷺ».

[ترجمة الإمام الرفاعي ﷺ]

ألَا وهو شيخُ الإسلامِ والمسلمينَ، ناصرُ أحكامِ السُّنَّةِ والدِّينِ، سيِّدُ الأقطابِ العارفينَ، سلطانُ الأولياءِ الـمُحمَّديِّينَ، الـمُشَرَّفُ جِهَاراً بتقبيلِ يَدِ سيِّدِ المرسلينَ، الغنيُّ عن الإطنابِ وكَثْرَةِ الألقابِ، سيِّدُنا ومولانا السَّيِّدُ أحمدُ محيي الدِّين أبو العبَّاسِ الرِّفاعيُّ الحُسينيُّ الحَسنيُّ الكبيرُ ﷺ وعنَّا به، ونفعنا والمسلمين بعلومه-.

ونسبُهُ الشريفُ الشَّائِعُ المتواتِرُ المستفيضُ: أنَّهُ أحمدُ بنُ عليٍّ أبي الحَسَنِ[1]،

---

(١) هـو سلطان العارفين السَّيِّد عليٌّ أبو الحسن (٤٥٩-٥١٩)هـ: توفي أبوه السَّيِّد يحيى وعُمْرُ ولده السَّيِّد عليٍّ سنةً واحدةً، فكفله أخواله الأنصار، وبنو خالته آل الصَّيرفيّ أمراء البصرة المشهورون، فأتقن قراءة القرآن، وتعلَّم علوم الشَّريعة وصحب خاله الشَّيخ يحيى النَّجاريّ، وابن عمه الشَّيخ أبا منصور، وتفقه بالشَّيخ أبي حسين الحربوني وبالفارقي، وبجماعة من الأعيان، واتصل بخدمة خاله الشَّيخ يحيى، فترك البصرة ونزل إلى البطائح فاستوطنها، بأمرٍ من الشَّيخ منصور سنة (٤٩٧)هـ، وبتلك السَّنة تزوَّج ببنت خاله أخت الشَّيخ منصور الشَّيخة الصَّالحة المعمَّرة فاطمة الأنصارية، فأعقب منها شيخ مشايخ الإسلام السَّيِّد أحمد الرِّفاعيّ، والسَّيِّدة ست النَّسب، والسَّيِّد إسماعيل والسَّيِّد سيف الدِّين عثمان، وهو الذي توفي أبوه وهو حملٌ في بطن أمه، وقد سكن السَّيِّد عليٌّ بقرية حسن، =

ابنِ يحيى[1]، ....

= قرب بلدة الشَّيخ منصور، وهي قريةٌ محاذيةٌ لأم عبيدة، فشيد بها رواقه، واشتهر أمره، ولا زال يعظم اشتهاره في أنحاء الدِّيار البطائحيَّة وغيرها من البلاد الإسلامية إلى أن جاءت سنة (٥١٩)هـ فوقعت الفتن الكثيرة بين أهل البدع والباطنية وبين أهل السُّنَّة، وكان السَّيِّد عليٌّ يومئذ أمثل الطَّالبيين والصُّوفيَّة بعد الشَّيخ منصور بواسط، فأجمع النَّاس على سفره لبغداد ليكشف للخليفة المسترشد فسادَ أهل البدع وليحرِّضه على إحياء السُّنَّة وقمع البدعة، فتوجَّه إلى بغداد ودخل على الخليفة فأعزَّه وحَيَّاه، فذكر له أمر الباطنيَّة والملاحدة وما هم فيه من الفساد بواسط، وحرَّضه على إزالة شرورهم، فاعتذر الخليفة باستفحال أمر السُّلطان محمود بالعراق وتعلَّل، فقال له السَّيِّد عليٌّ: أخشى عليك، فإنَّك إن لم تجدع أنف البدعة يحيط بك أهلها وكم جدعت البدعة أنفاً، فسكت المسترشد ولم يرد جوابه، وقام من المجلس إلى المنزل الذي هو فيه منزعج الخاطر، فَحُمَّ تلك الليلة، وبعد مضي أسبوع من مرضه توفي فعمل عليه الأمير مالك مشهداً برأس القرية، وكان السَّيِّد عليٌّ يقول وهو يجود بروحه الطَّاهرة: آمنت بالله، حسبي الله. انظر: «إرشاد المسلمين» لعز الدِّين الفاروثي رقم(٢٠) صـ٦٩ـ و«روضة الناظرين» للوتري صـ٢٩ـ.

(١) السَّيِّد يحيى بن السَّيِّد ثابت ابن السيد الحازم الحسيني تـ (٤٦٠)هـ: هو أوَّل من سكن العراق من الرِّفاعيَّة، قدم من إشبيلية إلى الحجاز ومعه ابن عمه السيد حسن، ابن السيد محمد عسلة، وبيده شجرة نسبهم الطَّاهرة، وعليها خطوط ملوك بلاد المغرب وساداتها وأوليائها وعلمائها، فلمَّا وصل إلى المدينة المنورة وزار النَّبيَّ ﷺ شهدت له من قوافل المغرب الألوف بصحَّة النَّسب في الحرم النَّبويِّ الكريم، وأقرَّ له النَّسابون من سادات أهل البيت سكنة المدينة المنورة، وسُجِّل ذلك في دفتر الشَّرف المحفوظ بخزانة آل الأعرج أمراء المدينة بني الحسين، وقد جرى مثل ذلك في بيت الله الحرام، وسجل الأمر وحفظت رقعة التَّسجيل، فَعُلِّقَت في بطن الكعبة - حرسها الله - وكان ذلك سنة (٤٥٠)هـ وفي تلك السَّنة انحدر السَّيِّد يحيى من الحجاز إلى البصرة، فبلغ خبر قدومه الخليفة القائم، فاستدعاه إلى بغداد وأكرم قدومه وأعظم شأنه، وفوَّض له نقابة البصرة والبطائح وواسط، وأحيا الله به شرف الآل الكرام، والسُّنَّة المحمَّديَّة، ودفع ببركة إخلاصه ثائرة الشِّقاق، واشتهر بالزُّهد والصَّلاح والولاية الكبرى، والمعارف الإلهية العُظمى وتزوَّج بالأصيلة علماً الأنصاريَّة بنت وليِّ الله الحسن النَّجاريِّ والد الإمام الشَّيخ يحيى، وتوفي ودفن بالبصرة في فم الدير - رحمه الله تعالى ورضي عنه -. انظر: «المعارف المحمدية» صـ١٣١ـ و«إرشاد المسلمين» لعز الدين الفاروثي رقم (١٩) صـ٦٦ـ و«الأعلام» للزركلي ٨/ ١٤٠.

ابـنِ ثابِتٍ[1]، ابنِ حـازمٍ[2]، بنِ أحمدَ[3]، بنِ عـليٍّ[4]، بنِ أبي الـمكارِمِ رِفَاعَةَ الـحَسَـنِ الـمَكِّيِّ[5]، ....

(١) السيد الثابت بن السيد الحازم الحسيني تـ(٤٢٧)هـ: ولد بإشبيليه وتوفي بها، وكان مهيبًا بالله حسن القراءة حسن الحفظ حسن الصوت تنفح رائحة النُّبوَّة من أثوابه، وكان ملوك المغرب على الإطلاق تتبرك بذكر السيد الثابت بن رفاعة العلوي، وإذا ورد على أحد منهم كتاب منه فكأنما بُشِّر بفتح قطر لزيادة اعتقادهم به وإعظامِهم لشأنه، وإنه لحقيقٌ بذلك؛ فإنه لم يكن به نفس لغير الله تعالى، أعقب يحيى وعلياً. انظر: «خلاصة الإكسير» صـ٢٠ـ.

(٢) السيد حازم ويسمونه علياً أيضاً ابن السيد أحمد تـ(٣٨٥)هـ: كان إماماً يُقتدى به، وجبلًا يُلتجأ إليه، توفي بإشبيلية، أعقب الثابت وعبدالله ومحمد عسلة ﷺ. «خلاصة الإكسير» صـ٢٠ـ.

(٣) السيد أحمد، كنيته أبو علي ولقبه المرتضى تـ(٣٧٠)هـ: كان فقيهاً عابداً عارفاً صاحب كرامات خارقةٍ، وأحوال صادقةٍ، كان كثير الصَّلاة على رسول الله ﷺ، كثير الذِّكر لله تعالى لا يتكلم بشيءٍ من أمر الدُّنيا إلا إذا اضطُر، توفي بإشبيلية، ودفن بمشهدهم مع أبيه وجده. انظر: «خلاصة الإكسير» صـ٢٠ـ.

(٤) السيد علي أبو الفضائل المغربي الإشبيليُّ الحسينيُّ تـ(٣٥٣)هـ: هو حجَّة العارفين، سيِّد الزَّاهدين، توفي بإشبيلية، ودفن بمشهد أبيه في مقابر قريش، وأعقب: أحمد ورفاعة وكنانة وهزاعاً وغالباً. انظر: «خلاصة الإكسير» صـ١٩ـ.

(٥) السيد رفاعة الحسن المكيّ (٢٨٠- ٣٣١)هـ: الشريف النقي التقي، ولد بمكة، وألبسه أبوه خرقته الشريفة الكاظمية عام وفاته وهو ابن إحدى عشرة سنة، وسنده في الخرقة أب عن أب إلى رسول الله ﷺ، وقد كان السيد رفاعة مُهيب الجانب مُعَظَّم القدر زاهداً مُنجمعاً عن الناس، وبقي على شأنه حتى دخل القرامطة لعنهم الله مكة عام (٣١٧)هـ وفعلوا في بيت الله الحرام ما فعلوا من النهب والسلب والقتل والإلحاد والظلم وقتلوا الشريف ابن محارب أمير مكة وكثيراً من العلويين وادّعَوا في ذلك امتثال أمر العبيديين جماعة الأندلس، فذهب السيد رفاعة إلى المغرب لإقامة الحجة على العبيديين فيما فعله القرامطة، فدخل إشبيلية وعظّمه ملوكها، وانقاد إليه رجال المغرب ثم أقام ببادية إشبيلية مع جماعة من بني شيبان، وتزوج بامرأة من الأشراف الإدريسية يقال لها نبهاء بنت أحمد الحسني، وبقي مُكرّماً محفوظ الحُرمة إلى أن توفي بإشبيلية، وله مشهد في مقابر قريش يُزار ويُتبرك به. انظر: «المعارف المحمدية» صـ١٣١ـ و«خلاصة الإكسير» صـ١٨ـ.

ابنِ المهدي[1]، بنِ محمَّدٍ أبي القاسمِ[2]، بنِ الحَسَنِ[3]، بنِ الحُسينِ[4]، بنِ أحمدَ[5]،

---

(١) السيد مهدي المكي أبو رفاعة تـ(٢٩١)هـ: شيخ أهله صاحب البركات والمحامد الصَّائم القائم الفقيه العالم القطب الفرد، أجمع صوفية عصره على تفرُّدِهِ في وقته، حكى القاضي التنوخي عنه أنه مكث أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ومع كلِّ ذلك ما غاب عن أداء ما فُرض عليه، توفي بمكة، وأعقب عدنان ويحيى ورفاعة الحسن المكي. انظر: «المعارف المحمدية» صـ١٣١ـ و«خلاصة الإكسير» صـ١٨ـ.

(٢) السيد أبو القاسم محمد تـ(٢٦٥)هـ: نزل مكة مع أبيه الحسن رئيس بغداد وعكفت عليه القلوب، وألقى الله محبته في الصُّدور، وكان على جانبٍ عظيمٍ من حُسْن الخُلُق والسَّخاء والزُّهد والصِّدق، توفي بمكة، وعقبه من ولده السيد مهدي المكِّيِّ. انظر: «خلاصة الإكسير» صـ١٧ـ.

(٣) السيد الحسن القاسم أبو موسى رئيس بغداد شيخ بني هاشم تـ(٢٢٦)هـ: قال ابن ميمون في «مشجره»: ما أنجب الطالبيون في عصر الحسن القاسم أعظمَ منه مقاماً، وأرفع منزلة، وأكمل علماً، وأزكى عملاً، وعلى هذا فهو سيد عصره بلا ريب. نزل الحسن مكَّة ببعض أولاده وأبقى بقيةً ببغداد، وأقام بمكَّة محفوظ الحرمة موقَّر المقام حتى مات بها، وعقبه من رجلين موسى ومحمد أبي القاسم ولهما ذريةٌ وذيلٌ طويل. انظر: «المعارف المحمدية» صـ١٣١ـ، و«خلاصة الإكسير» صـ١٦ـ.

(٤) السيد أبو عبد الله الحسين، لقبه الرضي، ويقال له: المحدث والقطيعي نسبة للقطيعة محلة ببغداد تـ(٢١٩)هـ: توسع في علم الحديث وعلوم القرآن وكان فقيهاً عظيماً ذا محلٍّ ببغداد ورياسة، وكان يقال له سيد آل أبي طالبٍ، وكانوا يشبهونه بعليٍّ ﷺ، توفي ببغداد، ودفن بمقبرة القطيعة، وأعقب القاسم - وهو الذي سمي بالحسن وبه اشتُهِر - وعلياً الأسود والحسن أبا أحمد وحمزة. انظر: «المعارف المحمدية» صـ١٣١ـ و«خلاصة الإكسير» صـ١٦ـ.

(٥) السيد أحمد الصَّالح الأكبر تـ(٢١٦)هـ: شيخ أهل البيت في عصره، أجمع أهل زمانه على تفرده وعلوِّ قدمه وصلاحه، وكان مُجاب الدَّعوة نافذ البصيرة ذا هيبةٍ في قلوب العامَّة والخاصَّة، وله المحل العالي في نفوس الخلفاء، وكان جليل الشأن إذا تكلم سكت النَّاس، وإذا سكت هابوه، مات ببغداد، وبلغ خبره المأمون وهو بدمشق، فبكى وقال: انطوى مصحفٌ جليلٌ من مصاحف العلوم النَّبويَّة، ودفن بمقابر قريش وراء مشهد جده الكاظم ﷺ، أعقب من ثلاثة رجال: أبي عبد الله الحسين وأبي اسحق إبراهيم وعليٍّ الأحول. انظر: «المعارف المحمدية» صـ١٣١ـ، و«خلاصة الإكسير» صـ١٥ـ.

ابنِ موسى[1]، بنِ إبراهيم المرتضى[2]، بنِ الإمامِ موسى الكَاظِمِ[3]، بنِ الإمامِ جعفر الصَّادقِ[4]، بن الإمامِ محمَّدِ الباقرِ[5]، ....

---

(١) السيد موسى الثَّاني ويقال له: أبو سبحة، وأبو يحيى تـ(٢١٠)هـ: وإنَّما لُقِّبَ بأبي سبحة لكثرة تسبيحه، كان سيداً جليلاً خاشعاً ورِعاً عارفاً، قَدِمَ بغداد مع أبيه واستوطنها وتوفي بها، ودفن بمقابر قريش بالقرب من مرقد جدِّه الكاظم، أعقب من ثمانية رجالٍ: أربعة منهم مقلون، وأربعة مكثرون، أما المقلون: فعبد الله وعيسى وعلي وجعفر، وأما المكثرون: فمحمد الأعرج وأحمد الأكبر وإبراهيم العسكري والحسين القطعي. انظر: «المعارف المحمدية» صـ١٣٠ـ، و«خلاصة الإكسير»صـ١٥ـ.

(٢) الإمام إبراهيم المُرتضى: لقبه المُجاب، وأمُّه أمُّ ولدٍ اسمها نجية، استولى على اليمن وامتدت حكومته إلى السَّاحل وآخر القرن الشَّرقيِّ من اليمن، وحجَّ بالنَّاس في عهد المأمون، ولما انتصب خطيباً في الحرم الشَّريف دعا للمأمون ولولي عهده الإمام عليِّ الرِّضا بن الكاظم، مات مسموماً ببغداد سنة ست، وقيل: سنة سبع، وقيل: سنة تسع بعد المائتين، كان أحد أئمَّة أهل البيت وكانوا يلقِّبونَه الهادي إلى الله، أعقب من ثلاثة رجال بلا خلافٍ: موسى أبو سبحة الذي يقال له موسى الثاني، وجعفر، وإسماعيل. انظر: «المعارف المحمدية» صـ١٣٠ـ، و«خلاصة الإكسير» صـ١٤ـ.

(٣) الإمام موسى الكاظم، أبو الحسن (١٢٨ - ١٨٣)هـ: كان من سادات بني هاشم، ومن أعبد أهل زمانه، وأحد كبار العلماء الأجواد، ولد في الأبواء (قرب المدينة)، وسكن المدينة، فأقدمه المهدى العباسي إلى بغداد، ثم رده إلى المدينة، وبلغ الرشيد أن الناس يبايعون للكاظم فيها، فلما حج مر بها سنة ١٧٩هـ فاحتمله معه إلى البصرة وحبسه عند واليها عيسى بن جعفر، سنة واحدة، ثم نقله إلى بغداد فتوفي فيها سجيناً، وقيل: قتل، وكان على زِيِّ الأعراب، مائلاً إلى السواد. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٥/ ٣٠٨، و«الأعلام» للزركلي ٧/ ٣٢١.

(٤) الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق (٨٠ - ١٤٨)هـ: كان من سادات أهل البيت، ولُقِّبَ بالصَّادق لصدقه في مقالته، وفضلُه أشهر من أن يذكر، توفي بالمدينة، ودفن بالبقيع في قبرٍ فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي ﷺ. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان ١/ ٣٢٧، و«الأعلام» للزركلي ٢/ ١٢٦.

(٥) الإمام أبو جعفر محمد الباقر، كان الباقر عالماً سيداً كبيراً، وإنما قيل له الباقر؛ لأنه تبقر في العلم، أي توسع، والتبقر: التوسع، ولد سنة سبع وخمسين للهجرة، وكان عمره يوم استشهد جده الحسين ﷺ، ثلاث سنين، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب ﷺ، وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائة بالحميمة، ونقل إلى المدينة ودفن بالبقيع في القبر الذي فيه أبوه وعم أبيه الحسن بن علي في القبة التي فيها قبر العباس ﷺ. «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٤/ ١٧٤.

ابنِ الإمامِ زينِ العابدينَ عليٍّ[1]، ابنِ الإمامِ الحسينِ السِّبطِ الشَّهيدِ ابنِ أميرِ المؤمنينَ عليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ، رُزِقَهُ مِنْ زَوْجِهِ البَتُولِ الطَّاهِرَةِ سيِّدَتِنَا فاطمة الزَّهراءِ النَّبويَّةِ، بنتِ سيِّدِ الموجودِينَ، وخَاتَمِ النَّبيِّينَ، وحُجَّةِ الله على خَلْقِهِ أجمعينَ، أبي الطَّيِّبِ والطَّاهِرِ والقَاسِمِ، سيِّدِنَا محمَّدِ بنِ عبدِ الله بن عبدِ المطَّلِبِ بنِ هاشِمٍ ﷺ وعليهم أجمعين.

وينتهي له نسبٌ من طَرِيقِ الأُمومَةِ لِسَيِّدِنا الإمامِ الحَسَنِ السِّبطِ، ولسيِّدنا الإمامِ الحسينِ السِّبطِ الشَّهيدِ أيضاً، ولسيِّدنا ومولانا أميرِ المؤمنين أبي بكرٍ الصِّديقِ،(١/١) ومن طريقِ أُمِّهِ بالذَّاتِ لسيِّدِنا خالدِ بنِ زيدٍ أبي أيوبَ الأنصاريِّ[2] ﷺ أجمعين.



(١) هو الإمام أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، المعروف بزين العابدين، ويقال له علي الأصغر، وليس للحسين ﷺ عَقِبٌ إلا من ولد زين العابدين ﷺ (٣٨- ٩٤)هـ: هو من سادات التابعين، قال الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه، وفضائل زين العابدين ومناقبه أكثر من أن تحصر، وتوفي بالمدينة، ودفن في البقيع في قبر عمه الحسن بن عليٍّ، في القبة التي فيها قبر العباس ﷺ. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٣/ ٢٦٦ - ٢٦٩.

(٢) الصحابي الجليل خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب الأنصاريّ الخزرجيُّ، النَّجَّاريُّ، البدريُّ معروف باسمه وكنيته ﷺ تـ(٥٢)هـ: السيدُ الكبيرُ الذي خصَّه النَّبيُّ ﷺ بالنُّزول عَلَيهِ في بني النَّجَّار إلى أنْ بُنِيَتْ له حجرةُ أمِّ المؤمنين سودةَ وبني المسجد الشَّريف، روى عن النبيّ ﷺ (١٥٥) حديثاً، شهد العقبة وبدراً وما بعدها وشهد الفتوح، وداوم الغزو ولزم الجهاد بعد النبيّ ﷺ إلى أن توفي في غزاة القسطنطينية ودُفِنَ بأصل حصن القسطنطينية. انظر: «سير أعلام النبلاء» رقم٧٩، و«الإصابة في تمييز الصحابة» رقم ٢١٦٨.

وُلِدَ سَنَةَ اثني عشر وخمسمئة، وشَبَّ في بيتِ خالِهِ قُطبِ الوجودِ البازِ الأشهبِ سيِّدي الشَّيخ منصورِ البطائحيِّ الرَّبَّانيِّ(١)، وخَلَفَهُ في مشيخةِ الشُّيوخِ وهو ابنُ ثمانٍ وعشرينَ سَنَةٍ.



(١) هو الشيخ منصور ابن الشيخ يحيى ابن الشيخ موسى ابن الشيخ كامل النجاري لأبيه - وينهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري النجاري ﷺ الحسيني لأمه ت:(٥٤٠هـ: الشيخ الوليُّ العارف أوَّل وليٍّ لُقِّبَ بالباز الأشهب، ولد بأم عبيدة بدار أبيه ونشأ بها وتلقى الفقه الشافعي عن أبيه وعن ابن عم أبيه الشيخ أبي منصور الطيب وتخرج به وبعمه الشيخ معز الدين طلحة أبي محمد الشنبكي الأنصاري الفاطمي، وتخرج به - أي الشيخ منصور - الأئمة، ولما اتسعت دائرة إرشاده ترك رواق أم عبيدة وبنى رواقاً عظيماً ببلدة نهر دقلى بالقرب من واسط، ورزقه الله القطبية العظمى والغوثية الكبرى، وعهد بالمشيخة لابن أخته السيد أحمد الرفاعي رحمه الله من بعده، وكان الأشياخ يقولون: ما كبا جواد الشيخ منصور الرَّباني أبداً، ومات ببلدة نهر دقلى ودفن برواقه المبارك سنة (٥٤٠)هـ. انظر: «إرشاد المسلمين» لعز الدين الفاروثي رقم ٧، صـ٤٩ـ، و«الطبقات الكبرى» للشعراني رقم ٢٥٣، و«روضة الناظرين» للوتري صـ١٩ـ.



[كرامة تقبيل الإمام الرفاعي ﷺ يد النبي الأعظم ﷺ]

«وحَجَّ سَنَةَ خَمْسٍ وخمسينَ وخَمْسِمِئَةٍ، فوقَفَ أمامَ قبرِ النَّبيِّ ﷺ وأنشدَ:

فِي حَالَةِ البُعدِ رُوْحِي كُنتُ أُرسِلُها ... تُقَبِّلُ الأَرْضَ عَنِّي وَهِـيَ نَائِبَتِي

وَهَـذِهِ دَوْلَـةُ الأَشْبَاحِ قَدْ حَضَرَتْ ... فَامْدُدْ يَمِينَكَ كَيْ تَحْظَى بِهَا شَفَتِي

فَمَدَّ له رسولُ الله ﷺ يدَهُ الشَّريفةَ من قَبْرِهِ فَقَبَّلَها والألوفُ من المسلمينَ في الحرم النَّبويِّ ينظرونَ، ورجعَ إلى العراق، وقد ملأَ صيتُهُ الآفاقَ، ونطقَ بالحكمَةِ، وجدَّدَ أمرَ الدِّين للأُمَّةِ، وتفرَّدَ بكلِّ مَزِيَّةٍ عاليةٍ، ومنقبةٍ ساميةٍ، وسيأتي كلامُهُ، ومنها يُعرَفُ عندَكَ إنْ فَقِهْتَ مقامُهُ، وتُوفيَّ سنةَ ثمانٍ وسبعينَ وخَمْسِمِئَةٍ، ودُفِنَ في رواقِهِ بأُمِّ عَبِيدَة، ولم تَقُمْ دَولَةٌ لوليٍّ في المسلمين بعدَ الصَّحابَةِ وأئِمَّةِ الآلِ الاثني عشر[1] كما قامت له، ولم يَخْلُفْهُ زمانُهُ ولم يكن في عَصْرِهِ مِثْلُهُ سلامُ الله عليه ورِضْوَانُهُ»[2].

---

(١) قال الإمام المحدث أحمد عز الدين الفاروثي في «إرشاد المسلمين» صـ١٠٦ـ ما نصه: إمامة الأئمَّة الاثني عشر عليهم السَّلام لا ينكرها عارفٌ، وما هي إلَّا أنَّ كلَّ واحدٍ منهم إمام العترة الطَّاهرة في عهده، وسيِّد أهل القلوب، وشيخ أصحاب المعاني العارفين بالله تعالى لا كما يزعم من قال بعصمتهم، وأعطاهم خصائص النُّبوَّة كلّها، وهذا هو القول الذي يهدم منار الإجماع.

(٢) هذه المنقبة الجليلة التي اختص الله بها وليَّه السَّيِّد أحمد الرفاعي الكبير هي من أشهر الكرامات وأثبتها، وكم أعجب عندما أسمع ممن يوسمون بالعلم إنكارهم لهذه المعجزة المحمدية والكرامة الأحمدية من غير بحث في أسانيدها أو مصادرها!!! وسبب إنكارهم:

- قد يكون لعدم نقل بعض الأئمة والمؤرخين في تواريخهم وسيرهم هذه الكرامة العظيمة، وهذا مردود؛ لأنَّ أصحاب تلك الكتب لم يحيطوا بكل ما روي عمن ترجموه في كتبهم، وهذا لا يعني أن ننكر ما لم يرد في كتبهم من سير بعض الأئمة إذا روي في كتب أئمة أجلاء لم تشتهر كتبهم.
- أو لوقوفهم على بعض المؤلفات التي كتبت تنقيصاً لبعض الأئمة في الطريقة الرفاعية حسداً وزوراً وبهتاناً فصدَّقوا ما فيها من غير تحقيقٍ أو تدقيق.

فإليك أيها القارئ المنصف والباحث المدقق هذه العجالة في إثبات صحَّة هذه الكرامة، بل في إثبات تواترها بذكر عدد أسانيدها من مصادرها، وذكر الكتب التي نقلتها حسب الترتيب الزمني، =

= مع ذكر رقم الجزء والصفحه، وقبل البدء أذكِّر أنَّ الإمام السيد أبا الهدى الصيادي أفرد لها كتاباً بَيَّنَ فيه تواترها، وهو: «الكنز المطلسم»، فمن أراد التوسع في البحث فليرجع إليه.

المصادر التي نقلت هذه الكرامة بسند مصنفيها إلى من حضر وشاهد هذه المعجزة المحمدية والكرامة الأحمدية:

الكتاب الذي بين أيدينا «غنيمة الفريقين»، للعارف الشيخ هاشم الأحمدي الرفاعي، وهو ممن شهد كرامة تقبيل اليد، ولبس الخرقة عن الإمام الرفاعي قدس الله سرهما (٥٣٣-٦٣٠)هـ.

«البرهان المؤيد»، ذكرها جامع «البرهان» خليفة الإمام الرفاعي الإمام شرف الدين بن عبد السميع (٥٠٥-٥٨٠)هـ في المقدمة صـ١٢ـ وذكر أنه تلقى هذه الكتاب من فم شيخه الإمام الرفاعي مع جم غفير بعد عام حجه الذي أكرمه الله به بتقبيل يد النبي ﷺ فيه، وسماه: «البرهان المؤيد لصاحب مد اليد مولانا الغوث الشريف الرفاعي أحمد»، وقد تلقى السادة الرفاعية هذا الكتاب بالأسانيد الصحيحة.

«سواد العينين في مناقب الغوث أبي العلمين»، للإمام البحر الطام الشيخ عبد الكريم الرافعي (٥٥٧-٦٢٣)هـ فقد روى في كتابه صـ٩٠-٩٥ـ سندين لهذه المنقبة الجليلة.

«مختصر أخبار الخلفاء»، للإمام علي بن أنجب الشهير بابن الساعي (٥٩٣-٦٧٤)هـ فقد روى المؤلف رحمه الله تعالى في «تاريخه» صـ١٢٢-١٢٥ـ خمسة أسانيد لهذه المنقبة الجليلة؛ ثم قال: وبالجملة فهذه القصة بلغت مبلغ القطع.

«إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين»، للإمام المحدث المفسر الفقيه عزّ الدين أحمد الفاروثي (٦١٤-٦٩٤)هـ فقد روى في كتابه «الإرشاد» صـ٨٢-٩٢ـ وأيضاً في رسالته «النفحة المسكية في السلالة الرفاعية الزكية» صـ٨-٩ـ سنده فيها عن والده الشيخ إبراهيم، والشيخ إبراهيم عن والده الشيخ عمر خليفة الإمام الرفاعي ﷺ، وذكر أنَّه رأى خمسةً ممن كان مع الإمام الرفاعي ﷺ عام مدت له اليد الشريفة وهي بمثابة خمسة أسانيد، وإن لم يحدثوه بها؛ لإخبار والده له بذلك؛ ولانكباب الناس عليهم لتذكار عهد اليد الشريفة ومن مُدَّت له، فالمجموع ستة أسانيد.

«غاية التحرير في نسب قطب العصر غوث الزَّمان»، للإمام عبد العزيز الدِّيريني (٦١٢-٦٩٤)هـ فقد روى في رسالته «الغاية» صـ١٤-١٨ـ سبعة أسانيد لهذه الكرامة الأحمدية.

«ترياق المحبين في طبقات المشايخ العارفين»، للإمام الحافظ تقي الدين عبد الرحمن بن عبد المحسن الأنصاري الواسطي الشافعي (٦٧٤-٧٤٤)هـ من تلاميذ الحافظ عز الدين الفاروثي، فقد روى في كتابة صـ١٢-١٣ـ ثلاثة أسانيد.

«روضة الأعيان في أخبار مشاهير الزمان»، للعلامة محمد بن أبي بكر بن علي بن عبد الملك =

= ابن حماد الموصلي الرفاعي المتوفى بعد سنة (٧٥٠)هـ فقد روى في كتابه صـ١٠٠ـ سنده عن أبيه إلى جده عبد الملك خليفة الإمام الرفاعي ﷺ في هذه الكرامة الجليلة، وقال بعد ذكرها: وخبر هذه القصة متواترٌ مشهورٌ، وقد ساقه كثيرٌ من أعيان الرِّجال بوجه التفصيل فليراجع.

«صحاح الأخبار»، لشيخ الإسلام السيد محمد سراج الدين الرفاعي المخزومي (٧٩٣ـ ٨٨٥)هـ صـ٦٧ـ فقد روى في كتابه صـ٦٧ـ سنداً واحداً ينتهي إلى الشيخ عمر الفاروثي رحمه الله تعالى.

«الشَّرف المحتَّم فيما منَّ الله به على وليِّه السَّيِّد أحمد الرفاعي ﷺ من تقبيل يد النَّبيِّ ﷺ»، للإمام جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١)هـ فقد روى في هذه الرسالة صـ١٩-٢١ـ ثلاثة أسانيد له لهذه المنقبة العظيمة، وهي ـ أي: أسانيده ـ متابعات لبعض الأسانيد السابقة.

فيكون عدد الأسانيد ـ شواهد ومتابعات ـ ثلاثين سنداً وهي كما يعلم طالب العلم لا العالم فقط بأنها تفيد القطع والتواتر، ومن لم يعلم ذلك فليعد إلى ما قرره السادة الأعلام في كتب مصطلح الحديث في بيان الحديث المتواتر.

ملاحظه: لم أذكر هذه الأسانيد من مصادرها على سبيل الحصر والجمع لكل الأسانيد والمصادر، بل هذا ما وصل لهذا العبد الفقير من المصادر والمراجع وفيها الغنية لطالب الحقِّ.

جـ- المراجع التي ذكرت الكرامة من غير ذكر السند حسب الترتيب الزمني وهي دليل على شهرتها:

«المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية»، للإمام أحمد عز الدين الصياد (٥٧٤-٦٧٠)هـ صـ١٧٢-١٨٠ـ.

«الطريق القويم»، للإمام عز الدين الصياد أيضاً لوحة ٢٥-٢٦/ خ.

«أم البراهين بتصحيح اليقين في إشارات الصالحين»، للإمام قاسم بن محمد الواسطي الشافعي تـ(٦٨٠)هـ لوحة ٢٨٢-٢٨٦/ خ.

«خلاصة الإكسير في نسب سيدنا الرفاعي الكبير»، للإمام علي أبي الحسن الواسطي الشافعي (٦٥٤- ٧٣٣)هـ فقد ذكر صـ٣١ـ هذه المعجزة المحمدية والكرامة الأحمدية ناقلاً عن شيخه الإمام عز الدين الفاروثي من «النفحة المسكية».

«ربيع العاشقين في مناقب الإمام الرفاعي سيد العارفين» أو «البهجة الجليلة الوسطى» للشَّيخ عليِّ بن جمال الحدَّادي الشَّافعيِّ تـ(٧٣٣)هـ مخطوط-الرياض لوحة/ ١٤١.

«غاية الاختصار في أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار»، للسيد الشريف تاج الدين بن محمد زهرة الحسيني كان حيّاً سنة (٧٥٣)هـ صـ٥٩ـ.

«نزهة المجالس ومنتخب النفائس»، عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن =

= ابن عثمان الصفوري الشافعي تـ(٨٩٤)هـ صـ٢٥٩ـ.

«الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظةً بسيد الدنيا والآخرة»، للشيخ أبي الفضل عبد القادر بن الحسين بن مغيزيل الشاذلي، فرغ من تأليفه سنة (٨٩٤)هـ صـ٤٢ـ.

«تنوير الحلك في جواز رؤية النبي والملك»، للحافظ جلال الدين السيوطي (٨٤٩ـ٩١١)هـ صـ٣٣ـ.

«النجم الساعي في مناقب القطب الكبير الرفاعي»، للشيخ أبي بكر العيدروس العدني (٨٨٠-٩١٤)هـ صـ٩٦ـ.

«عقود اللآل في تراجم السادة الأحمدية أعيان أهل الكمال» للإمام أبي بكرٍ بن محمَّدٍ الأنصاريَّ تـ(٩٦١)هـ لوحة ٤١-٥١/ خ.

«قلائد الجواهر»، للعلامة محمد التاذفي (٨٩٩-٩٦٣)هـ صـ٨٤ـ.

«روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين»، للعلامة أحمد بن محمّد الوتري (٩٨٠)، صـ٥٤ـ.

«الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية» (الطبقات الكبرى)، للحافظ محمد عبد الرؤوف المناوي (٩٥٢-١٠٣١)هـ رقم ٤١٠، ٢/ ٢٢٠.

«كشف النقاب عن أنساب الأربعة الأقطاب»، للعلامة السيد عبد القادر بن محمد الطبري الحسيني (٩٧٦-١٠٣٣)هـ صـ٦ـ.

«تعريف أهل الإسلام والإيمان بأنَّ محمَّداً ﷺ لا يخلو منه مكان ولا زمان»، للعلامة برهان الدين الحلبي صاحب السيرة الحلبية تـ(١٠٤٤)هـ صـ٤٨٢ـ.

«نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض»، للشيخ أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي (٩٧٧ـ١٠٦٩)هـ ج٤/ ٥٤٣.

«تحفة الراغب في سيرة جماعة من أعيان أهل البيت الأطائب» للشيخ أحمد القليوبي تـ(١٠٦٩)هـ صـ٣٢ـ.

«الدرة الثمينة فيما لزائر النبي ﷺ إلى المدينة»، للشيخ أحمد القاشاني المدني تـ(١٠٧١)هـ صـ١٣٩ـ.

«خبايا الزوايا»، للمفتي الشيخ حسن العجيمي (١٠٤٩-١١١٣)هـ صـ٧ـ.

«المسلسل»، للعلامة السيد أسعد المدني الحسني مفتي المدينة المنورة (١٠٥٠-١١١٦)هـ صـ٢٣ـ.=

«الفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية للترمذي» للمحدث الشيخ محمد بن قاسم جسوس (١١٠٩-١١٨٢)هـ صـ٣٦٤ـ.

«قاموس العاشقين في أخبار السيد حسين برهان الدين»، للعلامة عبد المنعم العاني ثم الراوي (١٠٩٦-١١٨٣)هـ صـ٦٨-٦٩ـ. =



= «الفتوحات الأحمدية بالمنح المحمدية»، للعلامة سليمان بن عمر العجيلي الأزهري الشافعي، المعروف بالجمل تـ(١٢٠٤)هـ صـ٥٦ـ.

«مصباح الأنام وجلاء الظلام»، للشيخ السيد علوي بن أحمد الحداد (١٢٣٢)هـ صـ٢٨ـ.

«الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية»، فرغ منه (١٢١٩)هـ صـ٤٥ـ وحاشية على شرح الخريدة البهيَّة، فرغ منه (١٢٢٨)هـ صـ٨٦ـ للعلامة أحمد بن محمد الصاوي (١١٧٥-١٢٤١)هـ.

«نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار ﷺ»، للشيخ مؤمن الشَّبَلَنجي (١٢٥٢ بعد ١٣٠٨)هـ صـ٢٥٣ـ.

«مراحل السالكين»، للإمام محمد مهدي بهاء الدين الصيادي الشهير بالرواس(١٢٢٠-١٢٨٧) هـ صـ١٩١ـ.

«العقود الجوهرية في مدائح الحضرة الرفاعية»، للأديب أحمد عزَّت باشا العمري الموصلي (١٢٤٤-١٣١٠)هـ صـ٥-٦ـ.

«الكنز المطلسم في مد يد النبي لولده الغوث الرفاعي الأعظم»، للسيد العلامة محمد أبي الهدى الصيادي (١٢٦٦-١٣٢٧)هـ وقد ذكر المؤلف في هذا الكتاب الأسانيد والكتب التي ذكرت هذه الكرامة للسيد أحمد وفيه الغنية لطالب العلم في بحثه لإثبات هذه الكرامة.

«النفحات الهدائية على ورد السادة الأحمدية»، للشيخ محمد نوري بن مصطفى أفندي الأريحاوي، فرغ منه سنة (١٣١١)هـ صـ٢٠ـ.

«نفحات الرضا والقبول في فضائل المدينة وزيارة سيدنا الرسول ﷺ»، للعلامة الشيخ أحمد الحضراوي الشافعي تـ(١٣٢٧)هـ صـ٤٧ـ.

«الأسرار الإلهية شرح القصيدة الرفاعية»، للسيد محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الآلوسي الحسيني (١٢٧٣-١٣٤٢)هـ، صـ٢٩-٣٣ـ.

«جامع كرامات الأولياء»، للعلامة يوسف النبهاني (١٢٦٥-١٣٥٠)هـ ١/ ٤٤١.

«وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له»، للطبيب العلامة محمد أبي اليسر عابدين، صـ٢٣٧-٢٣٨ـ.

د- وهناك مصادر ومراجع لم أقف عليها وقد ذكرها العلامة السيد أبو الهدى الصيادي في «الكنز المطلسم»، والعلامة السيد محمود شكري الآلوسي في «الأسرار الإلهية» أذكر أهمها:

«مناقب ابن الرفاعي»، للشيخ محيي الدين أحمد بن سليمان الهمّامي الحسيني الرفاعي، كان حياً سنة (٦٨٠)هـ.

«بحر الأنساب» ويعرف بـ«الثبت المصان»، للنسابة الإمام أبي النظام قوام الدين =

= ابن الأعرج الحسيني نقيب واسط، تـ(٧٨٧)هـ.

«الباب المعاني في أخبار القطبين العظيمين الرفاعي والجيلاني» محمد بن أحمد العبدلي البحريني الرفاعي تـ(٨٤٨)هـ.

«العدة» و«العمدة» و«الزبدة» كلهم للنسابة السيد علي أبي الحسن الرفاعي العبدلي تـ(٨٤٨)هـ.

«الفخر المخلد في منقبة مد اليد» للإمام الشيخ محمد الوتري تـ(٩٠١)هـ.

«مناقب الصالحين»، للإمام الشعراني تـ(٩٧٣)هـ.

«الوسيلة» للشيخ محمد العلمي تـ(١٠١٨)هـ.

أكتفي بهذا القدر، ولا يسعني في الختام إلَّا أن أذْكُر قول الإمام الوتري في «روضة الناظرين» صـ٥٤ـ في هذه المنقبة، وهو ما نصه: «هذه القصة تواتر خبرها، وعلا ذكرها، وصحَّت أسانيدها، وكتبها الحفاظ والمحدِّثون وكثيرٌ من أهل الطبقات والمؤرِّخين، لا ينكرها إلاَّ جاهلٌ قليل الروية، حاسدٌ لسلطان النُّبوَّة وظهور المعجزة المحمَّديَّة، أو معذورٌ من غير هذه الأمَّة الأحمديَّة...».

وقال أيضاً العلامة القليوبي في «تحفة الراغب في سيرة جماعة من أعيان أهل البيت الأطائب» صـ٣٢ـ ما نصه: «... وتواتر هذا الخبر المبارك ولم يصل إلينا خبر كرامة صحيح الأسانيد جامع لشروط التواتر المرعي مثل هذا الخبر الشريف أبداً وقد نص على ذلك الحفاظ والمحدثون والعارفون ورجال الطبقات وقد أفردت هذه الكرامة المباركة بالتآليف والتصانيف وهي مستفيضة متواترة وإنكارها من شوائب النفاق والعياذ بالله تعالى».

[(١) إتقان السلوك الدنيوي والديني][1]

قال ﷺ في بعض مجالسه الشريفة:

الحمدُ لله الَّذي فَجَّرَ ينابيعَ الـحِكَمِ مِنْ قلوبِ الـمُؤَيَّدِينَ، فَجَرَتْ على أَلْسِنَتِهِم، وتحقَّقوا بِحِكَمِهَا، فَأُفِيضَ لهم منه نورٌ أَوْضَحَ لهم مَـحجَّةَ العِلمِ اليقينِ، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأعراف:١٩٦].

والصَّلاةُ والسَّلامُ على قامُوسِ بَراهِينِ الحَقيقَةِ، ونَامُوسِ أَفَانِينِ[2] الـمَعْرِفَةِ والطَّرِيقَةِ، أَشْرَفِ أصحابِ القُلوبِ الطَّائِرَةِ إلى الله، وأَعْظَمِ مُلُوكِ حَضَراتِ الغُيوبِ الدَّالِينَ على الله، رُوحِ العَوالِـمِ، آدَمَ البُرُوزِ في نَشْأَةِ خِلْقَةِ أبيهِ آدمَ، سيِّدِنا محمَّدٍ عبدِ الله ورَسُولِهِ وصَفِيِّهِ وحَبِيْبِهِ وسُلْطَانِ حَضَراتِ قُرْبِهِ، ومَظْهَرِ بُرْهَانِ أَمْرِهِ في مُلْكِهِ ومَلَكُوتِهِ، وعلى آلِهِ وأصحَابِهِ الهُدَاة الـمَرْضِيِّينَ، وَوُرَّاثِهِ(١/ب) الأعيانِ الـمُكَرَّمِينَ إلى أَنْ يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها، وهو خيرُ الوارثِينَ، آمين.

أي أَخِي، بَارَكَ اللهُ بِكَ، وَحِّدِ اللهَ تَعَالى تَجْمَعْ خاطِرَكَ، وتُصْلِحْ سِرَّكَ، وأَطِعِ الرَّسُولَ ﷺ تَـحفَظْ شَأْنَكَ، وتُـحْكِمْ أَمْرَكَ، وارْفَعْ نَفْسَكَ عن سَفَاسِفِ الأُمورِ، وانتَخِبْ معالِيَهَا تُعِزَّ نَفْسَكَ، وتَرْفَعْ قَدْرَكَ.

---

(١) ذكر هذا المجلس الإمام أبو الهدى الصيادي في «الكليات» صـ٣٦-٤٠ــ ونقله الإمام الرواس في «بوارق الحقائق» صـ٢٦٣-٢٧٠ـ من «غنيمة الفريقين» وذكر أنه عند زيارة مرقد الصحابي الجليل شرحبيل ﷺ طلب منه في محاضرة روحية أن يقرأ هذا المجلس المبارك، وإليك نص تلك المحاضرة: «... ثم تبسم وقال [أي: سيدنا شرحبيل]: والله، إنَّ السَّيِّد أحمد الرِّفاعي من حكماء حضرة القرب، اقرأ أوَّلَ مجلسٍ له في كتاب «غنيمة الفريقين» جمع السيد هاشم الأحمدي وتسلك به، تجمع بين إتقان السلوكين الدنيوي والديني، وبذلك الكفاية».

(٢) النامُوسُ: السرُّ. «لسان العرب» مادة: (نمس)، والأفانين: الفَنَنُ: ما تَشَعَّبَ منه، والجمع أفْنان. «لسان العرب» مادة: (فنن). فيكون المعنى: وسِرّ شُعَبِ المعرفة والطريقة.

ما صَدَقَكَ مَنْ كَذَّبَكَ فِعْلُهُ، ولا آمَنَكَ مَنْ خَانَكَ أَصْلُهُ، اشْتَرِ الرَّجُلَ الصَّعبَ الأَمِينَ[1]، الطَّلْقَ اللِّسَانِ، الكريمَ الأصلِ، الغَزِيرَ العِلمِ بِكُلِّ ما في يَدِكَ، ولا تَضُنَّ عليه، وبِعِ الرَّجُلَ الهَيِّنَ الخَائِنَ المُتَلَصِّصَ الوَضِيعَ الأَصْلِ، القَصِيرَ المَبْلَغِ[2] بغيرِ ثَمَنٍ، ولا تُمِلْ قَلْبَكَ إليه؛ فإنَّ المُشْتَرَى الأَوَّلَ رِبْحٌ لا يَعْقُبُهُ خُسْرَانٌ، والمُباعَ الثَّاني غَائِلَةٌ[3] لا تأتي بأمانٍ.

وإذا اتَّخَذْتَ بِطَانَةً فَقِفْ مع كَرِيمِهَا، وأَعْرِضْ عن ذَمِيمِهَا، وشَرِّفْ صِيتَكَ بِمُصَاحَبَةِ مَنْ شَرُفَ صِيتُهُ، وأَحْكِمْ أَمْرَكَ بِمَنْ يُرَجِّحُ دِينَهُ على دُنياهُ، وشُدَّ عُرَاكَ بِمَنْ يَعرِفُ شَأْنَ الدُّنيا والآخِرَةِ ويَمْلِكُ هَواهُ، لا تَأْمَنِ الجَرِيءَ على رَبِّهِ المُهْمِلَ لأَحْكَامِ دِينِهِ، ولو أَعْجَبَكَ لِسَانُهُ؛ فَإِنْ أَهْمَلَ أَمْرَ دِينِهِ تَكْذِيباً لله واستِخْفافاً برسُولِهِ، فَتَكْذِيبُكَ واسْتِخْفَافُكَ عندَهُ أَهْوَنُ، وإِنْ فَعَلَ[4] ذَلِكَ عَجْزاً عن القِيامِ بِحَقِّ رَبِّهِ ونَبِيِّهِ فهو عن حَقِّكَ أَعْجَزُ.

مَنْ أَصَرَّ على تَرْكِ الفَرائِضِ مِنَ الإسلامِ جَحْداً أو عِناداً، فَهُوَ أَضَرُّ على الأُمَّةِ مِنَ الكُفَّارِ، وأَسْرَقُ لِهِمَمِ الجَاهِلِينَ مِنْ أُولئِكَ الطَّغَامِ[5] الأَشْرَارِ، ومَنْ عَبَدَ الدِّرْهَمَ مَا عَبَدَ اللهَ، ومَنْ طَمَحَتْ هِمَّتُهُ لِجَمْعِ المالِ مِنْ حَرَامٍ وحَلالٍ، فَهُوَ أَسِيرُ الزِّيادَةِ لا يَقِفُ إلَّا معها، ومَنْ كانَ كذلِكَ فَلا نَخْوَةَ ولا وَفَاءَ له، بَيِّنَةُ المُدَّعِي الأَعْمَالُ، ودَفْتَرُ حَالِ الحُكَّامِ العُمَّالُ، وخَلْوَةُ العَبْدِ بِرَبِّهِ عِنْدَ جَمْعِ قَلْبِهِ تُظْهِرُ لَهُ إذا اعْتَبَرَ نُقْصَانَهُ وكَمَالَهُ، وتُبْرِزُ لِعَيَانِهِ إذا تَفَكَّرَ عَمَلَهُ وحَالَهُ ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[الحشر: ٢].

---

(١) في «الكليات»: الأمين الصعب.

(٢) المبلغ: المنتهى، يقال: بلغ مبلغ فلان، وبلغ مبلغ الرجال. «المعجم الوسيط».

(٣) الغائلة: كلُّ شيءٍ يُقصَد به الخداع والتَّدليس. «غريب الحديث» للخطابي ١/ ٢٥٨.

(٤) في «الكليات»: فإنَّ مَنْ أَهْمَلَ أمور دِينِهِ تَكْذِيباً لله واستِخْفافاً برسُولِهِ، فَتَكْذِيبُكَ واسْتِخْفَافُكَ عندَهُ أَهْوَنُ، وإنَّ من فَعَلَ ذَلِكَ...

(٥) الطَّغَامُ والطَّغَامَةُ: أَرْذَالُ الطَّيْرِ والسِّبَاعِ، وهُمَا أيضاً أَرْذَالُ النَّاسِ وأَوغادُهم. «لسان العرب» مادة: (طغم).

مَنْ أطَافَ إِنْصَافهُ على طُرُقِ أَعْمَالِهِ أَمِنَ مِنْ عَوَاقِبِ فِعَالِهِ، ومَنْ لم يُحَاسِبْ نَفْسَهُ على كلِّ نَفَسٍ لم يُكْتَبْ عِنْدَنَا في دِيوَانِ الرِّجَالِ.

ما كلُّ عَالِمٍ إذا قُلْتَ له: اعْمَلْ بما عَلِمْتَ أجابَكَ فِعْلُهُ، ولا كُلُّ مِنْطِيقٍ إذا قُلتَ لَهُ: صَرِّفْ أقوالَكَ وافقَكَ عَقْلُهُ،(١/٢) والجامعُ بينَ هذِهِ المَزَايا؛ هو الرَّجُلُ الَّذي تُعْقَدُ عليه الخَنَاصِرُ، وتَبْتَهِجُ بِهِ المَحَاضِرُ، وتَرْجَمَةُ الحَيَاةِ صِيتٌ إمَّا حَسَنٌ وإمَّا مَذمُومٌ، وعِلْمُكَ إنْ لم يَكُنْ دَالَّاً لَكَ عن نَجَاحٍ في دِينِكِ، وطُمَأْنِينَةٍ في قَلْبِكَ فهو جَهْلٌ، وقُدْرَتُكَ إذا أَنْتَجها مَحْضُ الغَلَبَةِ ولم يُوَطِّدْها لكَ انْقِيَادٌ خَالِصٌ تَقُولُ به القُلوبُ فهي ضَعْفٌ.

وكُلُّ عَمَلٍ لك لم تَجْعَلْ فيه الحِكْمَةَ المحمَّدِيَّةَ أصلاً فهو فاسدٌ، والكافِرُ مُستَدرجٌ، والمُؤْمِنُ بَعْدَ أنْ فُطِرَ على الإسلامِ لا يُفلِحُ إذا كَفَرَ واسْتَخَفَ، والزَّمانُ إناءٌ لماءِ الأفكَارِ تَتَلَوَّنُ بِلَوْنِهِ.

النَّاسُ بِقَادَاتِهَا، والعَبِيدُ بِسَادَاتِهَا، والسَّائِسُ يُعْرَفُ إِتْقَانُهُ بِخَيْلِ إِصْطَبْلِهِ سَمِنَتْ أوهَزَلَتْ، والخِلُّ يُعْطِيكَ الصَّفا، ويأْخُذُ مِنْكَ الوَفَا؛ فَإِنْ وَافيْتَهُ صَافَاكَ، واللَّئِيمُ غدارٌ، والكَذَّابُ بعيدٌ عنِ الأَمَانَةِ.

ومَنْ انْقَطَعَ إليكَ فَاحْمِلْ عِبْأَهُ وثِقلَهُ، فَإِنْ لم تَفْعَلْ أَمَرْتَهُ بالاتِّصَالِ بِغَيْرِكَ، والأَمِيرُ بالأَعْوانِ الصَّالحينَ لِسِيَاسَةِ الدُّنيا والدِّينِ، والعَاقِلُ يَحْمِلُ غُصَّةَ الكَرِيمِ الحَاذِقِ سِنيناً؛ لِيَنْتَفِعَ بِفَضْلِهِ يوماً، والحَازِمُ يَسْكُتُ أعواماً لِحِكْمَةٍ، ويَنْطِقُ سَاعَةً فَيُحْيِي أُمَّةً.

ومَنْ وَقَفَ مع الأَخِسَّاءِ انفَصَلَ عنهُ الأَجِلَّاءُ، ومَنْ عَظَّمَ الجُهَلاءَ سَقَطَ مِنْ أَعْيُنِ العُلَماءِ، ومَنْ ذَمَّهُ العَاقِلُ العَالِمُ فَقَدْ ذَمَّهُ كُلُّ العَالَمِ، والأَحْمَقُ مَنْ أَرَادَ كَتْمَ عَيْبٍ أَظْهَرَتْهُ الأَيَّامُ.

وأَحْسَنُ المَزَايا وَعْدٌ يَشُدُّهُ وَفَا، وَخَبَرٌ يَصْحَبُهُ صِدْقٌ، وعَزْمٌ تَعْضُدُهُ عَزِيمَةٌ، وقُوَّةٌ تُلازِمُهَا رَأْفَةٌ، وعِلْمٌ يُنِيرُهُ عَقلٌ، ولِسَانٌ يُشَرِّفُهُ قَلْبٌ، وهِمَّةٌ يَصُونُها تَرَفُّعٌ، وطَبْعٌ

يُمازِجُهُ أدَبٌ، وحَسَبٌ يُعَظِّمُهُ كَرَمٌ، وعَقِيْدَةٌ يُطَهِّرُها[1] إِيمَانٌ، وخَاطِرٌ يُوطِّدُهُ اتِّكَالٌ على الله تعالى.

والنَّاسُ للنَّاسِ مِنْ حيثُ التَّعاضُدُ مُحتَاجُونَ، ولِكُلٍّ بارِزَةٍ مِنَ الحوادِثِ بِعَيْنِ الحاجَةِ مُتَشَوِّفُونَ، وإذا عَرَفَ العَاقِلُ - عَظُمَ أو حَقُرَ - كُلَّ احْتِياجِهِ لِكُلِّ شَيءٍ، عَرَفَ بِذَوْقِهِ شِدَّةَ احتياجِهِ لِـمُوجِدِ الأشياءِ، فَعَامَلَهُ بِقَدْرِ احْتِيَاجِهِ إليها.

أَيُّها الغَبِيُّ، تَنامُ مُحتاجاً لِلْحَادِثَاتِ الَّتي سَتُعْدَمُ، وتَسْتَيْقِظُ مُـحتَاجاً لها، وتَرَى أَنَّكَ بعدَ ذلك فَوقَ الأَشياءِ!!! الفَوقِيَّةُ تَقُومُ بالاستِغْنَاءِ الـحَقِّ عن الشَّيءِ،(٢/ب) وباحتياجِ الشَّيءِ للمتفوِّقِ؛ وذلكَ الوَصفُ مفقودٌ مِنْ كُلِّ الوُجودِ.

احتجْتَ لِـحائِكِ الثَّوبِ، ولِغَازِلِ القُطْنِ، ولِـحَلَّاجِهِ، وجَامِعِهِ، وزَارِعِهِ؛ فما بَالُكَ بِمُوجِدِهِ؟!

احْتَجْتَ للفَرَّانِ في خُبْزِكَ، وللطَّحَانِ، ولِـحَاصِدِ القَمْحِ، ودَارِسِهِ ومُصْلِحِهِ؛ فَما بَالُكَ بِمُنْشِئِهِ ؟!

ثَوْبُكَ سَتَرَكَ، وفيه رأيتَ حاجَتَكَ، ولُقْمَتُكَ قِوَامُكَ، وفيها رَأَيْتَ حاجَتَكَ، قِسْ عليها بَقَايَا حَاجَاتِكَ للأَشْياءِ، وتَرَفَّعْ بِقِيَاسِكَ تَـجِدِ احتِيَاجَكَ للمُوجِدِ فَوقَ احتياجِكَ للمَوجُودَاتِ، فافْزَعْ إليه وتُكْفَى وَصْمَةَ الاحتياجِ، يَرْزُقْكَ مِنْ حيثُ لا تَـحْتَسِبُ، يُسَخِّرُ لك الأَشياءَ بِمَحْضِ القُدْرَةِ.

أَيُّها اللَّبيبُ، لا تَدْفَعْ عَقْلَكَ لِـمَضَايِقِ الـمَطَامِعِ وتَقِفْ مع المَقَاصِدِ، وتَنْصَرِفْ عن مَسَالِكِ أَهْلِ العِلْمِ بالله تعالى الَّذين انْتَظَمَتْ لهم بِيَدِ الوَهْبِ قَلائِدُ عُقُودِ الحقائِقِ، كُلُّ مطامِعِكَ ومَقَاصِدِكَ ومَسَالِكِ هِمَّتِكَ قاصِرةٌ عن حَدِّ النَّتِيْجَةِ، ما لم تَكُنْ مُنْدَفِعَةً إليكَ بِسُلْطَانِ الأَمْرِ الأَزَلِيِّ، وهناكَ قَلِيْلٌ مِنْ سَعْيِكَ يُنْتِجُ لك ثَمَرَةَ القَصْدِ، وعلى هذا الطَّريقِ الـمُحْكَمِ، فَسَعْيُكَ مُوافَقَةُ حُكْمٍ لا مُعارَضَةُ قسمٍ.

---

(١) في «الكليات»: يُظْهِرُها.

﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا﴾ [الزخرف:٣٢] آيةٌ من قَاهِرِ الإِرَادَةِ الـمُحَتِّمَةِ فَعَلَتْ فَوقَ فِعْلِكَ قَبْلَ كَوْنِكَ، أَخَذَتْ زِمَامَكَ مِنكَ، فَنَمْ بِسَعْيِكَ على عَتَبَةِ بابِ التَّسْلِيمِ، قَدَّرَ قمرَ الإبرازِ منازلَ في سموات الأحكامِ بِحِكْمَةِ سُلطَانِهِ ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[الأنعام:٩٦]، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

قُلْ بِلِسَانِ قَلْبِكَ، اكْتُبْ بِقَلَمِ سِرِّكَ، طِرْ بِجَناحَي رُوْحِكَ ويَقِينِكَ، وانْصَرِفْ عن قَالَبِكَ عن عِلْمِكَ عن عَمَلِكَ، دَعْ شِقْشِقَةَ الأَلفَاظِ، خُذْ بِلُبَابِ الحِكَمِ، مُتْ عن هواكَ، طَالِبْ عَزْمَكَ بالقِيامِ بِعَزَائِمِ الأُمورِ، سِرْ عنِ الـمَوجُودَاتِ سِيْرَةَ ذِي يَأْسٍ مِنْ غَيرِ الـمُوجِدِ -جَلَّتْ عَظَمَتُهُ-.

وَقَفَ القَومُ بِقُلوبِهِم مع مَشَائِخِهِمُ الأَحياءِ منهم والأَمْواتِ، واسْتَفَاضُوا سِرَّ الإِخلاصِ بِتَوَسُّطِ أرواحِهِم؛ لا لِكَونِهِم مُفِيْضِينَ، بل لكَونِـهِم مَـحَلَّ الفَيضِ الإِلـهيِّ، والْتِماسُ تَوَسُّطِ أَرْوَاحِهُم: هو التَّعَرُّضُ لِنَفَحاتِ الرَّحمنِ، والتَّشَوُّقُ[1] لبركَةِ تَجَلِّياتِهِ، وقد أُمِرْنا بالتَّعَرُّضِ للنَّفَحاتِ الرَّحمانِيَّةِ، والاتِّباعِ لِسُبُلِ أهلِ الإِنابَةِ للحَضْرَةِ القُدُّوسِيَّةِ[2]، فَعَلَيكَ -أيُّها السَّالِكُ- بهذينِ السِّرَّينِ(١/٣) ففيهما لكَ قُرَّةُ عَينٍ تَنْفِ الغَينَ، وتُسْقِطُ حُكْمَ البَيْنِ مِنَ البَيْنِ.

وإذا شَارَفَتْكَ مِنْ أَطْوَارِكَ أَحْوالٌ، فَنَقِّهَا مِنْ سَابِحَاتِ خَيالِكَ؛ فَإِنَّ حَضْرَةَ الخَيَالِ تَرْسُمُ لأَهْلِ الأَحْوالِ صُحُفَ شُؤونَاتٍ يَصْعُبُ عليهم تَفْرِيْقَها عنِ الحَقِيقَةِ، ومنها الشَّطحُ[3] والدَّعوى، وكلُّ ذلكَ لِرُعُونَةٍ تَـمَكَّنَتْ آثَارُها مِنَ القَلبِ، فإذا شَارَفَتِ

---

(١) في «البوارق»: التشوف.

(٢) قال سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[الأنعام:٩٠]، وقال جل شأنه: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾[لقمان:١٥].

(٣) قال السيد أبو الهدى الصيادي – قدَّسَ اللهُ سرَّه – في كتابه «نور الإنصاف» صـ ٦٧ – ٦٨ـ ما نصُّه: «نصَّ العارفون من السَّلف الصَّالح أنَّ الشَّطح: هو التَّجاوز، والتَّبجُّح، والتَّزحزح من مكانٍ إلى آخر، وهو رعونة دعوى لا يحتملها القلب فيلقيها إلى اللسان فينطق بها لسان الأحمق. =

الرَّجُلَ أَحْوَالُهُ مِنْ أَطْوارِهِ هَاجَتْ عليه؛ لِعَدَمِ تَـمَكُّنِهِ ورُعُونَتِهِ، فَصَالَ وجَالَ وعَرْبَدَ وقَالَ، والكُلُّ خَيالٌ، إِنَّا لله وإِنَّا إليه رَاجِعُونَ.

كُنْ -أَيُّها اللَّبِيبُ- في إِبَّانِ سُلوكِكَ مَـحَجَّةَ الطَّرِيقِ، سَائِساً لنفسِكَ، عَالِـماً بِأَحكَامِ سِياسَتِها، مُـمارِسَاً لأَسْرَارِ النُّفوسِ وما انْطَوَتْ عليه مِنَ الـمُحاضَرَاتِ والـمُضامَرَاتِ والخَفَايا الـمَكْتُومَاتِ، وحَقِّقْ عَزْمَكَ بالتَّمَكُّنِ فِي عَزَائِمِ الصِّدقِ، وانْسَلِخْ عن كُلِّ مُشَارَفَةٍ يَشْرُفُ منها طُورُ نَخْوَةِ نَفْسِكَ حتَّى لا تَبْقَى لكَ مِنْ آثَارِ كُلِّ مُشَارَفَاتِكَ غُبارُ نَخْوَةٍ، وهناكَ تُحْسَبُ فِي الرَّكْبِ، وتَصْلُحُ لِـمُجَالَسَةِ الأَحِبَّةِ ومُـجانَسَتِهِم، وإلَّا فأنتَ دَخيلٌ.

وتَشَبَّهْ بهم بِقَصْدِ التَّحَقُّقِ بأحوالِهِمْ والتَّمَكُّنِ بمقاماتهم، لا بِمُجَرَّدِ التَّقْلِيدِ الوَهْمِيِّ للتَّقَدُّمِ والغَرَضِ، واهْدِمْ صَوَامِعَ زَعْمِكَ بِذِكْرِ الموتِ، فهو هادِمُ اللَّذَاتِ، وصِرْ حَيَّاً بالله، وكَفَى بالله وَلِيّاً، والسَّلامُ.

= وقال آخرون: بل هي من الزَّلات التي لا تصدر عن محقق أصلاً.

وقالوا: الوليُّ إذا كان حاله أكمل من مقامه تصدر منه الكلمات الزَّائدة والشَّطحات، ويغلبه الوجد فيطيش طيش المعجب.

وقالوا: الشَّطح الَّذي يلفظ به أهل السُّكر من العارفين، هو كلامٌ صادرٌ عن وجدٍ وشوقٍ وشدة غليانٍ وعِظَمِ عشقٍ.

وهو في اللغة العربية: الحركة، يقال: شطح يشطح إذا تحرك، ويقال للبيت الذي تحرز فيه الدَّقيق مشطاح من كثرة ما يُحرِّكون فيه الدَّقيق، فشطح العارفين مأخوذٌ من حركة أسرارهم، ولسان الشَّطح كيف كان هو من أسباب الوقيعة بصاحبه، وهو نقصٌ في مرتبة الولاية، وذلك بالنِّسبة إلى المتمكِّنين من الأولياء، كمال بالنسبة إلى غيرهم، لكن على شرط قبوله التأويل الحسن، فإنَّ من الشَّطح ما يقبل التأويل، ومنه ما لا يقبل التَّأويل، فالشَّطح الَّذي يقبل التَّأويل إن كان عن حالٍ صادقٍ لا يؤاخذ صاحبه، وإن كان عن حالةٍ خياليةٍ فهو من الضَّلال المحض والعياذ بالله، والشَّطحات التي تصدر من أهل الأحوال الصَّادقة لا تقدح في مقامهم ومنازلهم، ولكن لا يُقتدى بهم فيها، ولا يصحُّ أن تروى أو تدون؛ لأنَّ ذلك من مزالق الأقدام، والمتمكِّنون من أهل المقامات لا يصرفهم الحال إلى قولٍ فوق التحدث بالنعمة...».

[(٢) أسرار الفاتحة][1]

وقال ﷺ ونفعنا به:

فاتِحَةُ الكتابِ عَرُوسُ القُرآنِ العَظِيمِ، بُرْهَانُ الكَلامِ القَدِيمِ، بها تَقُومُ أَرْكَانُ الطَّرِيقَةِ، وتُشَيَّدُ مَراسِيمُ الحَقِيقَةِ، وهي مَحَلُّ الأَسرَارِ، ومَدارُ انْدِلاعَاتِ الأَنْوَارِ، طُفْنَا في حَضَراتِ الغُيُوبِ حَضْرَةً حَضْرَة، وكَشَفْنَا عَجَاجَ سَاحَاتِ الـمُشَاهَدَاتِ سَاحَةً سَاحَة، ووصَلْنا إلى غَايَاتِ الغَايَاتِ، ومُنْتَهى آمَالِ السَّادَاتِ، فَما رَأَينا أعلى نَهْضَةً، وأَقْرَبَ جَذْباً إلى سُرادِقَاتِ[2] العِناياتِ من تِلاوَةِ فاتِـحَةِ الكِتَابِ.

نَعَمْ، إنَّها السِّرُّ الفَيَاضُ، والـمَدَدُ الـهَطَّالُ، والسَّيفُ القَاطِعُ، والبَرَكَةُ الجَارِيَةُ، فيها حَالٌ من أَحْوَالِ القُدْرَةِ، وشَأْنٌ من شُؤُونِ العَظَمَةِ، ونُورٌ مِنْ أنوارِ السُّلطَانِ، ودَهْشَةٌ من دَهَشَاتِ الـجَبَروتِيَّةِ[3]، وهَيْبَةٌ من هَيبَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ، وإنَّها لَـحَضْرَةٌ وَسِيعَةٌ من حَضَرَاتِ الأَمْرِ الـمُطْلَقِ تَخْضَعُ لها أَعْنَاقُ أَهْلِ الـمُراقَبَةِ، وتَثِقُ بها قُلوبُ الـمُحَقِّقِينَ، وتَنْشَطُ بها هِـمَمُ العارِفِينَ، ويَتَّصِلُ بها حِبَالُ الـمُنْقَطِعِينَ، أَلا وهِيَ سُلَّمُ الوَصْلِ إلى القَصْدِ، بابُ النَّجَاحِ، (٣/ب) طَرِيقُ الفَلاحِ، نَارُ الله الـمُوقَدَةُ على الأَعْدَاءِ، تِرِيَاقُ السَّلامَةِ لِلأَولِياءِ، وقَدْ قَرَّرَ أَهْلُ هذه الحَضْرَةِ أَنَّ تِلاوَتَها بَرَكَةٌ لا تَنْقَطِعُ، ولها أَسْرارٌ يَعْرِفُها أَهْلُ التَّوفِيقِ من أَحبابِ الله، وخَاصَّةِ أَهلِ حَضْرَتِهِ، ولو أَرَادَ العَارِفُ أَنْ يَتَصَرَّفَ بها مِنْ قَافٍ إلى قَافٍ لَفَعَلَ - بإِذْنِ الله تعالى وقُدْرَتِهِ وحَولِهِ وقُوَّتِهِ -.

---

(١) انظر: «الكليات» صـ٨٨-٩١ـ.

(٢) السُّرَادِق: ما أحاط بالبناء، والجمع سُرادِقات. «لسان العرب» مادة: (سردق)

(٣) الجبروت: عند الصوفية عبارة عن الذات القديمة، وهي صيغة المبالغة بمعنى الجبر، والجبر: إما بمعنى الإجبار، أو بمعنى الاستعلاء، والجبار: الملك تعالى كبرياؤه متفرِّدٌ بالجبروت؛ لأنه يجري الأمور مجاري أحكامه، ويجبر الخلق على مقتضيات إلزامه. «موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون» ١/ ٥٤٩.

وَتِلاوَتُها إنْ كانَتْ بِعَدَدٍ مُفْرَدٍ، فَلْتَكُنْ لِأَمْرِ الآخِرَةِ وحَوائِجِها والإِقْبالِ على الله تعالى، وإنْ كانَتْ بِعَدَدٍ مُثَنًّى، فَلْتَكُنْ لِأَمْرِ الدُّنيا وما يَؤُولُ إليها:

١. تُقْرَأُ إِحْدَى عَشَرَةَ مَرَّةً كُلَّ يومٍ صَباحاً، وكذلك مساءً؛ لِصِحَّةِ الإلهامِ.

٢. وتُقْرَأُ إِحدَى وَعِشْرِينَ مَرَّةً صباحاً ومساءً؛ لِرُكُونِ القَلْبِ إلى الله تعالى.

٣. وتُقْرَأُ إِحْدَى وثَلاثِينَ مَرَّةً صباحاً ومساءً؛ لاسْتِعْطَافِ قَلبِ النَّبيِّ ﷺ.

٤. وتُقْرَأُ إِحْدَى وأَرْبَعِينَ مَرَّةً كذلك؛ لِحُصُولِ مَدَدِ رِجالِ الغَيبِ.

٥. وتُقْرَأُ إِحْدَى وخَمْسِينَ مَرَّةً؛ لِنُورِ السِّرِّ وبَرَكَتِهِ.

٦. وتُقْرَأُ إِحْدَى وسِتِّينَ مَرَّةً؛ لِثَباتِ العَزْمِ والعَزِيمَةِ في الله تعالى.

٧. وتُقْرَأُ إِحْدَى وسَبْعِينَ مَرَّةً؛ لِدَوامِ التَيَقُّظِ، ولِدَفْعِ دَسَائِسِ الشَّيْطَانِ.

٨. وتُقْرَأُ إِحْدَى وثَمانِينَ مَرَّةً؛ لِمَحْقِ عَوارِضِ النَّفْسِ.

٩. وتُقْرَأُ إِحْدَى وتِسْعِينَ مَرَّةً؛ لاسْتِحْكَامِ نُورِ الذِّكْرِ في حَظِيْرَةِ القَلْبِ ومَشْهَدِ الرُّوحِ.

١٠. وتُقْرَأُ مِئَةً وإِحْدَى عَشَرَ مَرَّة؛ لِدَوامِ الحُضُورِ في السُّلوكِ إلى الله تعالى.

١١. وتُقْرَأُ مِئَتَيْنِ وإِحْدَى وَعِشْرِينَ مَرَّة؛ لِغَلَبَةِ الهَوَى، وقَهْرِ الشَّيطَانِ، والتَّخَلُّصِ مِنْ غَوائِلِ القَطِيْعَةِ.

١٢. وتُقْرَأُ ثَلاثَمِئَةٍ وإِحْدَى وثَلاثِينَ مَرَّة؛ للاسْتِفَاضَةِ مِنْ أَرْوَاحِ الأَنْبِياءِ والمُرْسَلِينَ - عليهم الصَّلاة والسَّلام -.

١٣. وتُقْرَأُ أَرْبَعَمِئَةٍ وإِحْدَى وأَرْبَعِينَ مَرَّة؛ لِحُصُولِ نَفَحَاتِ الله في الأَسْحَارِ.

١٤. وتُقْرَأُ خَمْسَمِئَةٍ وإِحْدَى وخَمْسِينَ مَرَّة؛ للاسْتِفَاضَةِ الخَاصَّةِ مِنْ الخَضِرِ عليه السلام.

١٥. وتُقْرَأُ سِتَّمِئَةٍ وإِحْدَى وسِتِّينَ مَرَّة؛ لِفَهمِ أَسْرَارِ كتابِ الله تعالى.

١٦. وتُقْرَأُ سَبْعَمِئَةٍ وإِحْدَى وسَبْعِينَ مَرَّة؛ لِنَشَاطِ العَزْمِ، ولِقِيَامِ اللَّيْلِ وصِدْقِ الحَالِ بِذِكْرِ الله تعالى.

١٧. وتُقْرَأُ ثَمانَمِئَةٍ وإِحْدَى وثَمانِينَ مَرَّة؛ لِسَبْحِ حَضْرَةِ القَلْبِ في عَوالِمِ الله تعالى السُّفْلِيَّةِ.

١٨. وتُقْرَأُ تِسْعَمِئَةٍ وإِحْدَى وتِسْعِينَ مَرَّة؛ لِسَبْحِ حَضْرَةِ القَلْبِ في عَوالِمِ الله تعالى العُلْوِيَّةِ.

١٩. وتُقْرَأُ أَلْفاً ومِئَةً وإِحْدَى عَشَرَ مَرَّة؛ لاسْتِحْصَالِ المَدَدِ من رِجَالِ حَضَرَاتِ الله مِنَ الأَمْواتِ.

٢٠. وتُقْرَأُ(١/٤) أَلفاً ومِئَتَينِ وإِحْدَى وعِشْرِينَ مَرَّة؛ لاسْتِحْصَالِ المَدَدَ مِنْ رِجَالِ حَضَرَاتِ الله مِنَ الأَحْيَاءِ.

٢١. وتُقْرَأُ أَلفاً وثَلاثَمِئَةٍ وإِحْدَى وثَلاثِينَ مَرَّة؛ لِصِحَّةِ الفَنَاءِ في الله والبَقَاءِ به، وهنا الغَايَةُ.

ولم يَسْبِقْنِي - والحَمْدُ لله - بِنَشْرِ طَيِّ هذا السِّرِّ المُحَمَّدِيِّ سَابِقٌ، وقَدْ أَخَذْتُ كُلَّ ذَلِكَ حَرْفاً حَرفاً مِنْ سِرِّ الوجوداتِ ﷺ، والحمدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ.

٢٢. وتُقْرَأُ إِحْدَى وتِسْعِينَ مَرَّةً خَاصَّةً لِرُوحِ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِحُصُولِ كُلِّ مقْصَدٍ، ولِدَفْعِ كُلِّ مُهِمٍّ، وعلى نِيَّةِ كُلِّ حَاجَةٍ كانَتْ مِنْ حَوائِجِ الدُّنيا والآخِرَةِ.

٢٣. وتُقْرَأُ مِئَةَ مَرَّةٍ كُلَّ يوم؛ لِقَضَاءِ الدَّينِ.

٢٤. وتُقْرَأُ مِئَتَي مَرَّةٍ؛ لِتَسْهِيلِ المَقَاصِدِ.

٢٥. وتُقْرَأُ ثَلاثَمِئَةِ مَرَّةٍ؛ لِقَهْرِ العَدُوِّ، ولِلْغَلَبَةِ عَلَيْهِ بِإِذْنِ الله تعالى.

٢٦. وتُقْرَأُ أَرْبَعَمِئَةِ مَرَّةٍ؛ للنُّصْرَةِ في كُلِّ حَالٍ.

٢٧. وتُقْرَأُ ثَمانِيَةً وأَرْبَعِينَ مَرَّةً؛ لِلْحِفْظِ مِنَ الصَّائِلِ، والسَّارِقِ، ومِنْ كُلِّ طَارِقٍ.

٢٨. وتُقْرَأُ أَرْبَعَمِئَةٍ وثَمانِيَةً وأَرْبَعِينَ مَرَّة؛ لِحُصُولِ قُوَّةٍ في البَدَنِ والنَّفْسِ.

٢٩. وتُقْرَأُ خَمْسَمِئَةِ مَرَّةٍ؛ لِحِفْظِ المالِ والعِيالِ مِنْ سُوءِ النَّظَرِ، ومِنْ عَوارِضِ الخَطَرِ.

٣٠. وتُقْرَأُ سِتَّمِئَةِ مَرَّةٍ؛ لاسْتِنْزَالِ الغَيثِ- بإذن الله تعالى -.

٣١. وتُقْرَأُ سَبْعَمِئَةِ مَرَّةٍ؛ لِشَتَاتِ أَمْرِ العَدُوِّ، وفَكِّ رَابِطَةِ حَالِهِ.

٣٢. وتُقْرَأُ ثَمانَمِئَةِ مَرَّةٍ؛ لِلْحِمَايَةِ مِنَ السِّحْرِ وخدعَةِ الكَهَنَةِ، ومِنْ دَسَائِسِ أَهْلِ البِدْعَةِ والضَّلَالَةِ.

٣٣. وتُقْرَأُ تِسْعَمِئَةِ مَرَّةٍ؛ لِلْأَمَانِ مِنَ الأَمْرَاضِ البَاطِنَةِ والـخَارِجَةِ.

٣٤. وتُقْرَأُ أَلْفَ مَرَّةٍ؛ لِنُمُوِّ الرِّزْقِ وعُلُوِّ القَدْرِ والـمَكَانَةِ.

٣٥. وتُقْرَأُ أَلفاً ومِئَةَ مَرَّةٍ؛ لِـحُصُولِ الـهَيْبَةِ في أَعْيُنِ النَّاسِ.

٣٦. وتُقْرَأُ أَلفاً ومِئَتِي مَرَّةٍ؛ لِصَلاحِ العَدُوِ ولِـهَلاكِهِ.

٣٧. وتُقْرَأُ أَلفاً وثَلاثَمِئَةِ مَرَّةٍ؛ للتَّدَرُّعِ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذي شَرٍّ.

٣٨. وتُقْرَأُ مَرَّةً كلَّ يومٍ أو كلَّ وَقْتٍ؛ لِصِيانَةِ الوَجْهِ مِنْ ذُلِّ الـحَاجَةِ.

٣٩. وتُقْرَأُ مَرَّتَينِ؛ لِـحُسْنِ الجَوابِ.

٤٠. وتُقْرَأُ ثَلاثاً؛ لِقَبُولِ الوَجْهِ.

٤١. وتُقْرَأُ أَرْبَعاً؛ لِدَفْعِ الوَسْوَاسِ.

٤٢. وتُقْرَأُ خَمْساً؛ للنَّجَاةِ مِنَ الظَّالِـمِينَ.

٤٣. وتُقْرَأُ سِتّاً؛ لِصِيانَةِ الأَرْضِ مِنْ شَرِّ الطَّارِقِينَ بِسُوءٍ.

٤٤. وتُقْرَأُ سَبْعاً؛ لِإِهْلَاكِ البَاغِي.

٤٥. وتُقْرَأُ ثَمانِيَةً؛ لِلنَّجاةِ مِنْ هَوْلِ البَحْرِ.

٤٦. وتُقْرَأُ تِسْعاً؛ للنَّجاةِ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ.

٤٧. وتُقْرَأُ عَشْراً؛ لِدَوامِ العِزَّةِ، وتَأْبِيْدِ البَرَكَةِ، والإِقْبَالِ في الحَالِ والـمآلِ.

٤٨. وتُقْرَأُ للنَّبيِّ ﷺ ولِـخَاصَّةِ عِبادِ الله الصَّالِحِينَ على كُلِّ نِيَّةٍ.

وقَدْ حَدَّثَنِي الشَّيْخُ الإِمَامُ خَالِي أَبُو الفَضَائِلِ بَازُ الله الأَشْهَبِ مَنْصُورٌ البَطَائِحِيُّ الرَّبَّانِيُّ ﷺ بِسَنَدِهِ إلى النَّبِيِّ ﷺ (٤/ب) أَنَّهُ قال: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...» الحَدِيثُ[١].

وقَدْ أَجَازَنِي بِقِرَاءَةِ الفَاتِحَةِ، وقالَ: الإِجَازَةُ سِيفُ الـمُجَازِ، وسُلَّمُ وصْلَتِهِ إلى الـحَقِيقَةِ مِنَ الـمَجَازِ، وأنا أَقُولُ: هي مِنِّي إِجَازَةٌ عَامَّةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وخَاصَّةً لِـمَنْ تَمَسَّكَ بِي وبِذُرِّيَّتِي وبِخُلَفَائِي إلى يَومِ القِيَامَةِ مِنَ الـمُسلِمِينَ، والـحَمْدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ.



(١) رواه عن سيدنا عمر ﷺ: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب الإيمان (١)، باب كيف كان بدء الوحي... (٣٩) رقم ١، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الإمارة (٣٣)، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية...» (٤٥) رقم ١٩٠٧.



[(٣)حزب الحراسة](١)

وقال ﷺ وعنا به ونفعنا ببركة أنفاسه الطاهرة في الدنيا والآخرة:

لا يَثْقُلْ على أَحَدِكُمْ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ قِرَاءَةِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾؛ فَإِنَّها سِرُّ الله الأَعْظَمِ، سَيْفُهُ القَاطِعِ، نُورُ قُدْسِهِ اللَّامِعِ، فُتِحَ عَلَيَّ في مَقَامِ الشُّهُودِ الجَامِعِ الأَتَمِّ بِكَلِمَاتٍ انْتَظَمَتْ بِبِسْمِ الله، فَهَتَفَ بِي هَاتِفُ الغَيْبِ أَنْ سَمِّها: «حِزْبُ الحِرَاسَةِ»، فَسَمَّيْتُهَا كَذَلِكَ.

وَرَأَيْتُ لَيلَةَ ثَامِنِ عَشَرَ شَوَّال سَنَةَ إِحْدَى وخَمْسِينَ وخَمْسِمِئَةٍ حَبِيْبِي رَسُولَ الله ﷺ فَأَذِنَ لي بِالمُداوَمَةِ على هذا الحِزْبِ المُبَارَكِ صَبَاحاً ومَسَاءً، وبَشَّرَنِي أَنَّ مَنْ دَاوَمَ عَلَيهِ يَكُونُ مَحرُوساً بِعَينِ عِنَايَةِ الله، مَلْحُوظاً بِنَظَرِ الرَّأْفَةِ مِنْ رَسُولِهِ ﷺ، فَمَنْ أَرَادَ فَلْيُدَاوِمْ عَلَيهِ ولا يَقْطَعَنَّكُم ما دَوَّنَهُ القَومُ بِالإِلهامِ الصَّحِيحِ مِنَ الأَحْزَابِ والدَّعَواتِ عن قِراءَةِ القُرآنِ والأَدْعِيَةِ المأْثُورَةِ عن النَّبيِّ ﷺ؛ فإنَّها رُوحُ النَّفْحِ الأَتَمِّ وسِرُّ البَرَكَةِ الجَامِعَةِ، وكُلُّ ما أُلهِمَ به الصَّالِحُونَ فَهُوَ مِنْ بَرَكَاتِ القُرآنِ العَظِيمِ ومِنْ عَوارِفِ مَدَدِ الرَّسُولِ الكَرِيمِ ﷺ، وهذا ما أُلهِمْنا به والأَمْرُ لله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ الله تَوَكَّلْتُ على الله، بِسْمِ الله اعْتَصَمْتُ بِالله، بِسْمِ الله انْتَصَرْتُ بِالله، بِسمِ الله ما شَاءَ اللهُ لا يَأْتِي بِالخَيْرِ إِلَّا اللهُ، بِسمِ الله ما شَاءَ اللهُ لا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللهُ، بِسمِ الله ما شَاءَ اللهُ ما كانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهُ، بِسْمِ الله ما شَاءَ اللهُ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله، بِسمِ الله ظَهَرَ سِرُّ الله، بِسْمِ الله جَاءَ نَصْرُ الله، بِسمِ الله أَتَى أَمْرُ الله، بِسْمِ الله بَرَزَتْ غَارَةُ

(١) انظر: «الكليات» صـ٩٦-٩٧ـ.

اللهِ، بِسْمِ اللهِ تَـمَّتْ كَلِمَةُ اللهِ، بِسْمِ اللهِ رَكِبَتْ خُيُولُ اللهِ[1]، بِسْمِ اللهِ انْتَشَرَتْ جُنُودُ اللهِ، بِسْمِ اللهِ قَامَتْ[2] رِجَالُ اللهِ، بِسْمِ اللهِ لَـمَعَتْ آيَاتُ اللهِ، بِسْمِ اللهِ نَحْنُ في أَمَانِ اللهِ، بِسمِ اللهِ علينا سِتْرُ اللهِ، بِسْمِ اللهِ حَوْلَنَا حِصْنُ اللهِ،(٥/أ) بِسْمِ اللهِ فَوقَنَا حِفْظُ اللهِ، بِسْمِ اللهِ يَـحْرُسُنا حِزْبُ اللهِ، بِسْمِ اللهِ دَخَلْنَا في سَاحَةِ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، بِسمِ اللهِ خَرَجْنَا إلى صَحْرَاءِ أَمَانِ: مُـحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، بِسْمِ اللهِ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، بِسْمِ اللهِ نَحْنُ الغالِبُونَ بِإِذْنِ اللهِ، بِسْمِ اللهِ مَعَنَا يَدُ اللهِ، بِسْمِ اللهِ وكَفَى بِاللهِ، بِسْمِ اللهِ والـحَمْدُ للهِ، بِسْمِ اللهِ واللهُ أَكْبَرُ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، وصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ.

أقول: لا بَأْسَ أَنْ يُقْرَأَ هذا الـحِزْبُ مَرَّتَيْنِ صَباحاً ومَساءً، أو بِقَدْرِ ما يُيَسِّرُهُ اللهُ مِنَ العَدَدِ، وأَنْ يُبْتَدَأَ بالفَاتِحَةِ لِـحَضْرَةِ الـمُصْطَفَى وآلِهِ وأَصْحابِهِ، ويُـخْتَمَ بالفَاتِحَةِ لِـحَضْرَةِ الإِمَامِ الرِّفَاعِيِّ، رَضِيَ اللهُ عنهُ وذُرِّيَّاتِهِ وآبائِهِ وأَجْدادِهِ وإِخْوَانِهِ أَوْلياءِ اللهِ أَجْمَعِينَ.

(١) قال محمد بن القاسم الأنباري في كتابه: «الزاهر في معانى كلمات الناس» رقم ٣٤٣ في الحديث الشريف الذي يرويه الحاكم - في «المستدرك» كتاب التفسير (٢٧) رقم ٣٣٨٦، وقال: هذا حديث صحيح، ووافقه الذهبي - عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً: «يا خيلَ الله اركبي وأبشري بالجنة»: قال أبو بكر: معناه يا فرسانَ خيلِ الله اركبوا وأبشروا بالجنة، فحُذِف الفرسان، وأُقيمت الخيل مقامهم، ثم صُرِف الفعل إلى الخيل، العربُ تقول: رَكبتْ خيلٌ إلى الشام، يريدون: ركب فرسانُ الخيلَ.

(٢) في «الكليات»: جاءت.

[(٤) النظام الخاص لأهل الاختصاص][1]

وقال ﷺ وعنا به ونفعنا بعلومه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله تَمْجِيداً لِذَاتِهِ المُسْتَحِقَّة الحَمْد، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نَبِيِّهِ ورَسُولِهِ السَّيِّدِ الكَرِيمِ مُحَمَّدٍ، صَاحِبِ لِواءِ الحَمْدِ، وعلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ الثَّابِتِينَ على العَهْدِ، والمُوَفِّينِ بالوَعْدِ.

أما بعد:

أي سَادَة، ذَرَّاتُ الحَادِثَاتِ مَحْكُومَةٌ لِسُلْطَانِ الخَالِقِيَّة، ومنها العَالَمُ الإِنْسَانِيُّ، فهو مَرْؤُوسٌ مَقْدُورٌ لِذَلِكَ السُّلْطَانِ الرَّبَّانِيِّ، وهو في قَبْضَتِهِ، وكُلُّ فَرْدٍ منه مَمْلُوكٌ لِبارِئِهِ، عَبْدٌ لَهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، حرٌّ بالنِّسْبةِ إلى غَيْرِ البَارِي تَعَالَتْ قُدْرَتُهُ، والنَّاسُ في مَرْتَبَةِ المملُوكِيَّةِ ومَنْزِلَةِ العَبْدِيَّةِ له سُبْحَانَهُ وتَعَالَى سَواءٌ، فَكُلَّما صَحَّتْ نِسْبَةُ العَبْدِ إلى سَيِّدِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ ارْتَفَعَ في مَقَامَ عَبْدِيَّتِهِ عن إِخْوانِهِ في نَوعِهِ وعلا عَلَيهِم، حتَّى إذا صَارَ لَهُ مِنَ السُّلطَانِ الإِلَهِيِّ مَعْنَىً تَرَأَّسَ به لا بِنَفْسِهِ على غَيْرِهِ، وسِعَةُ أَمْرِ رِيَاسَتِهِ هي بِنَسْبَةِ المعنى الحَاصِلِ له مِنْ قُدْسِ بَارِئِهِ جَلَّ وعَلا.

هؤلآءِ المُرسَلونَ في النَّبِيِّينَ أعلا منهم مَرْتَبَةً، وأَوْسَعُ رِيَاسَةً، هؤلآءِ أولو العَزْمِ مِنَ المُرْسَلِينَ، أَرْفَعُ مَقاماً، وأَعَمُّ أَمْراً، هذا سَيِّدُ أُولِي العَزْمِ نَبِيُّنَا البَرُّ الرَّحِيمُ صلَّى اللهُ وسَلَّمَ عليه وعَلَيهِمْ أَجْمَعِينَ فهو في أُولِي العَزْمِ أَعْظَمُ مَكَانَةً، وأَشْمَلُ دَعْوَةً، وأَوْسَعُ دَائِرَةً، وأَتَمُّ حُكْماً، وأَبْلَغُ حُجَّةً، وأَمْنَعُ سُلْطَاناً؛ لِـمَا حَصَلَ له من جَلِيلِ المعنى القُدْسِيِّ فَوْقَ غَيْرِهِ مِنْ إِخْوانِهِ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ، صَلَواتُ الله عليه وعليهم أَجْمَعِينَ. (٥/ب)

---

(١) انظر: «الكليات» صـ٤٨ – ٧٤.

وعلى هذا، فَالأَمْرُ النَّافِذُ القَائِمُ الـمُحَكَّمُ في عَوالِـمِ الإِنْسَانِ، هو الأَمْرُ الإِلـهِيُّ، والقَائِمُونَ به بالتَّقْلِيدِ الرَّبَّانِـيِّ: الأَنبِيَاءُ والـمُرسَلُونَ، وعَنْهُمُ العُلَمَاءُ بِالله حُكَمَاءُ الدِّيْنِ، الَّذِينَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وزِمَامُهُ بِيَدِ نَائِبِ النُّبُوَّةِ في كُلِّ عَهْدٍ وزَمَنٍ، به يَصُولُ ويَـجُولُ، ويَفْعَلُ ويَقُولُ، وتَـخْضَعُ له الفُحُولُ، وله الرِّيَاسَةُ العَامَّةُ في مَقَامِ النِّيَابَةِ الـمَحْضَةِ الـجَامِعَةِ، وبَعْدَهُ فَالقَومُ أَرْبَابُ البَصَائِرِ الـمُنْدَرِجُونَ في ذَيْلِ العِلْمِ بِحَالِ النُّبُوَّةِ وسِرِّ الـخَلْقِ وحُكْمِ الـخَالِقِيَّةِ، فَلَهُم كُلٌّ بِنِسْبَتِهِ حِصَّةٌ[1] رِيَاسَةٍ على مَنْ دُونَهُ مِنْ إِخْوَانِهِ، يُعَلِّمُهُم يُزَكِّيهِم يَرْفُقُ بهم؛ لِتَعْلِيمِهِم، يَغْلُظُ عليهم؛ لِتَأْدِيبِهِم، يَسُوقُهُمْ إلى بِسَاطِ العِلْمِ وحَضْرَةِ الفَهْمِ؛ لِيُنْقِذَهُمْ مِنْ وَهْدَةِ الـجَهْلِ، مِنْ أَسْرِ الانحِطَاطِ عَنْ هذا السِّرِّ، لِيُخْرِجَهُم مِنَ الظُّـلُمَـاتِ إلى النُّورِ، مِنْ ظُلُمَـاتِ سَفِلِ[2] الطَّبْعِ، ودَنَاءَةِ الـهِمَّةِ، وقِصَرِ النَّظَرِ، وسُقْمِ الغَايَةِ إلى نُورِ شَرَفِ الطَّبْعِ، وعُلُوِّ الـهِمَّةِ، وصِحَّةِ النَّظَرِ، وجَلِيلِ الغَايَةِ، فَيُقَوِّمُ اعوِجَاجَهُم، ويُصْلِحُ احْدِيْدَابَهُم، وتَذْهَبُ طَمَّةُ فَشَلِهِم، وتَنْطَمِسُ نَوْرَةُ ذِلَّتِهِم، العِزَّةُ لله ولِرَسُولِهِ ولِلمُؤْمِنِينَ.

لا تَزْعُمُ أي أَخَا الـحِجَابِ أَنَّ أَخَاكَ – الإِنْسَانَ الآخَرَ- عَبْدُكَ بِدُرَيْـهِمَـاتِكَ، بِوَقْتِكَ، بِحَظِّكَ، بِشَأْنِكَ، بما أَنْتَ فيه مِنْ أَمْرِكَ، هو فَوقَ ذلك، وأنت دُونَ ذلك! كُلُّ مَنْ سَاوَاكَ بِتَرْكِيبِ الـهَيْكَلِ، أو مَاثَلَكَ بِالصُّورَةِ والنَّسَقِ، فَهُوَ أَخُوكَ بِجِنْسِيَّتِكَ، شَرِيْكُكَ بِآدَمِيَّتِكَ، لا هو مَـمْلُوكُكَ، ولا أَنْتَ مَالِكُهُ.

وكُلُّ مَنْ خَالَفَكَ بِتَرْكِيبِكَ، فَهُوَ مُلْحَقٌ بِجِنْسِهِ حَقُرَ أو عَظُمَ، وأَنْتَ مُلْحَقٌ بِجِنْسِكَ، فَاعْرِفْ حَدَّكَ، ولا تَبْقَ وَحْدَكَ.

حَاجَتُكَ مُلزِمَةٌ لكَ، وحَاكِمَةٌ عَلَيكَ بِالانْضِمَامِ إلى أَبْنَاءِ جِنْسِكَ والاسْتِئْنَاسِ بِهِم، وقَاضِيَةٌ على طَبْعِكَ بِالأَدَبِ مع صُنُوفِ أَجْنَاسِ الأَشْيَاءِ، ومِنْ ذَوَاتِ أَرْوَاحٍ وجَـمَادَاتٍ بَارِزَاتٍ ومَطْوِيَّاتٍ، عُلْوِيَّاتٍ وسُفْلِيَّاتٍ.

---

(١) في الكليات: فَلَهُم - كُلٌّ بِنِسْبَةِ حِصَّتِهِ - رِيَاسَةٌ على مَنْ دُونَهُ.

(٢) السَّفِلَةُ: بِفَتْحِ السِّينِ وَكَسْرِ الفَاءِ السُّقَاطِ مِنَ النَّاسِ. «مختار الصحاح» مادة: (سفل).

فاجْـمَعْ رَأْيَكَ على العِلْمِ بِالله، لِتَعْلُو في مَرْتَبَةِ آدَمِيَّتِكَ بَيْنَ جِنْسِكَ، ولِتَزْكُوَ في نَفْسِكَ، ولا تَكُنْ قَلِيلَ العِبْرَةِ، خَامِلَ الـهِمَّةِ، قَصِيرَ النَّظَرِ، انْظُرْ حُكْمَ رَبِّكَ، سِرْ بِرُوحِكَ، سَيِّرْ هِـمَّتَكَ في مُلْكِهِ سُبْحَانَهُ، اعْتَبِرْ بِمَصْنُوعَاتِهِ، قال تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾[الحشر:٢].

اسْتَرَقَّ أَمْرُهُ أَقْوَاماً؛ هم لولا أَنِ اسْتَرَقَّهُم(٦/أ) أَمْرُهُ أَحْرَارٌ، خَالَفُوهُ فَأَوْقَعَهُم في وَهْدَةِ الرِّقِ؛ اسْتَعْبَدَهُم عِصْيَانُهُم، أَذَلَّـهُم طُغْيَانُهُم، فَخُذْ بِـهِمَّتِكَ العَلِيَّةِ طَرِيقَ الاسْتِسْلامِ لَهُ مَـحَجَّةً، وسِرْ إليه أَمِيناً مِنْ غَيْرِهِ، لا تَقُلْ: قَدَرُهُ أَوْقَفَنِي عَنِ السَّيْرِ إِلَيهِ! هذا مِنْ بَطَالَتِكَ، مِنْ كَسَلِ عَزْمِكَ، وفُتُورِ عَزِيْمَتِكَ!

اجْعَلِ القَضَاءَ والقَدَرَ صَفّاً، وابْعَثْ مَعَهُما: قَلْبَكَ ويَقِيْنَكَ واعْتِقَادَكَ، واجْعَلِ العَقْلَ والتَّدْبِيْرَ صَفّاً وابْعَثْ مَعَهُما: رَأْيَكَ وحَزْمَكَ وأَمَلَكَ بِرَبِّكَ واعْتِمَادَكَ، وأَقِمْ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ حَرْبَ العَمَلِ، وكُنْ أَنْتَ في صَفِّ العَقْلِ والتَّدْبِيرِ الـمُؤَيَّدِ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِالله، وبِصِدْقِ الاعْتِمَادِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ، فَإِذَا انْكَشَفَ غُبَارُ ذَلِكَ الـحَرْبِ عَنْ غَلَبَةٍ لَكَ في أَمْرِكَ، فَقَدْ أَثْمَرَ غُصْنُ أَمَلِكَ بِرَبِّكَ، وحُسْنُ ظَنِّكَ بِهِ، وصِدْقُ اعْتِمَادِكَ عَلَيْهِ، فَفُزْتَ بِمَطْلُوبِكَ.

وإِنِ انْكَشَفَ الغُبَارُ عَنْ مَغْلُوبِيَّةٍ لَكَ في شَأْنِكَ، فَقَدِ انْكَشَفَ لَكَ غِطَاءُ القَدَرِ، وأَنْتَ حِيْنَئِذٍ مَعْذُورٌ، وسَعْيُكَ مَشْكُورٌ، وعَمَلُكَ عِنْدَ الله تَعَالى وخَاصَّةِ عِبَادِهِ مَبْرُورٌ.

اللهَ اللهَ بِكَ، أُوْصِيْكَ بِكَ أَيُّها العاقِلُ؛ فَإِنَّكَ خِزَانَةٌ مِنْ خَزَائِنِ الرَّحمَنِ، عَظِيمٌ عِنْدَ مَنْ صَوَّرَكَ إِنْ عَظَّمْتَ ذَاتَكَ وعَرَفْتَ شَرَفَها؛ قَدِ امْتَازَكَ رَبُّكَ بِالعَقْلِ، ورَفَعَ به دَرَجَتَكَ على مَنْ هُوَ دُونَكَ، وأَعْطَاكَ لِسَاناً يَقْذِفُ دُرَرَ الـحِكْمَةِ إلى سَامِعِيْهِ، فَيَخْتَلِبُ(١) بها قُلُوبَهُم، ويَشْغَلُ أَلْبَابَهُم، ويَعْقِدُ هِمَمَهُم، ويُوْقِفُهُم عِنْدَ حُدُودِهِم، ويَـجْمَعَهُم على صَعِيدِ القَصْدِ، فلا تَسْتَصْغِرْ شَرَفَ الكَلامِ، وتُهمِلْ مَرْتَبَتَهُ الَّتي هي أَعْلَى الـمَرَاتِبِ الـمُتَدَلِّيَةِ مِنَ العُلَى تَدَنِّياً إلى العَالَـمِ الأَدْنَى.

---

(١) يختلب: خلَبه بمَنْطِقه: إذا أمال قلبَه بألطف القول. «المُغرِب في تَرْتِيبِ المُعْرِبِ» مادة: (خلب).

هذه: ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ي، هي حُرُوفُ التَّهَجِّي، ورَابِطَةُ نَظْمِ الكَلام، وكِتَابُ الله الـمُنَزَّلِ على آدَمَ عليه السلام، والكَلامُ سَيْفُ الله الَّذِي يَـجْمَعُ بِهِ ويُفرِّقُ، ويُبَغِّضُ به ويُـحَبِّبُ، ويَفْعَلُ به العَجَائِبَ، تَصْلُحُ به القُلوبُ، تَرْتَبِطُ به الأَسْرَارُ، تَلِينُ بِسَبَبِهِ الـخَواطِرُ، تَـحْصُلُ به الأُلْفَةُ والـمَوَدَّةُ، تُشَقُّ به العَصَا، تَنْحَدِرُ مِنْ مَوْجَتِهِ سُيُولُ الفِتَنِ، تَنْطَلِقُ بِسَيَّالِ مَـخْدَرِهِ عَوائِثُ غُثَاءِ الـمِحَنِ،(٦/ب) تَنْشَطُ بِهِمَّةِ أَسَالِيبِهِ الـهِمَمُ، تَرْتَفِعُ بِنَهْضَتِهِ العَزَائِمُ إلى حَضْرَةِ القُرْبِ، تَنْحَدِرُ بِجَاذِبِيَتِهِ الـمَواهِبُ إلى حَظِيْرَةِ القَلْبِ، وَرَاءَهُ السَّيْفُ الـمُصْلَتُ؛ إِذْ هُوَ مُـخَبَّأٌ فِي طَيِّهِ، يُلْقَى هو أَوَّلاً، ويَقُومُ له السَّيفُ ثَانِياً، فَهُوَ مِنْ آلاتِهِ، مِنْ مَوادِّهِ، يَعْمَلُ له لِيَرْجِعَ النَّظْمُ إِليه.

كَلِمَةٌ يَقُولـُها القَائِلُ، وهو كَافِرٌ زِنْدِيقٌ، فَيَقِفُ بها في صَفِّ الـمُؤْمِنِينَ الـمُوقِنِينَ!

وكَلِمَةٌ يَقُولـُها القَائِلُ، وهو مُؤْمِنٌ وَثِيقٌ، فَيَقِفُ بها في صَفِّ الكَافِرِينَ الجَاحِدِينَ!

بِبَيْعَتِكَ - أيُّها اللَّبِيْبُ - على اسْمِ رَبِّكَ، بِعَهْدِكَ على طَرِيقِ نَبِيِّكَ، تَتَصَدَّرُ في مَـحاضِرِ القُدْسِ، هي كَلِمَةٌ قُلْتَها، وَوَقَفْتَ عِنْدَها، فَدَخَلْتَ في القَوْمِ الَّذِينَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا.

الكلامُ الَّذي يَنْطِقُ به لِسَانُكَ، ويَأتِي بِمَوْكِبِهِ[1] فَمُكَ: آيَةُ قَلْبِكَ، خِزَانَةُ سِرِّكَ، مَـجْمُوعُ شَرَائِفِ عَيْنِيَّتِكَ، مَوادُّ صِفَاتِكَ، نَظْمُ كُلِّيَاتِ ذَاتِكَ، أَفْرَغْتَ كُلَّكَ فيهِ بَعْدَ أَنْ خَرَجَ مِنْ فِيْكَ، كَتَبَ عَنْكَ، بَلْ كَتَبَكَ على الرِّقَاعِ، نَقَلَ عنكَ، بل نَقَلَكَ إلى الأَسْمَاعِ، أَطَافَكَ في الأَفْوَاهِ والصِّحَافِ، أَقَامَكَ في الـمَجَالِسِ والدَّوَاوِينِ، أَثْبَتَكَ في العُيُونِ والقُلُوبِ.

كُنْ شَرِيفَ الكَلِمَةِ، شَرِيْفَ الـهِمَّةِ، أَخَا الـحِكْمَةِ، لا تُـمِطْ نِقَابَ الـحِكْمَةِ بِالوَهْمِ، وتَعْمَلْ كَالفَيْلَسُوفِ الَّذِي جَرَّدَ الـحِكْمَةَ عَنْ شَرَفِهَا؛ إِذْ كَسَاهَا بِاسْمِ الفَلْسَفَةِ غَيْرَ كِسْوَتِهَا!

---

(١) في «الكليات»: بِمُرَكَّبِهِ.

أَجَلْ، كُنْ حَكِيماً وانْطِقْ بِالـحِكْمَةِ، وإِيَّاكَ والتَّفَلْسُفَ؛ فَإِنَّ مِنْهُ طُرُقَ وَهْمٍ تَدْفَعُ إلى غَيْرِ سَبِيلِ الصَّوابِ، تُوَسِّعُ طَائِفَ الـخَيالِ في مَـجَالَاتِ التَّنْفِيْذِ[1] والتَّطَرُّقِ بها لا يَقِفُ به العَقْلُ؛ طَلَباً لِزُبْدَةِ الـمَطْلَبِ، والقَصْد على ما هُوَ عليه حَسَنٌ؛ ولَكِنْ جَرِّدْ كَلامَ الفَيْلَسُوفِ للسَّامِعِ مِنْ كَلِمَةِ الـحَقِّ بَاطِلُ نَفْسِ الـمُتَكَلِّمِ فَصُدَّ بِالـمُجَرَّدِ عن الـحِكْمَةِ؛ وجَوِّدْ[2] كَلامَ مَنْ ظَنَّ به الـخَيْرَ مِنْ كَلِمَةِ البَاطِلِ حَقُّ حُسْنِ الظَّنِّ، فَرَبَطَهُ حُسْنُ الظَّنِّ بِهَذْرَتِهِ؛ فيا لَيْتَ الفَيْلَسُوفَ طَمَسَ بَاطِلَ نَفْسِهِ، ولَزِمَ الـحِكْمَةَ فَقَامَ لها، وقَالَ بِهَا، ونَفَعَ النَّاسَ؛ ولَيْتَ مَنْ ظَنَّ بِهِ الـخَيْرَ مَـحَقَ بَاطِلَ نَفْسِهِ[3] فَأَخَذَ بِحَبْلِ الـحِكْمَةِ، وغَسَلَ صَحِيْفَةَ سِرِّهِ مِنْ زُوْرِهِ وبُهْتَانِهِ، وتَـمَسَّكَ بِأَذْيَالِ الـحُكَمَاءِ، فانْتَفَعَ بهم، ونَفَعَ بِعِلْمِهِمُ النَّاسَ.

ومِنَ العَجَائِبِ، فَقَدْ يَفْجُرُ الرَّجُلَ بِنَفْسِهِ، ويَصُونُ سِرَّ الـحِكْمِةِ، فَيُؤَيِّدُ اللهُ به أَمْرَهُ، ويُعِزُّ بِهِ جُنْدَهُ! قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في غَزْوَةِ خَيْبَرَ:(١/٧) «**قُمْ يَا بِلالُ فَأَذِّنْ أَنْ لا يَدْخُلَ الـجنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ**»[4].

مَاذَا يَفْعَلُ العَاقِلُ بِحِلْسِ البَيْتِ مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ انْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُم بِالدَّعْوَى، ولا أَثَرَ لهم في الدِّينِ؟

قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: قَالَ لنا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَومَ الـحُدَيْبِيَةِ: «**أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ**»، وَكُنَّا أَلْفاً وَأَرْبَعمِئَةٍ، وَلَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ الْيَوْمَ لأَرَيْتُكُمْ مَكَانَ الشَّجَرَةِ[5].

---

(١) في «الكليات»: لِتُوَسِعَ طَائِفَ الخَيالِ في مَجَالَاتِ التَّنْفِيذِ.

(٢) في «الكليات»: وجرد.

(٣) في «الكليات»: محق باطله.

(٤) رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب المغازي (٦٧)، باب غزوة خيبر (٣٦) رقم٤٢٠٣.

(٥) رواه عن جابر رضي الله عنه: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب المغازي (٦٧)، باب غزوة الحديبية (٣٣) رقم٤١٥٤، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الإمارة (٣٣)، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة (١٨) رقم١٨٥٦.

يُرِيْدُ بِالشَّجَرَةِ: الشَّجَرَةَ الَّتِي بَايَعَهُم رَسُولُ الله ﷺ تَحْتَها، الـمَعْنِيَّةَ بِقَولِ الله تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح:١٨].

فَانظُرْ- أَيُّها الأَخُ اللَّبِيْبُ - كَيْفَ صَحَّتِ الـخَيْرِيَّةُ، لِأَلْفٍ وأَرْبَعمِئَةِ رَجُلٍ إِذْ ذَاكَ، دُوْنَ أَهْلِ الأَرْضِ شَرْقِهَا وغَرْبِهَا؟ هَلْ كَانَ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُم تَـجَرَّدُوا بِأَنْفُسِهِم وأَمْوَالِهِمْ لِإِعْلاءِ كَلِمَةِ الله تَعَالَى، وإِعْزَازِ دِيْنِهِ؟ وعلى ذَلِكَ بَايَعُوا رَسُولَهُ ﷺ وعليهم أجمعين.

وهَلِ الدِّينُ إِلَّا كَلِمَةٌ صَادِقَةٌ وهِـمَّةٌ عَالِيَةٌ، تُسْقِطُ هِـمَّةَ الرَّجُلِ السَّاجِدِ الكَرِيمِ على كُلِّ شَرِيْفَةٍ، وتُسْقِطُ هِـمَّةَ الـخِبِّ[1] الدَّنِيءِ على كُلِّ سَاقِطَةٍ؟.

ورُبَّ الشُّبْهَةِ يَتَطَرَّقُ الشُّبْهَةَ، والـخَيِّرُ لا يَظُنُّ إِلَّا خَيْراً، ولا تَشِبُّ بِهِ هِـمَّتُهُ إِلَّا إلى الـمَعالي، وعُلُوُّ الـهِمَّةِ مِنَ الإِيْمَانِ، والسَّاقِطُ الوَضِيعُ يُرِيدُ التَّرَفُّعَ بِهِمَّتِهِ، فَتَغْلِبُهُ نَفْسُهُ، فَتَرْتَفِعُ بِنَزْغِهَا، وتَتَدَاعَى هِـمَّتُهُ سَاقِطَةً بِطَبْعِها، ويَرى لِـخَبَالِهِ بِمِرْآةِ خَيَالِهِ أَنَّ تَرَفُّعَ نَفْسِهِ بِنَزْغِهَا من الـهِمَّةِ[2]! ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ، مَا فَرْقَ بينَ الوَقَاحَةِ والرَّجَاحَةِ؟ هل تَسْتَوي الظُّلُماتُ والنُّورُ؟.

الـهِمَّةُ تَرْفَعُ العَبْدَ إلى مَقَامِ السِّرِّ والنَّجْوَى، هِـمَّةُ العارِفِ بِرَبِّهِ الـحَكِيمِ بِنُورِهِ أَرْفَعُ مِنَ العَرْشِ، هَاتِ - أَي أَسِيْرَ الدَّعْوَى - طَوْرَ هِـمَّتِكَ، وقِسْهُ على أَطْوَارِ أَهْلِ الـهِمَمِ، واحْكُمْ إِنْ كُنتَ مِنَ الـمُؤْمِنِينَ، إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.

إِسْحَقْ بِرَحَى الـحِكْمَةِ دَقِيقَ شَعِيرِ مُـخَيِّلَتِكَ، لِيَنْسِفَ عَنْكَ دَقِيقاً تَسْفُوهُ الرِّيَاحُ، وإِذاً فَاسْتَنْقِ لِطَبْعِكَ بُرّاً نَقِيّاً مِنْ زَرْعِ الـحُكَمَاءِ أَعْيَانِ السَّلَفِ، وُرَّاثِ نَبِيِّ الـهُدَى ﷺ.

قالَ عَلَيهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وأَشْرَفُ السَّلام: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ، فَيُقَالُ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ،

---

(١) الخِبّ والخَبّ بالفتح والكسر: الرَّجُل الخَدّاع. «مختار الصحاح» مادة: (خبب).

(٢) في «الكليات»: عين الهمة.

فَيُقَالُ:هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَيُقَالُ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ (٧/ب) **مَنْ صَحِبَ صَاحِبَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَيُقَالُ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ»**[١].

هَذَا التَحكُّمُ سِرُّ الوِرَاثَةِ الـمُحَمَّدِيَّةِ، وسُنَّتُهُ ﷺ قَائِمَةٌ، وحِكْمَتُهُ دَائِمَةٌ، فلا تَكُنْ -أَيُّها الأَخُ الصَّالِحُ - مَحْرُوماً مِنْ غَنِيمَةِ سُنَّتِهِ، مَمْنُوعاً بِـهَمِّ وَاهِـمَتِكَ عَنْ مَائِدَةِ حِكْمَتِهِ، فَأَنْتَ إِنْ أَحْيَيْتَ سُنَّةً مِنْ سُنَنِهِ، أو بَثَثْتَ حِكْمَةً مِنْ حِكَمِهِ، فَالفَوْزُ لَكَ والبُشْرَى الـمُسْتَمِرَّةُ؛ لِأَنَّكَ صِرْتَ مِنْ حِزْبِهِ، ودَخَلْتَ في عَدَادِ خَيْرِ أَهْلِ الأَرْضِ خَاصَّتِهِ، وكُنْتَ مَعَهُ غَداً، وهو يَقُولُ مِنْ حَدِيثٍ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**»[٢].

رَابِطْ فِي سَبِيلِ اللهِ بِمَالِكَ، بِنَفْسِكَ، بِعِلْمِكَ، بِعَمَلِكَ، بِحِكْمَتِكَ، بِـهِمَّتِكَ.

الشَّرِيفُ مِنْ بَنِي فَاطِمَةَ - عَلَيْهَا السَّلامُ - قَيَّدَهُ الشَّرْعُ لِإِعْلَانِ عُلُوِّ الـهِمَّةِ لَهُ عَنْ أَكْلِ الصَّدَقَةِ.

قَالَ النَّبِيُّ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لِأَحَدِ سِبْطَيْهِ الكَرِيمَيْنِ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُـحَمَّدٍ لا يَأْكُلُونَ صَدَقَةً**»[٣].

وأَهْلُ الـحَضْرَةِ الإِلَـهِيَّةِ يَعْمَلُونَ بِعَمَلِ آلِ مُـحَمَّدٍ، ويَـحُثُّونَ النَّاسَ على العَمَلِ بِعَمَلِهِم، تَتَرَفَّعُ هِمَمُهُم عَنِ البَطَالَةِ والكَسَلِ، تَرْفَعُهُمُ النَّخْوَةُ والغَارَةُ الفَعَالَةُ والـمُرُوءَةُ الـمُحَمَّدِيَّةُ إلى شَقِّ غُبَارِ الأَكْوَانِ، وخَوضِ مَعَامِعِ الوُجُودَاتِ، كُلُّ ذَلِكَ للهِ ولِرَسُولِهِ

---

(١) رواه عن أبي سعيد الخدري ﷺ: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب الجهاد (٦٠)، باب من استعانَ بالضُّعفاء... (٧٥) رقم٢٨٩٧، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب فضائل الصحابة (٤٤)، باب فضلِ الصَّحابةِ ثم الذينَ يَلُونَهُمْ... (٥٢) رقم٢٥٣٢.

(٢) رواه عن سهلِ بنِ سعدِ السَّاعديِّ ﷺ: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب الجهاد (٦٠)، باب فضل رباط يوم في سبيل الله (٧٢) رقم ٢٨٩٢.

(٣) رواه عن أبي هريرة ﷺ: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب الزكاة (٣٠)، باب أخذ صدقة التمر... (٥٦) رقم١٤٨٥.

ولِإعلاءِ كَلِمَةِ الله في مُلْكِ الله، بِحِكَمٍ قَاهِرَةٍ، وهِمَمٍ زَاهِرَةٍ، جَمَعَتْ بينَ أَمْرَي الدُّنيا والآخِرَةِ، وكَذَلِكَ الـمُوَفَّقُونَ والـمُقَرَّبُونَ والـمُحِبُّونَ، وأُولئِكَ هُمُ الـمُفْلِحُونَ، بَلْ وأولياءُ الله المَقْبُولُونَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس: ٦٢].

أَخَذَ اللهُ العَهْدَ على رُوحِ أُحَيْمِدِ اللاَّشِ أَنْ لا يقِفَ[1] عِنْدَ سَفَاسِفِ الأُمورِ، أَلَا مَنْ عَلَتْ في الله هِـمَّتُهُ، عَلَتْ عِنْدَ الله مَرْتَبَتُهُ، ومَنْ وَقَفَ مع غَرَضِهِ، ما عُوفِيَ مِنْ مَرَضِهِ! ومَنْ لم يَصْرَعْ صُنُوفَ الـحادِثَاتِ بِكَفِّ الطَّرْفِ عَنْها ارْتِيَاحاً لـمُوجِدِها وانْبِسَاطاً به فهو عن حَلاوَةِ الإيمانِ وعن مَذَاقِ شَرَابِ الـهِمَّةِ بِمَعْزِلٍ.

ولا يَخْطَفَنَّكَ حَتِّي لكَ على عُلُوِّ الـهِمَّةِ: أَنْ تُهْمِلَ العِلْمَ بِحَالِ الضِّعَافِ والفُقَرَاءِ وحِرَفِهِم وصَنَائِعِهِم، وما هم عليه مِنْ عَادَاتِهِم وأُمُورِ مَعَاشِهِم؛ فَإِنَّ العِلْمَ بِذَلِكَ، والعَمَلَ به، والتَّحَقُّقَ بِكُلِّهِ، والوُقُوفَ على سِرِّهِ، والتَّرَقِّي فيه إلى ما لا غَايَةَ له إِلَّا الشَّرعُ، إِنَّما هو مِنْ عُلُوِّ الـهِمَّةِ، ومِنْ بَوارِقِ أَسْرَارِ النُّبُوَّةِ.

هَؤُلَاءِ الأَنْبِيَاءُ العِظَامُ عَلَيهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ كُلُّهُم رَعَوا الغَنَمَ(١/٨)، ومِنْهُم نَبِيُّنا سَيِّدُ العَرَبِ والعَجَمِ؛ لِتَطَرُّقِ طَرَائِقِ الأُمَمِ، والعِلْمِ بِأَحْوَالِ طَوَائِفِهِم، ولِلاقْتِدَارِ على سِيَاسَةِ عَوالِـمِهِم، ولِلتَّدَرُّبِ بِالرِّفْقِ ومَسَالِكِهِ، حتَّى بِشَأْنِ الـحَيَوَانَاتِ غَيْرِ النَّاطِقَةِ، بَلْ ولِلتَّسَلُّقِ إلى نَسْجِ خِدْرِ[2] الهِمَّةِ، بِالرِّفْقِ العَامِّ في حَقِّ كُلِّ بَارِزٍ وطَامِسٍ عَيْنِيٍّ وغَيْبِيٍّ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ السَّيِّدُ رَحْمَةً عَامَّةً على خَلْقِ الله، وبَحْراً فَيَّاضاً عَذْباً هَنِيئاً مَرِيئاً يَسُحُّ على مُلْكِ الله، وهذا طَرِيْقُ الوُرَّاثِ، الَّذِينَ أَتَابَهُمُ اللهُ الفَتْحَ، وأَوْصَلَهُمْ بِحِبَالِ الرُّسُلِ، وجَعَلَهُم نُوَّاباً عنهم، وجَمَعَ عَلَيْهِم أَمْرَهُم، وحَقَّقَهُم بِالتَّخَلُّقِ بِأَخْلاقِ دُرَّةِ قِلادَةِ الـمُرْسَلِينَ وأَكْرَمِهِم على رَبِّ العَالَـمِينَ، سَيِّدِنا مُـحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأَمِينَ عليه وعليهم صَلَوَاتُ المَلِكِ البَرِّ الـمُعِينِ.

---

(١) في «الكليات»: أُحَيْمِدِ العَبْدِ اللاشِّ أَنْ لا تَقِفَ...

(٢) سِتْرٌ يُمَدُّ لِلْجَارِيَةِ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، ثُمَّ صَارَ كُلُّ مَا وَارَاكَ مِنْ بَيْتٍ وَنَحْوِهِ خِدْراً. «لسان العرب» مادة: (خدر).

وهُنَالِكَ يَقْدِرُ على إِيْضاحِ ما يَلْزَمُ لِلْخَلْقِ في أَمْرِ مَعَادِهِم ومَعَاشِهِم، ويَكُونُ كَالغَيثِ، أَينَ وَقَعَ نَفَعَ، واللهُ وَلِـيُّ الـمُتَّقِينَ، وإِلَيهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ، ومِنْهُ العَونُ والنَّصْرُ، وحَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ.

شَرَفُ العَقْلِ بالإِنْصَافِ، وإِلَّا فهو مَغْلُوبٌ لِـمَا تُبْرِزُهُ له النَّفْسُ مِنْ غَرَارَةِ الهوى، وشَرَفُ الفَهْمِ بِالإِذْعَانِ، وإِلَّا فهو مَـحْكُومٌ لِطَارِقِ الرَّأْيِ، والدَّامِغُ لِبَاطِلِ الحِرْصِ والأَمَلِ حَدُّ الـحَقِّ، ومَنْ أَخَذَهُ بَاطِلُهُ فَتَجَاوَزَ بِهِ حَدَّ الـحَقِّ فهو غَدَّارٌ، وأُمُّ هذه الآمَالِ الكَاذِبَةِ: سَبْحَةُ خَاطِرٍ، تَـجُرُّ الفِكْرَ إلى اسْتِحْضَارِ لَذَّةٍ تَطِيْبُ لها النَّفْسُ، وتَفْرَحُ بها الشَّهْوَةُ، وتَقِفُ عندَها العَزِيْمَةُ، فَهُنَالِكَ يَقُودُ الفِكْرُ العَزَمَ فَيَخُوضُ مَعَامِعَ الأَغْرَاضِ.

لو طَرَقَ طَارِقُ العَزْمِ بَابَ السَّماءِ، ولم تَكُنْ له آيَةُ عِلْمٍ إِلـهِيٍّ تَـجْمَعُ به قَوماً على اللهِ فَتَنْفَعَهُم في دِيْنِهِم ودُنْيَاهُم فَلَيْسَ بِشَيءٍ، مَنْ لم يَغَرْ على الـمَحْبُوبِ فلا يَرْضَى أَنْ يَسْلُكَ ذَمُّهُ في أُذُنِهِ فَلَيْسَ بِمُحِبٍّ، ولا الصِّدِّيقُ إذا لم يَغَرْ على صَدِيْقِهِ حتَّى لا يَرْضَى أَنْ يَسْلُكَ ذَمُّهُ في أذنه فَلَيْسَ بِصَدِيقٍ، والنَّخْوَةُ سُلَّمُ العَبْدِ إلى سِدْرَةِ مُنْتَهَى الـمَجْدِ، وفيها مِنْ ثَورَةِ الغَيْرَةِ للهِ أُسٌّ كَرِيمٌ، والاسْتِقَامَةُ وَصْفٌ لا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ إِلَّا رِدَاءُ كُلِّ عَظِيمٍ، والعارِفُ الـمَحْضُ يَسْتَقِلُّ الدُّنيا، فلا يَرَاهَا إِلَّا دُونَ شِرَاكِ نَعْلِهِ، ويَسْتَعْظِمُ الأَشْيَاءَ لِـمُوجِدِها فلا يَرَى إِهْمَالَ شَيءٍ رَدّاً بِذَلِكَ الشَّيءِ إلى أَصْلِهِ.

هَاتِ اجْمَعْ يا حَكِيمُ بينَ هَاتَيْنِ، وأَنْتَ إِذاً الرَّجُلُ العَظِيمُ، شُفْ بِبَاصِرَةِ عِلْمِكَ سِيْرَةَ نَبِيِّكَ الأَمِينِ، وآلِهِ الطَّاهِرِينَ،(٨/ب) وأَصْحَابِهِ الـهُدَاةِ الـمَرْضِيِّينَ، فَتَحُوا البِلادَ، وصَانُوا العِبَادَ، ومَهَّدُوا السُّبُلَ، وأَفَاضُوا العَدْلَ ونَظَّمُوا الأُمُورَ، وأَحْكَمُوا حِكْمَةَ سِيَاسَةِ الأُمَمِ، وهُمْ أَزْهَدُ النَّاسِ بِالدُّنيا وأَغْرَاضِهَا، وأَبْعَدُهُم عنها وعن أَغْرَاضِها.

سِرْ بَيْنَ الـحَائِطَيْنِ: حَائِطِ العَمَلِ، وحَائِطِ التَّسْلِيْمِ، ورُحْ إلى عَالَـمِ جَمْعِكَ بِفَرْقِكَ، ولا تَجْمَعْ بَيْنَ حَدَثِكَ وقِدَمِ رَبِّكَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذلك انْخَرَطْتَ في الضَّالِّينَ!

اجْمَعْ بِفَرْقِكَ بَيْنَ عِلْمِكَ وأَمْرِهِ، بَيْنَ عَمَلِكَ ورِضَاهُ، بَيْنَ طَلَبِكَ وكَرَمِهِ، وأَنْتَ حِيْنَئِذٍ مِنَ الصَّالِحِينَ.

لا تَنَمْ على حِلْسِ[1] حالِكَ غَيْرَ مُتَرَفِّعٍ إلى حَالٍ فَوقَهُ؛ فَإِنَّ مَنْ تَسَاوَى يَومَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ! مَا أَطْيَبَ السَّيْرَ في الله إلى الله، إِنَّا لله وإِنَّا إِليهِ رَاجِعُونَ.

كُنْ في مَوْعِظَتِكَ حَكِيماً ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾[النساء:١٠٥]، واعْمَلْ بِعِلْمِكَ إِذَا كَفَاكَ لِلْعَمَلِ، ولا تَقِفْ في العِلْمِ عِنْدَ غَايَةٍ؛ فَإِنَّ غَايَتَهُ فَوقَ عُمرِكَ، اطْلُبُوا العِلْمَ مِنَ الـمَهْدِ إلى اللَّحْدِ ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[البقرة: ٦٧].

ارْفَعْ نَظَرَكَ إلى الـمَعَالِي بِدِيْنِكَ، إلى الـمَعَالِي بِنَبِيِّكَ، إلى الـمَعَالِي بِرَبِّكَ، لا تَضَعْ عَزِيْزَ نَظَرِكَ على تُرابِ الضَّعَةِ فَتَرْبُضَ على كُلِّ قَتَبٍ[2]، تِلكَ سِيْمَةُ البَطَّالِينَ، وتَدَرَّعْ بِدِرْعِ[3] عِلْمِ الصَّحَابَةِ، وانْتَسِقْ بِنَسَقِ حَالِ الآلِ الكِرَامِ - عليهم جميعاً الرِّضْوَانُ والسَّلامُ-، وهُنَالِكَ لا يطغيكَ حَالٌ، ولا يُزِيْغُكَ شَأْنٌ، وصُفَّ نَفْسَكَ - وإِنْ بَعُدَ المدى عليكَ - بِصَفِّهِم يُدْخِلُكَ فِيْهِم تَـحَقُّقُكَ بِأَحْوَالِهِم، ويُـحَقِّقُكَ بهم تَـخَلُّقُكَ بِأَخْلَاقِهِم، «مَنْ غَشَّنَا لَيْسَ مِنَّا»[4]، وعلى هذا، فَمَنْ لم يَغُشَّنَا فَهُوَ مِنَّا، قَرُبَ الـمَدَى أو بَعُدَ، هذا في الأَمْرَينِ، وعلى الـحَالَيْنِ.

شَارِقَةُ فَجْرِ النُّورِ الـمُحَمَّدِيِّ طَالِعَةٌ لا تَغِيبُ أَبَداً إلى أَنْ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ ومَنْ عليها، وهو خَيْرُ الوَارِثِينَ، فَمَنْ كَلَّفَ نَفْسَهُ خِدْمَةَ ذلك الـجَنَابِ بِإِحْيَاءِ سُنَّتِهِ وإِعْلاءِ أَمْرِهِ فقد فَازَ ولَهُ أَجْرُ مِئَةِ شَهِيْدٍ، يُؤَيِّدُ مَا أَقُولُ قَوْلَهُ - عليه الصَّلاةُ والسَّلام-:

---

(١) الحِلْسُ: كلُّ شيءٍ وَلِي ظَهْرَ البعير والدَّابَّة تحت الرَّحْلِ والقَتَبِ والسَّرْج، وحِلْسُ البيت ما يُبْسَطُ تحت حُرِّ المتاع من مِسْحٍ ونحوه، وفلانٌ حِلْسُ بيته إذا لم يَبْرَحْه. «لسان العرب» مادة: (حلس).

(٢) الضَّعةُ: الذُّلُّ والهَوانُ والدَّناءةُ. «لسان العرب» مادة: (وضع)، والرَّبَض: ما حَولَ المدينة؛ ومسكن كلِّ قومٍ رَبَض. «معجم مقاييس اللغة» مادة: (ربض)، القِتْبُ والقَتَبُ: إكاف البَعِيرِ. «لسان العرب» مادة: (قتب).

(٣) في «الكليات»: بدرك.

(٤) رواه عن أبي هريرة: الإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الإيمان (١)، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» (٤٣) رقم ١٠١.

«مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِئَةِ شَهِيدٍ»(1).

قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ»، قَالُوا: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»(2).

أَفَهِمْتَ- أَيُّهَا الأَخُ الصَّالِحُ - وأَدْرَكْتَ أَنَّ نَبِيَّكَ سِرُّ(1/9) سَرَارَةِ الأَزَلِ، ونُورُ باصِرَةِ الأَبَدِ ﷺ، فرَّقَ النَّاسَ، فَقَسَمَهُم إلى ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ:

1. رَجُلٌ نَافِعٌ يُجَاهِدُ فِي اللهِ بِنَفْسِهِ وبِمَالِهِ.
2. ورَجُلٌ يَتَّقِي اللهَ ويَعْتَزِلُ النَّاسَ لِكَي لا يَضُرَّهُم.
3. ورَجُلٌ إِنْ لم يَكُنْ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ، فهو - حمانا اللهُ وإِيَّاكَ- مُضِرٌّ، وهو هَالِكٌ.

هذا ما تَضَمَّنَهُ كَلامُ صَاحِبِ جَوامِعِ الكَلِمِ، وأَفْضَلُ الثَّلاثَةِ: المُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِنَفْسِهِ ومَالِهِ.

تَهادَتْ عِيسُ هِمَمِ المُوَفَّقِينَ إلى طَلَبِ الحَقِّ بالجِهادِ في سَبِيلِهِ، وإِنَّ ذَلكَ لَعَلَى طُرُقٍ وأَقْسَامٍ: مِنْهُ جِهَادٌ بِاللِّسَانِ، ومِنْهُ جِهادٌ باليَدِ، ومِنْهُ جِهَادٌ بِالمَالِ، ومِنْهُ جِهادٌ بِالعَزْمِ، ومِنْهُ جِهَادٌ بِالعَزِيْمَةِ، وكُلُّها تَؤُولُ إلى اللهِ، يَشْمَلُهَا قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت:69] وأَشْرَفُهُمُ الجَامِعُونَ.

وإِنَّ نَظَرَ السُّلْطَةِ لَيَحْكُمُ على الطِّبَاعِ مِنْ طُرُقٍ شَتَّى: حَقٍّ، وبَاطِلٍ، ووَهْمٍ، وغَيْرِ

---

(1) رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما: البيهقي في «الزهد الكبير» رقم 207، 2/118، ورواه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبو نعيم في «حلية الأولياء» 8/ 200، والطبراني في «الأوسط» رقم 5414، وقال المنذري في «الترغيب» رقم 62: رواه الطبراني من حديث أبي هريرة بإسناد لا بأس به، إلَّا أنَّه قال: «فَلَهُ أَجْرُ شَهِيْدٍ».

(2) رواه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب الجهاد (60)، باب أفضل النَّاس مُؤمنٌ يُجاهدُ بنفسه...(2) رقم2786، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الإمارة (33)، باب فَضل الجهادِ والرِّباط (34) رقم 1888.

ذَلِكَ، فلا تَكُنْ بِعَمَلِكَ أَسِيرَ قَيْدِ نَظَرِ السُّلْطَةِ، متَى حَضَرَ عَمِلْتَ، ومتَى غَابَ بَطَلْتَ[1]! تِلكَ شَائِبَةُ الرِّياءِ، شَائِبَةُ الأَمَلِ، شَائِبَةُ الـخَوفِ، اطْرَحْها عَنْكَ بِعَزْمِكَ، واخْلَعْهَا مُتَجَرِّداً إلى رَبِّكَ.

ما أَدْنَى هِـمَّةَ مَنْ قَيَّدَهُ النَّظَرُ بِعَمَلِهِ، وأَفْلَتَهُ غَيْبَتُهُ عنِ العَمَلِ؟ أَيُّ شِنْشِنَةٍ في الـهِمَّةِ الرَّفِيعَةِ؟ وأَيُّ نَغْمَةٍ لها في آذَانِ الـحَادِثَاتِ؟ ومَدَارِجُ تَرَقِّي السِّرِّ في عوالِـمِ الغَيْبِ والـحُضُورِ تَتَرَفَّعُ بِنِسْبَةِ ما يُفَاضُ لها مِنْ نُورِ العَقْلِ، والتَّوفِيقُ بِيَدِ الله تعالى.

حَارَ أَهْلُ الأَبْصَارِ والبَصَائِرِ بما وَرَاءَ هذِهِ السَّتَائِرِ، والـحَيْرَةُ عَجْزٌ حَاكِمٌ على كُلِّ ذِي عَقْلٍ بِالإِيمانِ الـمَحْضِ والوُقُوفِ على جَادَّةِ السَّلامَةِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام:٩١]، وهذا كِتَابُهُ تعالى الـحُجَّةُ القائِمَةُ والـمُعْجِزَةُ الدَّائِمَةُ، وفيه جَمِيعُ الـحِكَمِ خَفِيِّها وجَلِيِّها، كُلِّيها وجُزْئِيها، عَرَفَها العَارِفُ فَرَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى؛ ولهذا السِّرِّ الأَعْظَمِ قال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[2].

آيـاتٌ بَيِّنَـاتٌ، وكَلِماتٌ جامِعَـاتٌ، وأَسْرَارٌ إِلـهِياتٌ، وعُلُـومٌ رَبَّانِيَّـاتٌ، طُوِيَـتْ في مَنْشُـورِ هذا الكِتَـابِ القَوِيمِ، والكَـلامِ القَدِيـمِ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٢١]، هُنَالِكَ جُنُودُ الله الـجَوَّالَةِ، بُحُورُ الله السَّيَّالَةِ، سَحائِبُ الله الـهَطَّالَةِ، سُيُوفُ الله الفَعَّالَةِ: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة:٥].

خُذْ أُنْمُوذَجَ القُدْرَةِ، وحَالَ العِلْمِ، وشَأْنَ الـحُكْمِ، وسُلْطَانَ الأَمْرِ مِنْ هذا الكِتَابِ الكَرِيمِ الَّذِي لا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ، يَثْقُلُ على مَنْ قَيَّدَهُ طَبْعُهُ، وغَلَبَهُ هَواهُ، وقَهَرَتْهُ نَفْسُهُ فَأَوْهَـمَتْهُ أَنَّهُ فوقَ جِنْسِهِ!

---

(١) بَطَلَ الأَجِيرُ، يَبْطُلُ بِالضَّمِّ، بَطَالَةً بِالفَتْحِ؛ أَيْ: تَعَطَّلَ فَهُوَ بَطَّالٌ. «مختار الصحاح» مادة: (بطل).

(٢) رواه عن سيدنا عثمان بن عفان ﷺ: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب فضائل القرآن (٦٩)، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٢١) رقم ٥٠٢٧.

إِيَّاكَ ونَزْغَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهُ يُسَوِّلُ لك، ويُوْهِمُكَ أَنَّكَ فَوقَ غَيْرِكَ! اتَّقِ اللهَ في الآدَمِيِّينَ، قالَ رَبُّكَ سُبْحَانَهُ لِأَشْرَفِهِم وأَعْظَمِهِم: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ وضَرَبَ لَهُ خِدْرَ الفَوقِيَّةِ بِسُلطَانِ ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[الكهف:١١٠].

والوَحْيُ به خُتِمَ، وبَعْدَهُ انْقَطَعَ، والـمِثْلِيَّةُ في كُلِّنا قَائِمَةٌ باقِيَةٌ معنا، لا تُـخْتَمُ ولا تَنْقَطِعُ ما دامَ الآدَمِيُّونَ.

ها هو: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار:٨] خُذْ حِصَّةَ الأَدَبِ، وَسَهْمَ العِبْرَةِ مِنْ تَرْكِيبِكَ، رَكَّبَكَ مِنْ أَجْزَاءِ نَوْعِكَ الكَثِيْرَةِ الـمقَطَّعَةِ الـمُرَكَّبَةِ، فَأَقَامَكَ كما أَنْتَ، فَصُنْ أَجْزَاءَكَ مِنْ خُبْثِ اخْتِيارِكَ.

لا تُعْطِ أُذُنَكَ طَرِيقَ السَّيْرِ إلى سَماعِ الكَذِبِ والزُّورِ وفُحْشِ الكَلامِ، ولا تَبْعَثْ عَيْنَيكَ إلى النَّظَرِ بما لا يَـحِلُّ، ولا تَـجْعَلْهَا تَسْتَحْسِنُ الفانِيَاتِ، فَتَسُوقَ طَبْعَكَ إلى حَسَدِ هذا، واسْتِعْظَامِ هذا، واسْتِكْثَارِ هذا.

ولا تُسَيِّرْ رِجْلَكَ فيما لا يُرْضِي رَبَّكَ، ولا تُنْطِقْ لِسانَكَ إلَّا بِخَيرٍ، ولا تَـمُدَّ يَدَكَ إلَّا إلى خَالِقَكَ فيما يَؤُولُ إلى مَرَاضِيهِ، وصُنْ بَطْنَكَ وظَهْرَكَ وما سَتَرْتَ عن كُلِّ ما يُوْقِعَكَ في وَهْدَةِ السُّؤالِ والـخِزْيِ.

واشْكُرِ اللهَ على السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، واذْكُرْهُ في الشِّدَّةِ والرَّخاءِ، وكُنْ معه في الصِّحَةِ والـمَرَضِ، في بَابِهِ في السَّقَمِ والعافِيَةِ، ولا يَدْفَعَنَّكَ الـمَرَضُ والسَّقَمُ عنِ الرُّبُوضِ بِبَابِهِ سُبْحَانَهُ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَثَلُ الـمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الـخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا، فَإِذَا اعْتَدَلَتْ تَكَفَّأُ بِالْبَلَاءِ، وَالْفَاجِرُ كَالأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللهُ إِذَا شَاءَ**»[1].

(١) رواه عن أبي هريرة ﷺ: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب المرض (٧٨)، باب ما جاء في كفَّارة المرض (١) رقم٥٦٤٤.

فابْهَجْ بِالْوَصْفِ الدَّالِّ على إِيمانِكَ، وافْرَحْ بِرَبِّكَ وبما يَـجِيءُ منه، إِيماناً به، ورُكُوناً إليه، وارْضَ عنه في كُلِّ أَحْوالِكَ؛ فَإِنَّ العاقِلَ غَالِبٌ رِضَاهُ على سُخْطِهِ في كُلِّ أُمُورِهِ، والأَحْمَقُ غَالِبٌ سُخْطُه على رِضَاهُ في كُلِّ أُمُورِهِ، وكذلكَ فَالرَّفِيقُ الـمُتَعَتِّبُ الـمُتَسَخِّطُ لا يُرَافَقُ، والرَّفِيقُ الرَّاضِي (١٠/أ) الـحَمُولُ لا يُفَارَقُ.

والنَّفْسُ يَطِيبُ لها كُلُّ حَالٍ يَأْخُذُ بها إلى الـهَدْأَةِ وجَمْعِ الـحَالِ وحُضُورِ الـهِمَّةِ كَيفَ كانَتْ، ويَصْعُبُ عليها كُلُّ حَالٍ يَـجُرُّها إلى الاسْتِفْزَازِ بِطارِقِ التَّسَخُّطِ ويُورِدُها حَوضَ شَتَاتِ جَمْعِهَا ويَغْلِبُ حُضُورَها.

وانتصِبْ لِـمُعَاشَرَةِ الآدَمِيِّينَ على قَدَمَي الصَّبْرِ، فَالبَدَنُ له رَأْسٌ وَاحِدٌ، فلا تَـجْمَعْ رَأْيَكَ على أَنْ تَـجْعَلَ كُلَّ عُضْوٍ في البَدَنِ رَأْساً، وقُلْ لِـمَنْ لم يَتَحَقَّقْ بِنِسْبَةِ خَلْقِهِ في حُكْمِ الرَّأْسِيَّةِ: كُنْ ذَنَباً ولا تَكُنْ رَأْساً؛ فَإِنَّ الضَّرْبَةَ أَوَّلُ ما تَقَعُ في الرَّأْسِ، وارْفَعْ هِـمَّةَ مَنْ تَنَزَّلَ بِخُمُولِهِ عن حَقِّ خَلْقِهِ، كَأَنْ خُلِقَ يَداً فَوَقَفَ رِجْلاً، أو خُلِقَ رِجْلاً فَانْدَلَسَ وِزْكَاً، ولا تَرَى لَكَ الـخَيْرِيَّةَ على غَيْرِكَ بِعِلْمِكَ، بِعَمَلِكَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ التَّجَرُّئِ على الـمُوجِدِ جلَّتْ عَظَمَتُهُ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الـجَنَّةَ». قَالُوا وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «وَلاَ أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِـيَ اللهُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الـمَوْتَ إِمَّا مُـحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْراً، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ»**[1].

والعُتْبَى الَّتِي أَشَارَ إِلَيهَا رَسُولُ الله ﷺ: هي أَنْ يَطْلُبَ العَبْدُ رِضَاءَ رَبِّهِ بالتَّوبَةِ والرُّجُوعِ إِليهِ، وهو أَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ.

ولْتَكُـنْ أَيُّـها الأَخُ الصَّالِـحُ: كَثِيرَ الأَدَبِ مـع خَلْـقِ الله تعـالى، كَثِيرَ الرَّحْـمَةِ والشَّـفَقَةِ عـلى والِدَيْـكَ أُمِّكَ وأَبِيـكَ، وَصُولاً لِرَحِمِكَ، مُتَوَدِّداً لِـجِيْرَانِـكَ، ذا حُنُوٍّ عليهـم، رَؤُوفـاً بِالـمُؤْمِنِـينَ، مُتَحَقِّقاً بِشَـأْنِهِم بِأَخْـلَاقِ نَبِيِّكَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ

---

(١) رواه عن أبي هريرة ﷺ: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب المرض (٧٨)، باب تمنى المريض الموت (١٩) رقم٥٦٧٣.

فهو: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، وكذلك: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦].

وإذا أَدْخَلَ عَهْدُ الله في آلِكَ مَنْ لَيْسَ مِنْهُم، فَارْحَمْهُ كَرَحْمَتِكَ لِآلِكَ؛ عَمَلاً بِحَالِ مُعَلِّمِكَ الَّذِي زَرَعَ الـخَيْرَ في قُلوبِ الـمُسْلِمِينَ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ.

قالَ أُسَامَةُ بنُ زَيدٍ[1] رضي الله عنهما: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقْعِدُ الـحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا؛ فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا»[2].

ولْتَكُنْ بَارّاً بِجَارِكَ، فَقَدْ قَالَ الـمُصْطَفَى عليه وعلى آلِهِ أَكْمَلُ صَلَوَاتِ الله وأَجَلُّ تَسْلِيمَاتِهِ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالـجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[3].

ولْتَعْرِفْ لِوَلِـيِّ الله حَقَّهُ بِالْكَفِّ عنه فيما زَادَ عن حَقِّ الله ورَسُولِهِ، قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تبارك وتعالى قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً(١٠/ب) فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالـحربِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَـيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَـيَّ مِـمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَـيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الـمؤمِنِ، يَكْرَهُ الـموتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[4].

---

(١) أسامة بن زيد بن حارثة، صحابي جليل تـ(٥٤)هـ ولد بمكة، ونشأ على الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يحبه حباً جماً وينظر إليه نظره إلى سبطيه الحسن والحسين، وأمّره رسول الله، قبل أن يبلغ العشرين من عمره. «الأعلام» للزركلي ١/ ٢٩١.

(٢) رواه عن أسامة بن زيد رضي الله عنه: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب الأدب (٨١)، باب وضع الصبي على الفخذ (٢٢) رقم٦٠٠٣.

(٣) رواه عن ابن عمر رضي الله عنهما: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب الأدب (٨١)، باب الوصاة بالجار (٢٨) رقم٦٠١٥، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب البر والصلة والآدب (٤٥)، باب الوصية بالجار والإحسان إليه (٤٢) رقم٢٦٢٥.

(٤) رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري في «الصحيح»:كتاب الرقائق (٨٤)، باب التواضع (٣٨) رقم ٦١٣٧.

فَخُذْ مِنْ هذا الحَدِيثِ القُدْسِيِّ العِلْمَ بِالوَلِيِّ، واعْرِفْ حَقَّهُ، ولا تَحُطَّ مِنْ قَدْرِهِ، ولا تَغْلُ به، وابْتَغِ الخَيْرَ بِسَبَبِهِ، واتَّبِعْهُ، وأَنِبْ إلى الله كما أَنَابَ، وأَكْثِرْ مِنْ قِرَاءَةِ القُرآنِ وَقْتَ انْشِقَاقِ الفَجْرِ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ مَعْنَىً مِنْ مَعَانِي حَالِ النَّبِيِّ ﷺ، ورَضِيَ اللهُ عنِ ابْنِ رَوَاحَةَ[1] الصَّحَابِيِّ الجَلِيْلِ؛ فَإِنَّهُ قَالَ يَمْدَحُ سَيِّدَ المَمْدُوحِينَ نَبِيَّنَا الأَمِينَ، صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّ العَالَـمِينَ:

وَفِينَا رَسُـــولُ الله يَتْلُو كِتَابَهُ ... إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعُ

أَرَانَـا الـهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا ... بِـهِ مُـوقِـنَـاتٌ أَنَّ مَـا قَـالَ وَاقِـعُ

يَبِيتُ يُجَـافِي جَنْبَهُ عَـنْ فِـرَاشِـهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ المَضَاجِعُ[2]

وارْكَعْ رَكْعَتَيِ الفَجْرِ، فَقَدْ قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «لَـمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ مِنْهُ تَعَاهُدًا عَلَى رَكْعَتَيِ الفَجْرِ»[3].

واحْرِصْ على فَرَائِضِ الله، وأَدِّ حَقَّ نَبِيِّكَ الكَرِيمِ بِالـمُحَافَظَةِ على سُنَنِهِ، وعَظِّمْ ما عَظَّمَ اللهُ تعالى، وكُنْ شَدِيْدَاً في الله قَالَ اللهُ تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩].

وانْفُضْ يَدَيْكَ مِنْ كُلِّ عَارِضٍ دُونَ الـحَقِّ، ولا تَـمِلْ إلى كُلِّ مُعْوَجٍّ، واسْلُكِ الطَّرِيقَ الـمُسْتَقِيمَ، وكُلُّ طَرِيْقٍ رَأَيْتَ فيه العُوَيْصَاءَ التي تُنْكِرُها فَدَعْهُ، وانْهَجِ الطَّرِيقَ

---

(١) عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي تـ(٨)هـ يعد من الأمراء والشعراء الراجزين. وشهد العقبة وكان أحد النقباء الاثني عشر شهد بدراً وأحداً والخندق والحديبيّة. واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في إحدى غزواته. وصحبه في عمرة القضاء، وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة فاستشهد فيها. «الأعلام» ٤/ ٨٦.

(٢) رواها البخاري في «الصحيح»: كتاب التهجد (٢٥)، باب فضل من تعار من الليل فصلى(٢٠) رقم ١١٥٥.

(٣) رواه عن السيدة عائشة رضي الله عنها: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب التهجد (٢٦)، باب تعاهد ركعتي الفجر(٣) رقم١١٦٩.

الَّذي تَعرِفُهُ، وحَكِّمْ في كُلِّ قولٍ وعَمَلٍ شَرِيعَةَ نَبِيِّكَ السَّيِّدِ العَظِيمِ القَدْرِ ﷺ، وإذا قُلْتَ فَلا تَقُلْ إلَّا خيراً، وإذَا فَعَلْتَ فَلا تَفعَلْ إلَّا حَقّاً، وإذَا صَحِبْتَ فَلا تَصْحَبْ إلَّا خَيِّراً، وإذا قُمْتَ وقَعَدْتَ فَلا تَكُنْ إلَّا نَزِيهاً نَظِيفاً.

ولا تَعْبُدِ اللهَ على حَرْفٍ! أُعبُدْ رَبَّكَ ولا تُشرِكْ بِهِ شَيْئاً، واجْعَلْ مَحَجَّتَكَ قَوْلُ نَبِيِّكَ الَّذي هو أَوْلَى بِكَ مِنْ نَفْسِكَ، وإذا ابْتُلِيتَ فَامْدُدْ يَدَ الرَّجَاءِ إلى بَارِئِكَ، ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾[الطور:٤٨]،(١١/أ) ولا تَيْأَسْ مِنْ رَوْحِهِ؛ فـ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[يوسف:٨٧].

وانْتَظِرْ فَرَجَ الله، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «انْتِظَارُ أُمَّتِي فَرَج الله عِبَادَةٌ»[1]، وقَالَ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ: «إِنَّ للهِ في كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ مئَةَ أَلْفِ أَلْفِ فَرَجٍ قَرِيبٍ»[2].

وتَعَرَّضْ لِنَفَحَاتِ رَبِّكَ في كُلِّ طَرْفَةٍ، وعَظِّمِ الأَشْيَاءَ بِمُظْهِرِها سُبْحَانَهُ، ما أَعْظَمَ أَسْرارِ الله المَطْوِيَّةِ في عوالِمِ خَلْقِهِ؟ أَلِفَ الأُمَمُ تَعْظِيمَ عُظَمَائِهِم! وأَلِفَ كُلُّ أُمَّةٍ التَّشَوُّفَ إلى حالِ عُظَمَاءِ الأُمَّةِ الأُخْرَى، فَإِذَا رَأَوْهُم - وإِنْ كَانُوا فَوقَ عُظَمَائِهِم أُولِي قُوَّةٍ، وأُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ - حَطَّتْ بهم أَعْيُنُهُم عن مَرَاتِبِهِم، ورَأَوْهُم دُونَ ما هُم، فَتَرَاهُمْ يَسْتَعْظِمُونَ حَالَهُم، ويَحُطُّونَ على عَادَاتِهِم، يَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَثْرَتِهِم، ويَسْخَرُونَ مِنْهُم

---

(١) رواه عن عبد الله بن مسعود ﷺ: التِّرْمذي في «الجامع»: كتاب الدعوات... (٤٩)، بابٌ في انتظار الفرج وغير ذلك (١١٦) رقم ٣٥٧١، والطبراني في «الكبير»رقم ١٠٠٨٨، و«الأوسط»رقم ٥١٦٩، بلفظ: «سَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَأَفْضَلُ العِبَادَةِ انْتِظَارُ الفَرَجِ».
ورواه عن أنس بن مالك ﷺ: البيهقي في «الشعب» رقم ١٠٠٠٥، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء»٢/ ٧٦، في ترجمة بقية بن الوليد رقم ٣٠٢، والخطيب في «تاريخ بغداد» ٢/ ١٥٥، ترجمة رقم ٥٧٧، بلفظ: «انْتِظَارُ الفَرَجِ عِبَادَةٌ». ورواه عن سيدنا علي ﷺ: البيهقي في «الشعب» رقم ١٠٠٠٣، بلفظ: «انْتِظَارُ الفَرَجِ بالصَّبرِ عِبَادَةٌ». ورواه عن ابن عمر، وعن ابن عباس ﷺ بنفس لفظ سيدنا علي ﷺ: القضاعي في «مسند الشهاب» رقم ٤٦، و٤٧.

(٢) لم أجده بهمتي القاصرة.

لِلِبَاسِهِم؛ وما ذَلِكَ إِلَّا لِقِصَرِ النَّظَرِ عَنِ اسْتِجْمَاعِ شُؤُونِ النَّاسِ، واسْتِكْنَاهِ[1] حُكْمِ حَالِـهِم، وحِكْمَةِ عَادَاتِـهِم، وشَأْنِ بِلادِهِم وما هم عليه، ولِتَمَكُّنِ حَالِ عُظَمَاءِ تِلْكَ الأُمَّةِ وشَأْنِهَا مِنْ قُلوبِ الأُمَّةِ، ولانْطِبَاعِ النُّفُوسِ على تِلْكَ العَادَاتِ والـمَشَارِبِ، والأَمْرُ كذلِكَ فِي العَقَائِدِ والـمَذَاهِبِ، والعَاقِلُ الـحَكِيمُ لا يَرَى هذا ولا يَقُولُ بِهِ، وإِنَّمَا يَسْتَكِنُهُ[2] الـحَقُّ فَيَقِفُ عِنْدَهُ، يُحَسِّنُ ما حَسَّنَهُ الشَّرْعُ؛ لاسْتِجْمَاعِهِ أَشْرَفَ الـمَحَاسِنِ، ويُقَبِّحُ ما قَبَّحَهُ الشَّرْعُ؛ لِنَزَاهَتِهِ عنِ القَبَائِحِ، ويَضَعُ كُلَّ شَيءٍ بِمِيزانِ الـحِكْمَةِ؛ فَإِنْ رَجَحَ اسْتَرْجَحَهُ، وإِنْ خَفَّ اسْتَخَفَّهُ، وهو فِي الأَمْرَينِ على مِنَصَّةِ الأَدَبِ، لا يَهْتِكُ سِتْرَ اللهِ الـمُنْسَدِلِ على مَـخْلُوقَاتِهِ، ويَقُولُ الـحَقَّ ولا يَـخَافُ فِي اللهِ لَومَةَ لائِمٍ، فَكُنْ أَنْتَ ذَلِكَ الرَّجُلَ الـحَكِيمَ الكَرِيمَ.

وإِذَا مَسَّكَ مِنْ شَيْطَانِكَ نَزْغٌ، فَقَادَ طَبْعَكَ إِلى التَّجَاوُزِ والتَّعَالِـي، أو إِلى البَغْيِ والعِنَادِ والـمُكابَرَةِ، أو مَدَّ لَكَ فِي خَاطِرِكَ بِسَاطَ الـحَسَدِ فَظَلَمْتَ، وأَوْقَعْتَ الأَشْيَاءَ فِي غَيرِ مَواقِعِهَا، فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، واذْكُرْ رَبَّكَ، وبِذِكْرِهِ اذْكُرِ الـمَوتَ؛ فهو بَابُ الـمصيرِ إِليهِ، والرُّجُوعِ إِلى حَضْرَةِ أَمْرِهِ، والسَّبِيلِ إِلى الوُقُوفِ بينَ يَدَيهِ، وتَذَكَّرْ هُنالِكَ سُؤَالَهُ لَكَ عَنْ كُلِّ شَيءٍ، ولا تَنْسَى مَضْمُونَ سِرِّ قَولِهِ تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] وطُفْ بِقَلْبِكَ فِي كُلِّ حَضْرَةٍ، وخُذْ ما صَفَا، ودَعِ الكَدَرَ، ولْيَكُنْ عَمَلُكَ صالحاً؛ لِيُرْفَعَ إليه سُبْحَانَهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، واجْـمَعِ النَّاسَ عليه (١١/ب) لا عَلَيْكَ! خُذْهُم إليه لا إِلَيكَ، وهو الـهَادِي إلى سَواءِ السَّبِيلِ.

قِفْ، هيَ دَارُ عِبْرَةٍ – أَيُّها الوَلَدُ – اعْتَبِرْ بِهَا، وسِرْ بِكُلِّ ما فيها إلى اللهِ، وإِيَّاكَ أَنْ يَشْغَلَكَ بَارِزٌ منها عَنْ رَبِّكَ، وإِيَّاكَ والبَطَالَةَ، ما أَقْبَحَ الصُّوفِـيَّ البَطَّالَ! يَدَّعِي الزُّهْدَ وعَيْنُهُ فِي الـمَالِ، ويَدُهُ مَـمْدُودَةٌ لِلسُّؤَالِ!

---

(١) استكناه: استتار، الكِنُّ والكِنَّةُ والكِنَانُ: وِقاء كل شيءٍ وسِتْرُه. «لسان العرب» مادة: (كنن).

(٢) اسْتَكَنَ: إذا خَضَعَ وَذَلَّ. «المصباح المنير» مادة: (سكن).

لَيْسَ مِنَ الهِمَّةِ أَنْ يَرَى الرَّجُلُ نَفْسَهُ آخِذاً، بلِ الهِمَّةُ أن يَرَى نَفْسَهُ مُعْطِياً، سِفْلُ اليَدِ أَصْعَبُ مِنْ قَطْعِها، احْتَرِفْ بما تَصِلُ إليه قُوَّتُكَ، ويَبْلُغُهُ إِمْكَانُكَ، أَدْنَى حِرْفَةٍ مِنَ الأَعْمَالِ والصَّنَائِعِ فيها - لو فَقِهْتَ - أَشْرَفُ صِفَةٍ دَرَجَ عليها أَهْلُ الهِمَمِ، وهي التَّرَفُّعُ عن نَوَالِ زَيْدٍ وعَمْرٍو، رُكُوناً إلى كَرَمِ الله سُبْحَانَهُ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى عَبْدَهُ تَعِباً فِي طَلَبِ الحَلالِ»[1].

انسُجُوا وَشْيَ[2] صَنْعَاءَ، وبَزَّ فارِسَ، وخَزَّ إِشْبِيلِيَّةَ بينَ سَوارِي أَرْوِقَتِكُم بِهَذِهِ القَرْيَةِ، واجْمَعُوا بينَ صَنائِعِ العَرَبِ والفُرْسِ والرُّومِ، وتَصَدَّقُوا مِنْ كَسْبِكُم على إِخْوانِكُمْ حَلالاً طَيِّباً، والبَسُوا وكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ، قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢]، الطَّيِّبَاتُ لله؟ إِذَا اكْتُسِبَتْ مِنْ حَلالٍ وأُهْلِكَتْ في حَلالٍ.

قالَ سَيِّدُ أَهْلِ الهِمَمِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُؤْمِنَ المُحْتَرِفَ»[3].

أَكْرَهُ ما تَرَاهُ العَيْنُ: رَجُلٌ عَلَيهِ سِيمَا الزَّاهِدِينَ، وهِمَّتُهُ هِمَّةُ السَّائِلِينَ! مَنْ طَأْطَأَ للنَّوالِ، ورَضِيَ بِالسُّؤَالِ فهو أَخَسُّ طَبْعاً مِنْ عَجَزَةِ النِّسَاءِ.

لا أَقُولُ هذا لِأُنَفِّرَ القُلُوبَ مِنَ السَّائِلِينَ، أَدُّوا ما عَلَيْكُم مِنْ حُقُوقِ الرَّحْمَةِ بِخَلْقِ الله، والتَّصَدُّقِ على الفُقَراءِ لِوَجْهِ الله، هذا ما وَجَبَ عَلَيْكُم، ولا يَنْزَغَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ فَتَشْمَئِزَّ منهم نُفُوسُكُم: فَتُهِينُوهُم، وتَرَوْهُم بِعَيْنِ الاحْتِقَارِ! هذا إِذاً يَكُونُ مِنْ تَسْوِيلِ

---

(١) قال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» ٢/ ٦١: ورَوَى أَبُو مَنْصُور الديلمي فِي مُسْند الفردوس من حَدِيث عَلّي «إن الله يحب أن يرَى عَبده تعباً فِي طلب الحَلَال» وَفِيه مُحَمَّد بن سهل الْعَطَّار قَالَ الدَّارَقُطْنِيّ: يضع الحَدِيث.

(٢) الْوَشْيُ: خَلْطُ اللَّوْنِ بِاللَّوْنِ وَمِنْهُ، وَالْوَشْيُ: نَوعٌ مِنَ الثِّيَابِ الْمُوشِيَّةِ. «المغرب»: مادة (وشى).

(٣) رواه عن ابن عمر رضي الله عنه: الطبراني في «الأوسط» رقم ٨٩٣٤، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم ١٠٧٢، والديلمي في «الفردوس» رقم ٥٦٧.

إِبْلِيسَ ودَسَائِسِهِ! وَلَكِنْ أَقُولُ هذا؛ لِأَرْفَعَ هِـمَمَ إِخْوَانِـي طُلَّابَ الـحَقِّ عَنِ البَطَالَةِ، قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَكْرَهُ الْعَبْدَ الْبَطَّالَ»[1].

رَأَيْتُ خالِي وسَيِّدِي الشَّيْخَ مَنْصُوراً - سَحَّ على قَبْرِهِ هَطَّالَ الرَّحْمَةِ - وقد رَدَّ هَدَايا بَعْضَ الفُقَراءِ، فَقُلْتُ له في ذلك؟ فقال: فيها شيءٌ مُـجْتَمِعٌ مِنَ السُّؤَالِ، ولو كانَ عن خَالِصِ طَرِيقٍ أَبْلَجَ[2] لَقَبِلْتُهُ.

يُرِيْدُ أَنَّ ذلكَ الشَّيءَ لو لم يَكُنْ مُشَوَّهَ الوَجْهِ بالسُّؤَالِ، وكانَ مِنْ حَلالٍ طَيِّبٍ، كُنْتُ أَقْبَلُهُ، عملاً بالسُّنَّةِ الـمُحَمَّدِيَّةِ؛ فإِنَّهُ - عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ - رَدَّ الصَّدَقَةَ، وقَبِلَ الـهَدِيَّةَ.

هـذا طَرِيـقُ القَـومِ، بـلى إنَّ القَـومَ يُؤْثِرُونَ عـلى أَنْفُسِـهِم(١٢/ب) ولو كـانَ بِهِم خَصَاصَةٌ.

---

(١) قال العجلوني في «كشف الخفاء» رقم ٧٦٣: «قال الزركشي: لم أجده، انتهى. ومثله في اللآلئ وزاد، لكن روى ابن عدي عن سالم عن أبيه مرفوعاً: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُؤمِنَ الْمُحْتَرِفَ»، وفي سنده أبو الرَّبيع متروك، انتهى ملخصاً، وأقول: ورواه أيضا الطبراني والبيهقي، والحكيم الترمذي عن ابن عمر بلفظ: إن الله تعالى يحب العبد المؤمن المحترف، والمشهور على الألسنة إبدال «الرجل» بـ«العبد»، وفي معناه ما أخرجه سعيد ابن منصور في سننه عن ابن مسعودٍ من قوله: «إِنِّي لأَكْرَهُ أَنْ أَرَى الرَّجُلَ فَارِغاً لا فِي عَمَلِ الدُّنيا ولا الآخِرَةِ»، ورواه أحمد وابن المبارك والبيهقي وابن أبي شيبة عن ابن مسعود أنه قال: «إِنِّي لَأَمْقُتُ الرَّجُلَ أَرَاهُ فَارِغاً لَيْسَ في شَيءٍ مِنْ عَمَلٍ دُنيا ولا آخِرَةٍ»، وذكره الزمخشري في تفسيره سورة الانشراح عن عمر بلفظ: «إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرَى أَحَدَكُم سَبَهْلَلاً لا في عَمَلِ دُنيا ولا في عَمَلِ آخِرَةٍ»، وفي الشعب للبيهقي عن عروة بن الزبير أنه قال: يقال ما شر شيء في العالم ؟ قال البطالة،وأخرج الطبراني في معجمه الكبير والأوسط وابن عدي في كامله عن ابن عمر مرفوعاً بسندٍ فيه ضعيف ومتروك أنه قال: «إن الله يحب المؤمن المحترف»، وروى ابن ماجه والطبراني عن عمران بن حصين مرفوعاً: «إن الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال...» قال في «المقاصد»: ومفرداتها ضعاف، ولكن بانضمامها تتقوَّى، أي: فيصير الحديث حسناً».

(٢) أبلج: واضح. «لسان العرب» مادة: (بلج).

قالَ الإمَامُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلَ[1]- رَحِمَهُ اللهُ وعَطَّرَ قَبْرَهُ - لِوَلَدِهِ عَبْدِ الله[2] بَعْدَ أَنْ صَحِبَ العَارِفَ أبا حَمْزَةَ البَغْدَادِيَّ الصُّوفِيَّ[3] - طَيَّبَ اللهُ مَضْجَعَهُ -:يا وَلَدِي، عَلَيْكَ بِمُجَالَسَةِ هَؤُلاءِ القَوْمِ؛ فَإِنَّهُم زَادُوا عَلَيْنَا بِكَثْرَةِ العَمَلِ، والمُرَاقَبَةِ، والخَشْيَةِ، والزُّهْدِ، وعُلُوِّ الهِمَّةِ.

رَحِمَهُ اللهُ، ما أَكْثَرَهُ إِنْصَافاً، قَدْ وَصَفَ القَوْمَ بِما هُمْ أَهْلُهُ، وهذه الصِّفَاتُ الَّتِي يُحِبُّها اللهُ تعالى مِنْ عِبَادِهِ.

قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تَعالى كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، ويُحِبُّ مكارمَ الأَخْلاقِ، ويَكْرَهُ سَفْسافَها»[4].

---

(١) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي (١٦٤ - ٢٤١)هـ: إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس، بغدادي المولد والوفاة، وكان أسمر اللون، حسن الوجه، طويل القامة، يلبس الأبيض ويخضب رأسه ولحيته بالحناء، من مصنفاته: «المسند»، و«الناسخ والمنسوخ»، و«الرد على الزنادقة فيما ادَّعت به من متشابه القرآن». انظر: «الأعلام» للزركلي ١/ ٢٠٣.

(٢) الحافظ عبد الله بن أحمد بن حنبل (٢١٣-٢٩٠)هـ: كان إماماً خبيراً بالحديث وعلله، مقدماً فيه، سمع من أبيه شيئاً كثيراً من العلم، وسمع من: يحيى بن عبدويه صاحب شعبة، وسمع من: يحيى بن معين، وشيبان بن فروخ، والهيثم بن خارجة، وخلق كثير، توفي في جمادى الآخرة. انظر: «العبر في خبر من عبر» ١/ ٤١٨، و«مرآة الجنان» ٢/ ١٦٢.

(٣) محمد بن ابراهيم أبو حمزة الصوفي البغدادي أستاذ البغداديين تـ(٢٦٩)هـ: هو أول من تكلم ببغداد في هذا المذهب من صفاء الذكر وجمع الهم والمحبة والشوق والقرب والأنس لم يسبقه إلى الكلام بهذا على رؤوس المنابر ببغداد أحد وما زال مقبولاً حسن المنزلة عند الناس إلى أن توفي ودفن بباب الكوفة في بغداد، وكان عالماً بالقراآت، جالس الإمام أحمد وكان إذا جرى في مجلس أحمد شيء من كلام القوم يلتفت إلى أبي حمزة ويقول ما تقول في هذه المسئلة يا صوفي، وصحب سرياً والجنيد وحسن المسوحي وغيرهم. انظر: «الوافي بالوفيات» ١/ ٢٥٥، و«النجوم الزاهرة» ٣/ ٤٦.

(٤) رواه عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ: الطبراني في «الكبير» رقم ٥٩٢٨، والحاكم في «المستدرك»: كتاب الإيمان رقم ١٥١.

وقالَ وهو الصَّادِقُ الأَمِينُ: «ازْهَدْ في الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ»[1].

وليسَ الزُّهْدُ أنْ تَختَطَّ لكَ كُوَّةً في الجَبَلِ، وتَلْبَسَ الخَشِنَ، وتَأْكُلَ الخَشِنَ، وإنَّما الزُّهْدُ: أنْ تَنفُضَ يَدَيْكَ مِنَ الدُّنيا ولا تَرْفَعُهَا إلى قَلْبِكَ ولو مَلَكْتَها بِحَذَافِيرِها.

وإنَّ مِنْ عَلَامَةِ الزُّهْدِ قَوْلَ الحَقِّ؛ لأنَّ كَلْبَ الدُّنيا يَخافُ على جِيفَتِهِ فَيَسْكُتُ عن قَوْلِ الحَقِّ، ويُوافِقُ أَهْلَ البَاطِلِ، والزَّاهِدُ بها لا يَخَافُ على شَيءٍ منها، فَيَقُولُ الحَقَّ، ويَنْصُرُ اللهُ الحَقَّ بأَهْلِ الحَقِّ، ومتى أَغْضَى[2] الأُمَّةُ على الباطلِ وتَركُوهُ على حالِهِ، فقد نَادَوْا على أَنْفُسِهم بالخِزْيِ والشَّتَاتِ! قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا رأَيْتَ أُمَّتِي تَهابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ: إِنَّكَ ظَالِمٌ، فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ»[3].

وبِرِوايَةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عليه السلام قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لاَ يُؤْخَذُ فِيهَا لِلضَّعِيفِ حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ»[4]، وهل يُؤْخَذُ إِلَّا إذا قالَ قَومٌ

---

(١) رواه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: ابن ماجه في «السنن»: كتاب الزهد (٣٧)، باب الزهد في الدنيا (١) رقم ٤١٠٢، والحاكم في «المستدرك»: كتاب الرقاق (٤٤) رقم ٧٨٧٣، وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد، والطبراني في «الكبير» رقم ٥٩٧٢، وقال الإمام النووي في «الأربعين»: حديث حسن، رواه ابن ماجه، وغيره بأسانيد حسنه.

(٢) أغضى: غَضَوْتُ على الشَّيءِ وعلى القَذى وأغضيتُ: سَكَتُّ. «لسان العرب» مادة: (عضا).

(٣) رواه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما: الإمام أحمد في «المسند» رقم٦٥٢١، والبزار في «المسند» رقم٢٣٧٤، والحاكم في «المستدرك»: كتاب الأحكام رقم٧٠٣٦، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه عن أبي سعيد رضي الله عنه: ابن ماجه في «السنن»: كتاب الصَّدقات (١٥)، باب لصاحب الحقِّ سلطان (١٧) رقم ٢٤٢٦، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» رقم ٧٥٨: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات رواه أبو يعلى [في «المسند» رقم ١٠٩١] ورواته رواة الصحيح.
ورواه عن ابن مسعود رضي الله عنه: الطبراني في «الكبير» رقم ٣٣١٧، و«الأوسط» رقم ٤٩٤٥، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٤/ ٢٠٠: رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ورجاله ثقات.
وروي كذلك عن السَّيدة عائشة، وخولة بنت قيس، ومعاوية، وجابر، وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب، وأبو سعيد الأنصاري، وعبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهم.

الـحَقَّ وانْتَصَروا له؟ هذه سُنَّةُ الله في عِبَادِهِ.

حَكِيمٌ ضَاءَ قَلْبُهُ بِقَابِسَةِ نُورِ النُّبوَّةِ يَفْعَلُ ما لا يَفْعَلُهُ العَسْكَرُ الـجَرَّارُ: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[النور: ٤٠]، وكلمةٌ تَفْتِقُ رَتْقاً، وتُـحْيي حَقّاً، وتَرْفَعُ جُدْراناً، وتُشَيِّدُ بُنْياناً، والأَمْرُ كذلك، الـجَهْلُ ظُلْمَةٌ، والعِلْمُ نُورٌ، وإلى الله تصيرُ الأمورُ.

اجمَعُوا - أي إخواني - قُلُوبَكُم على مَـحَبَّةِ بَعْضِكُم، على أولياءِ أُمُورِكُم، اصْبِرُوا على أُمرائِكُم، لا تَـخْرُجُوا على سُلْطَانِكُم، قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ السُّلْطَانِ شِبْراً مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[1].

وبِروايَةِ عُبادَةَ بنِ الصَّامِتِ[2] ﷺ قال: «دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فقالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعْنَا عَلَى السَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ(١٢/ب) فِي مَنْشَطِنَا، وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا، وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، فَقَالَ: إلا أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ»[3].

هذه أَوَامِرُ نَبِيِّكُمُ الصَّادِقِ الأَمِينِ، حَبِيبِ رَبِّ العَالَـمِينَ، فيها لكم هُدىً وبركةٌ، وأَمْنٌ وأَمَانٌ، تَـمَسَّكُوا بها ولَنْ تَضِلُّوا أَبَداً.

---

(١) رواه عن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب الفتن(٩٦) بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا (٢) رقم٧٠٥٣، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الإمارة (٣٣) باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (١٣) رقم١٨٤٩.

(٢) هو الصحابي الجليل عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو الوليد، شهد بدراً وقال ابن سعد: كان أحد النقباء بالعقبة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي، وشهد المشاهد كلها بعد بدر، وشهد فتح مصر، ومات بالرملة سنة أربع وثلاثين. «الإصابة في تمييز الصحابة» رقم ٤٤٩٥، ٣/ ١٤٢.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب الفتن (٩٦) بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا (٢) رقم٧٠٥٦، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الإمارة (٣٣)، باب وجوب طاعة الأمراء...(٨) رقم ١٧٠٩.

عامِلُوا أَهْلَكُم ونِسَائكُم وأولادَكُم ومَوالِيكُم بالرِّفْقِ واللِّينِ، ولا تُغْلِظوا عليهم إلَّا فيما يَؤُولُ إلى دِينِ الله، احْفَظُوا لهم نِظَامَ مُرُوآتِهم[1]؛ فإنَّ المُروءَةَ مِنَ الإيمانِ، سِيرُوا بِأَهْلِكُم في حُكْمِ مَعِيشَتِكُمُ السِّيرَةَ الوُسْطَى، لا ضِيقٌ مُضْجِرٌ، ولا وُسْعٌ مُبطِرٌ، قِفُوا بينَ الحالَينِ، نحنُ من الأُمَّةِ الوُسْطَى[2]، اجْمَعُوا أَمْرَكُم في معاشِكُم عن أنْ تَبْسُطُوا الأيادِيَ فَتَنْكَفَّ بِالضِّيقِ، اجْعَلُوا على مِقْيَاسِكُم وِطَاءَكُم[3] وغِطَاءَكُم، اخْشَوْشِنُوا؛ فَإنَّ النِّعَمَ لا تَدُومُ، خُذُوا عن الشَّرَهِ وحُبِّ الثَّوبِ والمائِدَةِ جَانِباً، اسْتَغْنُوا عنِ الكُلِّ بالجُزْءِ، عَلِّمُوا أولادَكُم وعِيَالَكُم الأَدَبَ الدِّينِيَّ، اطْبَعُوا فيهم لَوازِمَ المُروءَةِ، قَيِّدُوا أَلْسِنَتَهُم إلَّا عن كَلامٍ شَرِيفٍ، قَيِّدُوا ذَهابَهُم وإِيَابَهُم إلَّا إلى مَحْضَرٍ شَرِيفٍ.

يُروَى عن عَليٍّ الكَرَّارِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عليه السلام شِعرٌ:

يُقَاسُ المَرْءُ بِالمَرْءِ ... إذَا مَا هُوَ مَاشَاهُ

وَلِلشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ ... مَقَايِيسٌ وَأَشْبَاهُ

والمرءُ بِقَرِينِهِ يُعْرَفُ شَأْنُ تَمْكِينِهِ، فَقَارِنُوا المُهَذَّبِينَ أَهْلَ القُلوبِ الطَّاهِرَةِ، والأَخلاقِ الشَّرِيفَةِ، لا تَنْظُروا لِفَقْرِهِم وذُلِّهم ومَسْكَنَتِهِم بِنَظَرِ الاحْتِقَارِ؛ فكَم للهِ مِنْ سَيْفٍ مُغْمَدٍ في قِرابٍ رَثٍّ خَلِقٍ.

إِنِّي أُسَرُّ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ إذا نَزَلَتْ بِأَصْحَابِي، وأَفْرَحُ لهم بها، وأَسْأَلُ اللهَ تَعالَى لَهمُ الصَّبْرَ عليها: الجُوعُ، والعُرْيُ، والذِّلَّةُ، والمَسْكَنَةُ، وهذِهِ شِعَارُ الفُقَراءِ.

ولكن كَيْفَ هي لو عَرَفْتُم؟ جوعٌ في شِبَعٍ، وعُرْيٌ في اكْتِسَاءٍ، وذِلَّةٌ في عِزَّةٍ، ومَسْكَنَةٌ في مَكِنَةٍ[4].

---

(١) في «الكليات»: مروءتهم.

(٢) في «الكليات»: الأمة الوسط.

(٣) الوِطَاءُ: الفِرَاشُ الوَطِيءُ؛ أي: اللَّيِّنُ. «طلبة الطلبة» مادة: (وطء).

(٤) مَكِنَةٌ: قوة وشدة. «المصباح المنير» مادة: (مكن).

جائِعٌ، وضِيفَانُهُ شِبَاعٌ! عَارٍ، وقُصَّادُهُ كُسَاةٌ! ذَلِيْلٌ، وأَتْبَاعُهُ أَعِزَّاءٌ! مِسْكِينٌ، ومُوالُوهُ مَكِينُون !

كذلكَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ الفَارُوقُ الجَلِيلُ وأَمْثَالُهُ ﷺ، عليٌّ المُرْتَضَى عليه السلام جَاعَ بَعْدَ أَنْ كَنَسَ بَيْتَ المالِ في الله، مِسْكِينٌ لله في مِحْرَابِهِ، وهو أَسَدُ الله يومَ الحِرَابِ، ذَلِيْلٌ لِأَمْرِ الله، وهو اللَّيْثُ الغَالِبُ.

شَرَفُ الأَكَاسِرَةِ في إِخلاصِ الزَّاهِدِينَ، مَكِنَةُ القَيَاصِرَةِ في مَسْكَنَةِ الخَاشِعِينَ، وإذا (١/١٣) كانت ذِلَّةُ قَلْبٍ للرَّبِّ المُعِزِّ، وتَجَرُّدُ وُجودٍ للمُوجِدِ الحَقِّ، وإِجَاعَةُ كَبِدٍ للمُشْبِعِ الكَرِيمِ، ومَسْكَنَةُ حَالٍ للقَدِيرِ النَّصِيرِ الذي يَحْكُمُ ما يَشاءُ ويَفْعَلُ ما يُرِيدُ، فما هي إِلَّا طِرازُ حالٍ فيه أُنْمُوذَجٌ عن شَأْنِ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ عليهم صَلَواتُ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّبْرُ عليها مِنْحَةٌ مِنْ مِنَحِ الله تَعالَتْ أَسماؤُهُ وجَلَّ ثَناؤُهُ.

قالَ بَعْضُهُم: عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزِيزِ[1] رَحِمَهُ اللهُ تَعالى أَزْهَدُ من أُوَيْسٍ القَرَنِيِّ[2] عليه رِضْوانُ الله ورَحْمَتُهُ؛ لأَنَّ عُمَرَ جَاءَتْهُ فَهَرَبَ منها وتَرَكَها، وأُوَيْسَ لم تَأْتِهِ، ولكِنَّهُ زَهِدَ فيما طَلَبَها.

---

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص ﷺ(٦١- ١٠١)هـ: الخليفة الصالح، والملك العادل، ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد، ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام، وولي الخلافة بعهدٍ من سليمان سنة ٩٩هـ فبويع في مسجد دمشق، ولم تطل مدته، قيل: دس له السم وهو بدير سمعان من أرض المعرة، فتوفي به، وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة. انظر: «الأعلام» للزركلي ٥/ ٥٠.

(٢) أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني، من بني قرن بن ردمان بن ناجية ابن مراد (٣٧)هـ: هو القدوة الزاهد، سيد التابعين في زمانه أحد النساك العباد المقدمين، أصله من اليمن، يسكن القفار والرمال، وأدرك حياة النبي ﷺ ولم يره، وفد على سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ثم سكن الكوفة، وشهد وقعة صفين مع عليٍّ ﷺ، ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد ٦/ ١٦١، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٩/ ٤-٢٠، و«الأعلام» للزركلي ٢/ ٣٢.

اللَّهُمَّ نَسْأَلُكَ عِلْماً بِكَ، وإِيماناً بما جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ، وتَوَكُّلاً عليكَ، وانتصاراً لك.

أي سادَةُ، الطُّرُقُ إلى الله تعالى عَدَّ أَنْفَاسِ الخَلَائِقِ، وإِنِّي لم أَرَ أَقْرَبَ وأَوْضَحَ، وأَيْسَرَ وأَصْلَحَ، وأَرْجَى مِنْ طَرِيقِ الذُّلِّ والانْكِسَارِ والـخُضُوعِ والافْتِقَارِ.

إذا أرادَ العَبْدَ لِأَمْرٍ هَيَّأَهُ لَهُ، وهَيَّأَهُ لِلأَمْرِ الذي أَرادهُ له، وما وَصَلَ الـمُقَرَّبونَ إلى مَحَلِّ الكَشْفِ والـمُشَاهَدَةِ إلَّا بِتَرْكِ الاخْتِيارِ، وكَثْرَةِ التَّواضُعِ والانكِسارِ، وطَاعَةِ الـمَلِكِ الـجَبَّارِ.

ولُقْمَةُ الـحَرامِ: تَـحْجُبُ الدَّعوَةَ أَنْ تُسْتَجابَ.

والفُتُوَّةُ كُلُّ الفُتُوَّةِ: الصَّفْحُ عن عَثَرَاتِ الإِخْوَانِ، وأَنْ لا يَرَى الرَّجُلَ له فَضْلاً على غَيْرِهِ.

والتَّصَوُّفُ: تَهْذِيبُ أَخْلاقٍ، وشَرَفُ طِباعٍ، وعُلُو هِمَّةٍ، فَمَنْ حَسُنَتْ أَخْلاقُهُ، وشَرُفَتْ طِباعُهُ، وعَلَتْ هِـمَّتُهُ، فهو الصُّوفيُّ وإلا فلا.

والإِخْوانُ: أَغْصَانٌ تَضُمُّهم شَجَرَةٌ، وهيَ الـمُرْشِدُ، ومَنْ شَذَّ عنهم فقدِ انْقَطَعَ.

إذا اجتَمَعْتُم على الطَّعامِ تناصَفُوا، وتَواسَوا فيما بَيْنَكُم، ولا يَقْصِدُ أَحَدُكُم أَنْ يَغْلِبَ الآخَرَ؛ فَإِنَّ الغالِبَ في ذلك مَغْلُوبٌ، وإِنَّ الـمُؤْثِرَ ممدوحٌ مُثابٌ مَـحْبُوبٌ، وإِنَّ الأَكْلَ دَلِيلٌ على شَرَفِ الـهِمَّةِ وعَكْسِهِ، وأَخُو الشَّرَهِ لا يَكُونُ شَرِيفَ الـهِمَّةِ، وإِنَّما يَكُونُ حَرِيصاً نَـهِماً، فَعَلَيْهِ أَنْ لا يُظْهِرَ عَيْبَه في كُلِّ ما يَظْهَرُ منه للنَّاسِ، وأَنْ يُطَهِّرَ سَاحَةَ قَلْبِهِ مِنْ كُلِّ عَيبٍ له لا يَطَّلِعُ عليه إلَّا اللهُ، مَنْ لم يَكُنْ له دَاعِيَةٌ مِنْ نَفْسِهِ لم تَنْفَعْهُ دَاعِيَةُ غَيْرِهِ: «اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَـمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[1].

---

(١) هو جزءٌ من حديثٍ طويلٍ رواه عن سيدنا عمر ﷺ: البخاري في «الصحيح»: كتاب الإيمان (٢)، باب سؤال جبريلُ النَّبيَّ ﷺ... (٣٦) رقم ٥٠، ومسلم في «الصحيح»: كتاب الإيمان (١)، باب بيان الإيمان والإحسان... (١) رقم ٨.

للتَّصوُّفِ خِصالٌ مَحْمُودَةٌ أوَّلها: تَجْرِيدُ التَّوحِيدِ، ثُمَّ الإيثارُ، ثُمَّ إيثارُ الإيْثَارِ، ثُمَّ حُسْنُ العِشْرَةِ، ثُمَّ فَهْمُ السَّماعِ، ثُمَّ تَرْكُ الاخْتِيارِ، ثُمَّ سُرْعَةُ الوَجْدِ،(١٣/ب) ثُمَّ الكَشْفُ عن الخواطِرِ، ثُمَّ كَثْرَةُ الصَّمْتِ إلَّا فيما يَؤُولُ إلى الله، ثُمَّ تَرْكُ رُؤْيا الاكْتِسابِ، ثُمَّ تَحْرِيمُ ادِّخارِ ما يَكْتَسِبهُ.

وعَلامَةُ الفَقِيرِ الصَّادِقِ في جَمِيعِ الحَرَكاتِ:

- التَّقَلُّلُ مِنَ المباحاتِ.
- والصَّمَمُ عن كَثِيرٍ مِنَ المَسْمُوعاتِ.
- وأنْ لا يَطْلُبَ المَعْدُومَ حتَّى يَبْذُلَ المَجْهُودَ والمَوجُودَ.
- وانقِطَاعُ الحِيْلَةِ حتَّى لا يَرَى في أحْوالِهِ وشِدَّتِهِ ورَخَائِهِ وتَقَلُّبِهِ غَيْرَ خَالِقِهِ ومُكَوِّنِهِ.

وإنَّ الفَقِيرَ متى نَظَرَ إلى ما يُلْبَسُ الْتَبَسَ عليه أمْرُهُ، ومتى ما رَأى الخَلْقَ دُونَهُ ظَهَرَتْ عُيوبُهُ.

الفَقِيرُ ابنُ وَقْتِهِ، يَرَى كُلَّ نَفَسٍ مِنْ أنْفَاسِهِ أعَزَّ مِنَ الكِبْرِيتِ الأحْمَرِ، يُوْدِعُ لِكُلِّ سَاعَةٍ ما يَصْلُحُ لها، ولا يُضَيِّعُ شيئاً، وعَلَيْهِ أنْ يَخزُنَ لِسَانَهُ عن نُطْقِهِ، ولا يُطْلِقَهُ في غيرِ حَقِّهِ، فإذا نَطَقَ يَنْطِقُ بِعِلمٍ، وإذا صَمَتَ يَصْمُتُ بِحِلمٍ، ولا يَعجَلُ بالجوابِ، ولا يَهجُم على الخِطابِ وإذا رَأى مَنْ هو أعْلَمُ منه أنْصَتَ لاسْتِماعِ الفائِدَةِ، يَحْذَرُ مِنَ الخَطَأ، ويَتَحذَّرُ[1] مِنَ الغَلَطِ والزَّلَلِ، ولا يَتكَلَّمُ فيما لا يَعْلَمُ، ولا يُناظِرُ فيما لا يَفْهَمُ.

وأوَّلُ ما يَنْبَغِي للإنْسَانِ أنْ يَأمُرَ نَفْسَهُ بالمَعْرُوفِ، فَإنِ ائتَمَرَتْ يَأمُرُ النَّاسَ، ويَنْهَى نَفْسَهُ عنِ المُنْكَرِ، فَإنِ انْتَهَتْ يَنْهَى النَّاسَ، وإلَّا فَيَصِيرُ هدفاً لِسِهَامِ قَولِ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣]، ولقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة:٤٤].

---

(١) في «الكليات»: ويحترز.

إذا طَابَتْ أنفُسُكُم للحِكْمَةِ، فارْفَعُوا بها خَواطِرَكُم إلى حِكْمَةِ نَبِيِّكُم ﷺ، وإلى كَلامِ رَبِّكُم جَلَّ وعَلا، فَإِنْ طَابَتْ خَواطِرُكُم بِحِكْمَةِ النَّبِيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام، وتَنَوَّرَتْ بِكَلامِ الله، فَهِيَ على هُدَىً، وإِنْ لم تَطِبْ بالـحِكْمَةِ النَّبَوِيَّةِ وتُشَرَّفْ بِنُورِ القُرآنِ، فَهِيَ ضَجِيْعَةُ الشَّيطَانِ! فَتُوبُوا، واستَغْفِرُوا، وأَقْلِعُوا بالإِنَابَةِ إلى رَبِّكُم، فَرُبَّ عِلْمٍ ثَمَرَتُهُ جَهْلٌ، ورُبَّ جَهْلٍ ثَمَرَتُهُ عِلْمٌ، كُلُّ عِلْمٍ أَنتَجَ دَعْوى التَّفَوُّقِ به فَثَمَرَتُهُ جَهْلٌ بَحْتٌ، اللهُ تعالى يقولُ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥].

يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ: أَعْلَمَ مِنْ أَخِيكَ بِنَحْوِكَ، وهُوَ أَعْلَمُ منك بِصَبْرِهِ؛ أَعْلَمَ منه بِفِقْهِكَ، وهُوَ أَعْلَمُ منك بِعَمَلِهِ؛ أَعْلَمَ منه بِفَلْسَفَتِكَ، وهُوَ أَعْلَمُ منكَ بِطَرِيْقِ حِكْمَتِهِ؛ أَعْلَمَ منه بِخِلافِكَ، وهُوَ أَعْلَمُ منك بِحَقِيْقَتِهِ؛ أَعْلَمَ منه بِلُغَتِكَ، وهُوَ أَعْلَمُ منك بِخُلُقِهِ؛(١٤/ب) أَعْلَمَ منه بِتَفْسِيْرِكَ، وهُوَ أَعْلَمُ منكَ بِذَوْقِهِ؛ أَعْلَمَ منه بِحَدِيْثِكَ، وهُوَ أَعْلَمُ منكَ بِصِدْقِهِ؛ أَعْلَمَ منه بِبَيَانِكَ، وهُوَ أَعْلَمُ منكَ بِحَالِهِ؛ أَعْلَمَ منه بِشِعْرِكَ، وهُوَ أَعْلَمُ منكَ بِإِخْلاصِهِ.

الفُنُونُ النَّوعِيَّةُ في العِصَابَةِ الإِنْسَانِيَّةِ لا تَتَنَاهَى، والفُنُونُ العِلْمِيَّةُ مُتَنَاهِيَةٌ بالنِّسْبَةِ للمُدَوَّنِ، فَمَتَى قَابَلْتَ الـمُدَوَّنَ بِالنَّوعِيِّ رَأَيتَ أَنَّكَ لو بَلَغْتَ الغَايَةَ في كُلِّ مُدَوَّنٍ، أَنتَ قَاصِرٌ فيما لا يُـحْصَى مِنَ النَّوعِيِّ، هذا بنوعِ[1] الإِنسانِ، قالَ فيه رَبُّكَ سُبْحَانَهُ: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[العلق:٥].

جَاءَ في الـخَبَرِ عن سَيِّدِ البَشَرِ ﷺ: «**رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**»[2].

---

(١) في «الكليات»: نوع.

(٢) رواه عن زيد بن ثابت ﷺ: الإمام أحمد في «المسند» رقم ٢١٩٢٣، وابن ماجه في «السنن»: المقدمة، باب من بلغ علماً (١٨) رقم ٢٣٠، والترمذي في «الجامع» قريباً منه: كتاب العلم عن رسول الله ﷺ (٤٢)، باب جاء في الحث على تبليغ السماع (٧) رقم ٢٦٥٦، وقال: في الباب عن عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وجبير بن مطعم وأبي الدرداء وأنس ﷺ، قال أبو عيسى: حديث زيد بن ثابت حديثٌ حسنٌ.

تَوَسَّعْ إذا حَقَّقْتَ، وحَقِّقْ إذا دَقَّقْتَ، ولا تَكُنْ في سَيْرِكَ إلى رَبِّكَ كَحِمارِ الرَّحى غَايَتُهُ مُبْتَدَاهُ! اقْطَعْ عَقَبَاتِ الوُجُودِ بِعِلْمِكَ، بِفَهْمِكَ، بِعَقْلِكَ، بِنَظَرِكَ، باسْتِدْلالِكَ.

سَفَّهَ قَوْمٌ طَرِيقَ الاعْتِبارِ لِغَلَبَةِ الطَّبْعِ، فانْحَجَبُوا بِظُلُماتِ الهَوَى وكَثَافَةِ الضَّلالِ، وسَفَّهُوا أَهْلَ النَّظَرِ الصَّحِيحِ جَهلاً منهم، أولئك هُمُ السُّفَهَاءُ ولكنْ لا يَشْعرونَ.

بَادِرْ - أي أخِي- إلى ما لا بُدَّ لكَ منه، وتَرَفَّعْ إلى فَضْلٍ تُذْكَرُ به في مَحافِلِ قَومِكَ، ويُثْنَى عليكَ بِهِ في الملإِ الأَعْلَى عِندَ رَبِّكَ؛ لِتَصِيرَ حَمِيدَ السِّيْرَةِ في المَلأَيْنِ، مَمْدُوحَ الخِصَالِ في العَالَمِينَ.

الرَّجُلُ مَنْ تَظْهَرُ آثارُهُ بَعْدَهُ، اجْهَدْ أَنْ تُبْقِيَ الأَثَرَ بَعْدَ العَيْنِ، واجْعَلْهُ طَيِّباً مَرْضِيّاً، الحَقُّ مُكَوَّرٌ تَحْتَ الضُّلُوعِ، تُوقِنُ به أَنْفُسُ الحاسِدِينَ، وتَعْتَرِفُ به قُلُوبُ الجاحِدِينَ، وحَسْبُكَ أَنْ تُقِرَّ لِحَقِّكَ أَنْفُسُ حُسَّادِكَ ولو انْعَقَدَتْ عنِ النُّطْقِ به أَلْسِنَتُهُم، وأَنْ تَعْتَرِفَ به لكَ قُلُوبُ جاحِدِيكَ ولو صَرَفَهُم عنِ التَّفَوُّهِ به جُحُودُهُم، هذا شَرَفُ الحَقِّ فَلْيَفْتَخِرِ المُحِقُّ، ولْيَبْهَجْ أَهْلُ الحَقِّ.

رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ لَيْلَةَ عِيدِ الفِطْرِ وقَدْ مَلأَ نُورُهُ عَوالِمَ الله تَعالَى كُلَّها، فَقُلْتُ: الصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَيكَ يا رُوحَ العَوالِمِ يا رَسُولَ الله، فَقَالَ ﷺ: «**وعَلَيْكَ السَّلامُ**»، فَقُلْتُ: يا حَبِيبِي، عَلِّمْنِي أَشْرَفَ العُلُومِ، فَقَالَ: «**هُوَ الوُقُوفُ عِنْدَ الحَقِّ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾**[البقرة:٢٨٢] **وحَسْبُكَ**».

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ على عَبْدِكَ ونَبِيِّكَ ورَسُولِكَ، سَيِّدِ أَهْلِ الحَقِّ، النَّاصِرِ الحَقِّ(١٤/ب) بالحَقِّ، مُحَمَّدٍ أَكْرَمِ عَبِيدِكَ، وأَشْرَفِ عِبادِكَ، وعلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ أَرْشِدْنا بِهِ لِلحَقِّ، واجْعَلْنا بِبَرَكَتِهِ مِنْ خَاصَّةِ أَهْلِ الحَقِّ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[الكهف:١٠].

يا أَهْلَ دَوائِرِ الحَقِّ في حَضَرَاتِ الحَقِّ، قُولُوا الحَقَّ أَيْنَ كُنْتُم، وحَيْثُ وُجِدتُم، امْحَقُوا البَاطِلَ بِحَقِّكُم، افْتَحُوا مُقَلَ الآدَمِيِّينَ بِمِيلِ الحَقِّ؛ لِيَنْتَبِهُوا[1] مِنْ سِنَةِ غَفَلاتِهِم بِكُم، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾[فصلت:٣٣].

والنَّبيُّ ﷺ يَقُولُ: «لَئِنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[2].

يا فَقِيهُ، لا تَصِرْ مَغْلُوباً لِفِقْهِكَ، فَيَغْلِبَ عِلْمُكَ عَقَلَكَ، فَتَعْلُو وتَطِيْش وتُحرِّفَ، اِجْعَلْكَ وفِقْهَكَ وكُلَّ ما بَلَغَهُ عِلْمُكَ للحَقِّ، صِرْ مُنْصِفاً؛ لِتَنْفَعَ النَّاسَ وتَنْفَعَ نَفْسَكَ، طَهِّرْ قَلْبَكَ بِذِكْرِ رَبِّكَ، امْلأْهُ بالخَوفِ منه تعالى لِيَصْلُحَ؛ إِنَّ القَلْبَ إذا صَلَحَ: صَارَ مَهْبِطَ الأَسْرَارِ والأَنْوارِ والملائِكَةِ، وإذا فَسَدَ: صَارَ مَهْبِطَ الظُّلَمِ والشَّياطِينِ؛ وإذا صَلَحَ أَخْبَرَكَ عن ما في أَمَامِكَ ووَرَائِكَ، ونَبَّهَكَ عن أُمورٍ لم تَكُنْ لِتَعْلَمَهَا بِشَيءٍ دُونَهُ؛ وإذا فَسَدَ حَدَّثَكَ بِأَبَاطِيلَ يَغِيبُ معها الرُّشْدُ، ويَنْتَفِي السَّعْدُ، فيا طوبى لِمَنْ أَصْلَحَ اللهُ قَلْبَهُ.

أَشْرِكِ الخَلْقَ كُلَّهُم في مَنْفَعَتِكَ؛ فَإِنَّ أَحَبَّ الخَلْقِ إلى الله أَنْفَعُهُم للخَلْقِ، وصِرْ مَادَّةَ نَفْعٍ، فَكُلُّ مَنْ لم يَنْفَعْ في الدُّنيا، لم يَنْفَعْ في الآخِرَةِ!.

صَحِّحِ اليَقِينَ بِإِشَارَاتِ الصَّالِحِينَ، وزَكِّ نَفْسَكَ بِفِقْهِكَ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ على ثَلاثَةِ أَضْرُبٍ:

- نَفْسٌ أَمَّارَةٌ بالسُّوءِ؛ وهي نَفْسُ الجاهِلِينَ والعاصِينَ.
- ونَفْسٌ لَوَّامَةٌ؛ وهي نَفْسُ المُؤْمِنِ، تَسُرُّهُ حَسَنَتُهُ، وتَسُوؤُهُ سَيِّئَتُهُ.
- ونَفْسٌ مُطْمَئِنَّةٌ؛ وهي نَفْسُ المُوقِنِينَ العارِفِينَ المُنْقَطِعِينَ إليه؛ فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ اللهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، قَطَعَهُ إليه بِكُلِّيَتِهِ[3].

---

(١) في «الكليات»: لِيَتَنَبَّهُوا.

(٢) رواه عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه: البخاري في «الصحيح»: كتاب فضائل أصحاب النَّبيِّ ﷺ (٦٢)، باب مناقب علي...(٩) رقم ٣٧٠١، ومسلم في «الصحيح»: كتاب فضائل الصحابة (٤٤)، باب من فضائل علي...(٤) رقم ٢٤٠٦.

(٣) (قَطَعَهُ إليه بِكُلِّيَتِهِ) في «الكليات» وفي «الأصل»: (قَطَعَهُ اللهُ بِكُلِّيَتِهِ).

قُلْ لِأَرْبَابِ الغَفْلَةِ: مَجَالِسُنَا مَجالِسُ الأَحْزَانِ والمآتِمِ؛ لأَنَّ الفَقِيرَ لا يَزالُ مُتَأَسِّفاً على ما فَاتَهُ مِنَ الفَضَائِلِ، يَرْجُو الحَقَّ ويَخَافُهُ، فَإِنْ سَمِعَ شَيْئاً يُشِيرُ إلى المُفاصَلَةِ خَافَ، وإِنْ سَمِعَ شَيْئاً يُشِيرُ إلى المُواصَلَةِ رَجَا، وإِنْ دُعِيَ أَجَابَ، وإِنْ سَمِعَ رَدّاً بَكَى وَهَابَ، تَسِيرُ به الفِطْنَةُ في هذه المَجَالِسِ لاقْتِنَاصِ شَوَارِدِ الحِكْمَةِ، حتَّى يَصِيرَ مِنْ أَهْلِهَا؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة:٢٦٩].

أَفِيضُوا نَفعَكُم على الخَلْقِ كُلِّهِم؛ فَإِنَّ المُؤْمِنَ كُلَّهُ بَرَكَةٌ ورَحْمَةٌ ونَفعٌ أَيْنَمَا كَانَ، تَعاوَنُوا على مَصَالِحِ دِينِكُم ودُنْيَاكُم، يَدُ الله مَعَ الجَماعَةِ[1]، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[المائدة:٢]، وإِيَّاكُم والتَّعاوُنُ على ظُلْمِ الخَلْقِ وشَهَواتِ النُّفُوسِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[المائدة:٢]، شَرَفُ الأُمَّةِ بالتَّعاوُنِ على مَصْلَحَةِ الدُّنْيا والدِّينِ.

التَّجْرِبَةُ السَّارِيَةُ بِحُكْمِ الوَضْعِ الأَصْلِيِّ في النَّوعِ الآدَمِيِّ تَقُولُ: هَلَكَ المُتَفَرِّقُونَ! اعْرِفُوا حَقَّ العَصَائِبِ الزَّكِيَّةِ في الأُمَّةِ، حَطَّهُمُ الزَّمَانُ أَوْ رَفَعَهُم، أَضْعَفَهُم أَوْ أَقْوَاهُم.

لِذَوِي البُيُوتَاتِ في قُلُوبِ العَامَّةِ سَلاسِلُ تَهُزُّها بِحَالِ ما يَصِلُ إليها، لا تَهْدِمُوا شُرُفَاتِ بُيُوتِ مَجْدِكُم بِخِسَّةِ الطِّبَاعِ، وسُوءِ الحَالِ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ بَانٍ لِلْمَجْدِ رَتَّبَ عَلَيكُم حُقُوقاً أَعَزُّها حِفْظُ مَجْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ، لا تَقْصُرْ هِمَمُكُم عن أَنْ يَتَصَدَّرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فَيَبْنِيَ مَجْداً ثَانِياً فَوقَ المَجْدِ الأَوَّلِ، هذا سَيِّدُ أَهْلِ المَجْدِ، وأَمْجَدُهُم وأَعْظَمُهُم عِنْدَ الله والنَّاسِ، مَولانَا ووَسِيلَتُنا إلى رَبِّنا، وسَيِّدُنا مُحَمَّدٌ رَسُولُ الهُدى ﷺ، بَنَى لِلْمُسْلِمِينَ بَيْتَ مَجْدٍ إِلَهِيٍّ - دِينِيٍّ ودُنْيَوِيٍّ - جَمَعَ بَيْنَ شَرَفَي المَادَّةِ والمَعْنَى، ووَفَّقَ

---

(١) روى التِّرْمذيُّ في «الجامع» عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كتاب الفتن (٣٤)، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٧) رقم ٢١٦٦، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يَدُ الله مَعَ الجَمَاعَةِ»، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.
وكذلك روي عن سيدنا عمر ابن الخطاب وابن عمر وخبَّاب وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعَرْفَجَةَ بْنِ شُرَيْحٍ الأَشْجَعِيِّ رضي الله عنهم.

بَيْنَ عَزْمَيِ الآخِرَةِ والأُولَى، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَـخْلُفُوهُ فِي حِفْظِ مَـجْدِ هذا الدِّينِ الـمَتِينِ، والكِتَابِ الـمُبِينِ، ابْذُلُوا لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ مَـجْدِهِ الرَّبَّانِيِّ الـمُحَمَّدِيِّ الأَمْوَالَ والأَنْفُسَ، قِفُوا عِنْدَ حَدِّهِ، لا تَنْحَطُّوا عَنْ هَذِهِ الرُّتْبَةِ السَّعِيْدَةِ؛ فَإِنَّ الانْحِطَاطَ عنها مُـخَالَفَةٌ، والله تعالى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

إذا رَأَيْتُمُ الـمُنْتَصِرَ لِنَبِيِّهِ فانصُرُوهُ، وأَعِزُّوا كَلِمَتَهُ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ مِنَ النَّفْعِ لكم في دِينِكُم ودُنْيَاكُم مَا يَقْصُرُ عنه وَصْفُ الوَاصِفِ، ويَكِلُّ عنه لِسَانُ الـمُعَبِّرِ.

ما أَحَطَّ هِـمَّةَ مَنْ عَارَضَ رَجُلاً يَسْعَى لِإِصْلَاحِ شَأْنِ الدِّيْنِ مُنْتَصِراً للنَّبِيِّ الأَمِينِ [ﷺ]، أُفٍّ لَهُ، لا عَقْلَ لَهُ، قَامَتْ هذه الـحُجَّةُ على كُلِّ آدَمِيٍّ، ووَجَبَ عليه الانْتِصَارُ لِكَلِمَةِ سَيِّدِنا مُـحَمَّدٍ ﷺ؛ إِذْ لَوْ فَقِهَ: [عَلِمَ أَنَّهُ][1] هُوَ الَّذِي شَادَ مَنَارَ العَدْلِ، وأَوْضَحَ الـمَحَجَّةَ، وأَقَامَ الـحُجَّةَ، وأَوْقَعَ الطُّمَأْنِينَةَ فِي القُلُوبِ، وكَفَّ شَرْعُهُ الكَرِيمُ (١٥/ب) أَيْدِيَ النَّاسِ عنِ النَّاسِ، ومَهَّدَ بُنْيَانَ الأَمْنِ والإِيمَانِ، وقَاتَلَ لله على كَلِمَةِ الله؛ لِيُذِيعَ سِرَّ عَدْلِ الله في مُلْكِ الله، ولِيُفْرِغَ حُكْمَ أَمَانِ الله في خَلْقِ الله، وهُوَ الَّذِي سَاوَى بِشَرْعِهِ بينَ الأَمِيْرِ والـمَأْمُورِ، والقَوِيِّ والضَّعِيفِ، والغَنِيِّ والفَقِيرِ، والصَّغِيرِ والكَبِيرِ، والشَّرِيْفِ والـمَشْرُوفِ، وكُلُّهُم عِنْدَهُ في الله سَواءٌ.

وهُـوَ الَّذي هَدَمَ قَواعِـدَ البَغْيِ، ومَـحَقَ أَسَـاسَ الـجَوْرِ، وبَـدَّدَ أَرْكَانَ الظُّلْمِ، وبَسَـطَ بِسَـاطَ الرَّاحَـةِ والبَرَكَةِ، وصَانَ الـحَقَّ وحَمَـى أَهْلَهُ، وأَقْعَدَ النَّـاسَ على صَعِيْدٍ واحِـدٍ، وأَرْتَعَهُـم في بُحْبُوحَـةِ الأَمَـانِ مِنْ طَـوَارِقِ وَغْثَاءِ النُّفُـوسِ البَاغِيَـةِ، والطِّباعِ الـمُتَسَـلِّطَةِ العادِيَـةِ، ودَلَّ عـلى الله، وأَرْشَـدَ إلى الله، وهَـذَّبَ الأَخْـلاقَ، وذَكَّرَ بالله، ورَبَـطَ القُلُـوبَ بِحَبْلِ الله، وعَقَدَهَا عـلى مَـحَبَّةِ الله، وفَتَكَ وأَحْسَـنَ، وقَطَعَ وَوَصَلَ، وكُـلُّ فِعَالِهِ لله، إِعْـزَازاً لِدِينِ الله، وإِنْقَـاذاً لـخَلْقِ الله مِنْ وَهْدَةِ العُيُـوبِ القَاطِعَةِ عنِ

---

(١) هذه الزيادة في «الكليات».

الله، فَهُـوَ أَمِـينُ الله عـلى خَلْـقِ الله في بِـلادِ الله إلى أنْ يُـحْـشَرَ الـخَلْـقُ إلى الله، والأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله، فَمَـنْ أَرَادَ اللهُ به خَيراً فقَّهَهُ في الدِّينِ، ودَلَّهُ على هـذا الطَّرِيقِ الأَمينِ، فَهَجَرَ الـمُكَابَرَةَ والعِنادَ، وتَـمَسَّـكَ بِحَبْلِ الـهُدَى والسَّدادِ، وأَخَذَ كَلِمَةَ الـحَقِّ باباً، فَدَخَلَ بهـا منهـا إلى حَضْرَةِ أَمَانِ الله، مُؤْمِناً بالله، وبكتـابِ الله، وبِكُلِّ ما جَاءَ مِنْ عِنْدِ الله، إلى سَيِّدِنا مُـحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

أيُّ شَرِيعَةٍ للأنبياءِ عَليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ وهُمْ إِخْوَانُهُ جَاءَتْ بِمِثْلِ شَرِيعَتِهِ؟ وأَيُّ طَرِيْقَةٍ للْمُرْسَلِينَ وَهُمْ عِيَالُهُ وفَّتْ بِمِثْلِ طَرِيقَتِهِ؟ امتَازَهُمُ اللهُ على النَّاسِ فَأَعَزَّهُم بالنُّبُوَّةِ والرِّسالَةِ، وامتَازَهُ اللهُ على جَمِيْعِهِم فَأَيَّدَهُ اللهُ معَ النُّبُوَّةِ والرِّسَالَةِ بِالـحِكْمَةِ والبَيَانِ، وعُلُوِّ الـهِمَّةِ، وشِدَّةِ العَزْمِ، قيل له: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ﴾[الأحقاف:٣٥] عِلْماً أَزَلِيّاً بِأَنَّ حُكْمَ قَابِلِيَّةِ ذَاتِهِ يَقُومُ بِصَبْرِهِم كُلِّهِم، فالعارِفُ مَنْ كانَ عاقِلاً، والعاقِلُ مَنْ كانَ حَكِيماً، والـحَكِيمُ مَنْ كانَ مُسْلِماً؛ وإِلَّا فالعَارِفُ إذا لم يَكُنْ عَاقِلاً فَهُوَ مُوَسْوَسٌ، والعَاقِلُ إذا لم يَكُنْ حَكِيماً فَهُوَ مُـخَلِّطٌ، والـحَكِيمُ إذا لم يَكُنْ مُسْلِماً فَهُوَ وَاهِمٌ، الإِسْلامُ رُوحُ الـحِكْمَةِ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩].

أَتَى الإِسْـلامُ بالبُرْهَانِ القَاطِـعِ،(١٦/أ) والـحُكْمِ الصَّادِعِ، فَعَقَـدَ العُقُولَ على الـحَقِّ بالـحَقِّ، وأَوْقَفَهَـا أَنْ تَـجْمَـعَ شَـأْنَها على مـا لا حَقِيْقَـةَ لَهُ مِنْ قَـولٍ وعَمَلٍ يُـحِيْطُهُ العَقْلُ، ولَكِنْ هَاتِ العَقْلَ الكَامِلَ وأَحِطْ به الإِسْلامَ، وخُذْهُ على مُفَكِّرَتِكَ، وتَدَبَّـرْهُ بَعْدُ بِعَـينِ فِقْهِكَ وبَصِيْرَتِكَ تَـجْدْهُ نُـوْراً في قَلْبِكَ، وحَالاً في عَزْمِكَ، وبَرَكَةً في سِرِّكَ، وطُمَأْنِيْنَـةً في خَاطِـرِكَ، وقُوَّةً في عَزِيْمَتِكَ، ورِياضَـةً في طَبْعِكَ، وعِصْمَةً في أَمْـرِكَ، وبَيَاناً في لِسَـانِكَ، وشَرَفاً في صِفَاتِكَ، وعِزّاً في طَـوْرِكَ، ومَـجْداً في سُلُوكِكَ، وزِيـادَةً في نَخْوَتِـكَ، وحِصْنـاً في مَعِيْشَـتِكَ، ورُكْنـاً في هِـمَّتِـكَ، وأَمَانـاً في آخِرَتِكَ، ورِبْحاً في دُنْيَاكَ.

وإذا لم يَفْقَهْ عَقْلُكَ مِنَ الإِسلامِ - بعدَ أَنْ يُعْمِلَ الإِحاطَةَ به - هٰذِهِ الأَسْرَارَ الباهِرَةَ، فَاتَّهِم عَقْلَكَ؛ فَإِنَّهُ ما أَحَاطَ به ولا فَهِمَ فِقْهَهُ، ولا وَصَلَ إلى سِرِّهِ.

قامَتْ لِرَبِّي به الـحُجَّةُ: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[الحج:٧٨] أَخَذَتْ بـه قَابِلِيَّاتُ الطِّبَـاعِ حُظُوظَهَا في دَائِرَةٍ لا تُعَدُّ، والـحِكْمَـةُ لا تَنْحَرِفُ عنِ الصَّوابِ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦] صَفَتْ مَنَاهِلُهُ، وطَابَتْ مَشَارِبُهُ.

عَجَباً للجَاهِلِ يَكْتَسِي بِكِسْوَةِ العُيَّاقِ[1]، فَيَرَى الآخَرَ مُكْتَسِياً بِكِسْوَةِ التُّجَارِ فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنِهِ، وذَاكَ يَرَى الآخَرَ مُكْتَسِياً بِكِسْوَةِ الـجُنْدِ فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنِهِ، وذَاكَ يَرَى الآخَرَ مُكْتَسِياً بِكِسْوَةِ الفُقَرَاءِ فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنِهِ، وهَلُمَّ جَرّاً.

يا مَنْ عَقَلَ عَقْلَهُ بعِقَالِ الكَسَاوِي الـمُجَرَّدَةِ، خُذِ الـحِكْمَةَ أَيْنَ وَجَدْتَها، ولا تَنْظُرْ إلى مَصْدَرِهَا، انْطَمِسْ عَنِ الـمَصْدَرِ وخُذْها، ومِنْ أَيِّ مَـحَلٍّ صَدَرَتْ فَلْتَصْدُرْ، هيَ القَصْدُ، وفيهَا الـمَطْلُوبُ، ولا تُتْبِعِ الـحَبْلَ الدَّلْوَ، أَوْقِفِ الأُمُورَ عِنْدَ حُدُودِهَا، نَقِّ نَظَرَكَ حتَّى يَرَى الـحِكَمَ، ويَنْصَرِفَ عَنْ مَصَادِرِهَا ومَوَارِدِهَا.

كُنْ عَالِـماً بما لَكَ وما عَلَيكَ، وأَرْجِعْ نَظَرَكَ إِليكَ، تَفَكَّرْ بِعَوالِـم الله تَعالَى: عَالَـمِ السَّمَاءِ، فِي كُلِّ جَرْعَةٍ منه مِنَ العَوالِـمِ العَجَائِبِ!، عَالَـمِ الـهَوَاءِ، في كُلِّ شَمَّةٍ منه مِنَ العَوَالِـمِ الغَرَائِبِ!.

نَشَرَ الباري الـمُنعِمُ أَسْرَارَ رُبُوبِيَّتِهِ الباهِرَةِ وعَظَمَتِهِ القاهِرَةِ، وعَجَائِبَ سَلْطَنَتِهِ القَادِرَةِ في كُلِّ شَيءٍ وقالَ لكَ: اعْتَبِرْ أَيُّها الإِنْسَانُ بِنَصِّ: ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [الحشر:٢]، فَإِنْ أَدْرَكْتَ حُكْمَ العِبْرَةِ في الفِكْرَةِ، ووَصَلْتَ إلى سِرِّهَا الـمَطْوِيِّ، وعالَـمِهَا الـمَخْفِيِّ، ووَقَفْتَ عَنِ الغَفْلَةِ، وسِرْتَ مع الـحَذَاقَةِ،(١٦/ب) وجَمَعتَ عَلَيكَ حَالَكَ، فَقَدْ فُزْتَ فَوْزاً عَظِيماً: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[الجاثية:١٩]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأعراف:١٩٦] هذا نِظَامٌ خَاصٌ لِأَهْلِ الاخْتِصَاصِ، يَهْدِي اللهُ به مَنْ يَشَاءُ، واللهُ ذو الفَضْلِ العَظِيمِ.

وصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآله وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، والحَمْدُ لله في الأَوَّلِ والآخِرِ، والباطِنِ والظَّاهِرِ، له الحُكْمُ، وإليه تُرْجَعُونَ.

(١) العياق: رجل عَوْق لا خير عنده، والتَّعْوِيقُ تَرْبِيثُ الناس عن الخير. «لسان العرب»: (عوق).

[(٥) الغوثية][1]

وقال ﷺ وعنا به ونفعنا بعلومه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ على سَيِّدِنا وسَيِّدِ مُلُوكِ الـحَضَرَاتِ مُـحَمَّدٍ وآلِهِ وأَصْحَابِهِ الطَّاهِرِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَالغَوْثِيَّةُ: عَلَمٌ يُعْنَى به القُطْبُ الفَرْدُ سَيِّدُ الأَبْدَالِ في زَمَانِهِ الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ- باسْتِعْدَادِهِ وسِعَةِ عِلْمِهِ ونُورِ قَلْبِهِ وكَثْرَةِ عِرْفَانِهِ وعَقْلِهِ- عَلَيْهِم، جَاءَ فِي الخَبَرِ عنِ النَّبِيِّ الأَطْهَرِ ﷺ: «إِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الـخَلْقِ ثَلَاثَمِائَةٍ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ آدَمَ، وَللهِ فِي الـخَلْقِ أَرْبَعُونَ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ إِبْرَاهِيمَ، وَللهِ فِي الـخَلْقِ سَبْعَةٌ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ مُوسَى، وَللهِ فِي الـخَلْقِ خَـمْسَةٌ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ جِبْرَائِيلَ، وَللهِ فِي الـخَلْقِ ثَلَاثَةٌ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ مِيكَائِيلَ، وَللهِ فِي الـخَلْقِ وَاحِدٌ قَلْبُهُ عَلَى قَلْبِ إِسْرَافِيلَ، فَإِذَا مَاتَ الْوَاحِدُ أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ مِنَ الثَّلَاثَةِ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ الثَّلَاثَةِ أَبْدَلَ مَكَانَهُ مِنَ الـخَمْسَةِ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ الـخَمْسَةِ أَبْدَلَ مَكَانَهُ مِنَ السَّبْعَةِ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ السَّبْعَةِ أَبْدَلَ مَكَانَهُ مِنَ الأَرْبَعِينَ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ الأَرْبَعِينَ أَبْدَلَ مَكَانَهُ مِنَ الثَّلَاثِمِائَةِ، وَإِذَا مَاتَ مِنَ الثَّلَاثِمِائَةِ أَبْدَلَ مَكَانَهُ مِنَ الْعَامَّةِ؛ فَبِهِمْ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُمْطِرُ وَيُنْبِتُ، وَيَدْفَعُ الْبَلَاءَ»[2].

---

(١) ذكره الإمام الرواس ﷺ في «بوارق الحقائق» صـ٥٥٥- ٥٦١ـ.

(٢) رواه عن عبد الله بن مسعود ﷺ: أبو نعيم في «الحلية» ١/ ٩، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١/ ٣٠٣، والديلمي في «الفردوس» رقم ٧٠٣. وعن أنس ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَنْ تَخْلُوَ الأَرْضُ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِثْلَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، فَبِهِمْ تُسْقَوْنَ، وَبِهِمْ تُنْصَرُونَ، مَا مَاتَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَبْدَلَ اللهُ مَكَانَهُ آخَرَ»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٦٣: رواه الطَّبراني في الأوسط رقم ٤١٠١، وإسنادهُ حسنٌ. =

وهنا لم يَذكُرِ النَّبيُّ ﷺ أنَّ أحداً منهم على قَلْبِهِ الشَّرِيفِ المبارَكِ؛ إذْ لَمْ يَخْلُقِ اللهُ تَعَالَى فِي عَالَمَيِ الخَلْقِ والأَمْرِ أَعَزَّ وأَشْرَفَ وأَكْرَمَ وأَلْطَفَ مِنْ قَلْبِهِ ﷺ، فَقُلُوبُ جَمِيعِ الأَنْبِياءِ والملائِكَةِ والأَوْلِياءِ بالإِضَافَةِ إلى قَلْبِهِ الأَنْوَرِ الأَطْهَرِ كَإِضَافَةِ سَائِرِ الكَواكِبِ إلى إِضَاءَةِ الشَّمْسِ.

ولَـمَّا كانَتِ الطَّائِفَةُ الـمُنَوَّه بِذِكْرِهَا كَرِيمَةٌ على الله، بها يُحْيِي ويُمِيتُ، ويُمْطِرُ ويُنْبِتُ، ويَدْفَعُ البَلاءَ، وأَعْلاهُمْ مَنْزِلَةً ومَقَاماً الوَاحِدُ الـمُخْتَارُ لِلْمَقَامِ التَّنَزُّلِيِّ فِي الـمَظْهَرِ الإِنْسَانِيِّ على القَلْبِ الإِسْرافِيلِيِّ، جَعَلَ اللهُ به قِوَامَ الدُّنيا وأَهْلِها، وقِيلَ لَهُ(١٧/أ) لِذَلِكَ: الغَوثُ، وَرَدَ فِي الحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه فَهُوَ مِنَ الأَبْدَالِ الَّذِينَ بِهِمْ قِوَامُ الدُّنْيَا وأَهْلِهَا: الرِّضَاءُ بالقَضَاءِ، والصَّبْرُ عَنْ مَحَارِمِ الله، والغَضَبُ فِي ذَاتِ الله»[1].

ويا عَجَباً لَكَ أَيُّها الـمَحْجُوبُ بِنَفْسِكَ، الـمُنْقَطِعُ عنِ القَافِلَةِ الواصِلَةِ، تَقُولُ: كَيْفَ يُمْكِنُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي آدَمَ الغَوثِيَّةُ، وهِيَ مَقَامُ التَّصَرُّفِ والنَّهْيِ والأَمْرِ فِي الذَّرَّاتِ؟

= وقال محمد صبغة الله في «ذيل القول المسدد» ١/ ٨٤-٨٥: قال السيوطي في النكت: خبر الأبدال صحيح فضلاً عما دون ذلك، وإن شئت قلت متواتر، وقد أفردته بتأليف استوعبت فيه طرق الأحاديث الواردة في ذلك.

وقال الإمام السيوطي في «الحاوي للفتاوي» ٢/ ٢٩٢: فقد بلغني عن بعض من لا علم عنده إنكار ما اشتهر عن السادة الأولياء من أن منهم أبدالاً ونقباء ونجباء وأوتاداً وأقطاباً، وقد وردت الأحاديث والآثار بإثبات ذلك فجمعتها في هذا الجزء لتستفاد ولا يعول على إنكار أهل العناد وسميته: «الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال» والله الموفق؛ فأقولُ: ورد في ذلك مرفوعاً وموقوفاً من حديث عمرَ بن الخطَّاب، وعليِّ بن أبي طالبٍ، وأنس، وحذيفةَ بن اليمانِ، وعبادةَ بنِ الصَّامتِ، وابنِ عبَّاسٍ، وعبدِ الله بن عمر، وعبدِ الله بنِ مسعُودٍ، وعوفِ بن مالكٍ، ومعاذِ بنِ جبلٍ، وَوَاثِلَةَ بنِ الأَسْقَعِ، وأبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ، وأبي هريرةَ، وأبي الدَّرداء، وأم سلمة ﵃، ومن مرسلِ الحسن، وعطاء، وبكر بن خنيس، ومِنَ الآثارِ عن التَّابعينَ ومَنْ بَعدَهُم ما لا يُحصَى.

(١) رواه عن معاذ بن جبل ﵁: الديلمي في «مسند الفردوس» رقم ٢٤٥٧، ورمز السيوطي لضعفه في «الجامع الصغير» رقم ٣٤١٨.

وأَنْتَ تَرَى أَنَّ الشَّمْسَ سَرَتْ أَشِعَّتُها وهِيَ في مُسْتَقَرِّها إلى الحَادِثَاتِ، وعَمَّتْ جَمِيعَ البارِزَاتِ، وقَامَتْ بِإِغَاثَةِ النَّبَاتَاتِ والمَرْئِيَّاتِ، وامْتَدَّتْ سُجُفُ[1] أَذْيَالِ نَفْعِها على الكُلِّياتِ في الأَرْضِ والجُزْئِيَّاتِ، ولها في العَالَمِ السَّماوِيِّ مَحْضَرٌ لا يُسْتَغْنَى عنه ولا بُدَّ منه، وأَنْتَ تَقُولُ بذلك، وتَعْلَمُ أَنَّ الذي وَهَبَهَا هَذِهِ القُدْرَةَ وأَمَدَّها بهذه القُوَّةِ، إنَّما هو اللهُ الذي لا إله إلَّا هوَ الخَالِقُ البارِئُ المُصَوِّرُ العَزِيزُ الجَبَّارُ، وإنَّها لَكَوكَبٌ!! الآدَمِيُّ عِنْدَ الله أَكْرَمُ منها وأَفْضَلُ وأَعَزُّ، وله سُبْحَانَهُ التَّصَرُّفُ المُطْلَقُ والقُدْرَةُ الشَّامِلَةُ وأَنَّهُ لَقَادِرٌ على اسْتِيدَاعِ ما قَامَ بذلك الكَوكَبِ في حَجَرٍ أَسْوَدَ مُلْقَى في فَلاةٍ.

وإذا كانَ كَذَلِكَ، والأَمْرُ والله كذلك، فَالْقُطْبُ الغَوْثُ هو المُسْتَودَعُ لِلأَسْرَارِ الإلَهِيَّةِ في الكَبْكَبَةِ الآدَمِيَّةِ، يُغِيثُ بِإِذْنِ الله حاضِراً كانَ أَوْ غَائِباً، حَيّاً كانَ أو مَيْتاً، نَعَمْ يَكُونُ ذلكَ بِإِغَاثَةِ الله، بِمَعُونَةِ الله، بِإِحْسَانِ الله، بِحَولِ الله، بِقُوَّةِ الله، لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِالله.

أَتَزْعُمُ- أَيُّها المَرْدُودُ- أَنَّ عُقْدَةَ الوَصْلِ بينَ الخَالِقِ والخَلْقِ مَغْلُوقَةٌ، أَمْ دَوْلَةُ إِمْدَادِهِ المُتَدَلِّيَةِ إلى خُلَّصِ عِبادِهِ على حَياةٍ دُونَ مَوْتٍ مَوقُوتَةٌ، حَجَّرْتَ على كَرِيمٍ، وقَيَّدتَ إِطْلاقَ عَظِيمٍ، يُدْعَى الوَلِيُّ فَيُجِيبُ اللهُ بِمَحْضِ الكَرَمِ وسَابِقَةِ الوَهْبِ مَنْ دَعَاهُ، ولا إله إلَّا اللهُ.

كيفَ يُنْكِرُ العاقِلُ خَواصَّ الأَزْمِنَةِ والأَمْكِنَةِ والأَشْخَاصِ؟! وها هِيَ آثَارُها بَارِزَةَ العِيانِ، جَلِيَّةً لِأُولِي الإِذْعَانِ، جَعَلَ رَبُّكَ زَمَنَ الشِّتَاءِ مَاطِراً، وزَمَنَ الصَّيْفِ قَاشِعاً، وجَعَلَ مَكَانَ الكَعْبَةِ قِبْلَةً، ومَكَانَ العُزَّى مَهْجُوراً، وجَعَلَ السَّيِّدَ الأَعْظَمَ المُصْطَفَى نَبِيّاً رَسُولاً مَحْبُوباً مُكَرَّماً مُعَظَّماً؛ وجَعَلَ أَبَا جَهْلٍ مَلْعُوناً مَطْرُوداً مُهاناً مَبْغُوضاً، وجَعَلَ مَاءَ فَمِ الصَّدَفَةِ دُرّاً، ومَاءَ فَمِ(١٧/ب) الحَيَّةِ سُمّاً، وجَعَلَ جَوْهَرَ الذَّهَبِ عَزِيزاً، وجَوْهَرَ التُّرَابِ مُهْمَلاً، وأَقَامَ في مَادَّةِ التُّرابِ نَفْعاً، وفي مَادَّةِ النَّارِ إتْلافاً، وفي رُوحِ السماءِ

(١) السجف: الستر.

حياةً، وفي غَلَبَتِهِ المُضِرَّةِ إِمَاتَةً، وصَبٌّ في الهواءِ نَشْأَةً سَيَّارَةً، وفي غَلَبَةِ الرِّيحِ عَذَاباً، وفي رَقِيقِهِ رَحْمَةً.

ومِنْ هَذِهِ الأَسْرَارِ قَسَمَ لِلْغَوثِ في كُلِّ زَمَانٍ هَذِهِ الخُصُوصِيَّاتِ، وأَعْطَاهُ هَذِهِ المَزِيَّاتِ، وأَكْرَمَهُ وأَيَّدَهُ وأَقَامَهُ نَائِباً عَنْ نَبِيِّهِ الكَرِيمِ، سَيِّدِنَا وسَيِّدِ سَادَاتِ الوُجُودِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فلا يَثْقُلَنَّ عَلَيكَ - أَيُّها المُتَعَالِي بِطَوْرِكَ، المَحْجُوبُ بِغُرُورِكَ - أَنْ تَنْقَادَ إِلَيهِ، فقد قَادَكَ اللهُ لِتَعْظِيمِ حَجَرٍ وأَمَرَكَ بِتَقْبِيلِهِ واسْتِلامِهِ، وسَبَقَكَ لِذَلِكَ رُوحُ هَذِهِ الوُجُودَاتِ، سَيِّدُ السَّادَاتِ ﷺ، انْقِيَاداً لِأَمْرِ الله تَعَالَى، وعَمَلاً بِهِ، وتَحَقُّقاً بالخُضُوعِ تَحْتَ مَجَارِي الأَحْكَامِ الرَّبَّانِيَّةِ، وتَسْلِيماً لله تَعَالَى وتَقَدَّسَ بِكُلِّ مَا شَاءَ، ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[الأعراف:٥٤].

وإِنِّي - ولله الحَمْدُ - صَاحِبُ هَذِهِ المَرْتَبَةِ، وَوَارِثُ نَوبَةِ هَذِهِ النِّيَابَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، وكُلُّ مَنْ تَصَدَّرَ في هذا المَقَامِ، فَهُوَ نَائِبٌ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

ولهذا المَقَامِ مَرَاتِبُ لا تُحَدُّ تَرَقَّى بها المُؤَيَّدُونَ إلى غَايَةِ الغَايَاتِ، ولا يَكُونُ ذَلِكَ لامْرَأَةٍ قَطُّ، ولا لِمَنْ لم يَنْسَلِخْ مِنْ كُلِّيَاتِهِ وجُزْئِيَّاتِهِ، وهَذِهِ الإِشَارَاتُ التي تَخْفِقُ، والحُجُبُ التي تُفْتَقُ وتُرْتَقُ، قُمْتُ بها في مَنْزِلَةِ حَمْلِ أَعْبَائِهَا أَجُوبُ بَرَّها وبَحْرَها.

فلا يَصْعُبْ عليكَ أَيُّها المُسْتَبْعِدُ لذلِكَ حَسَداً أو جَهلاً؛ فَإِنَّ صَاحِبَ هذِهِ المَرْتَبَةِ أَعْجَزُ مِنكَ لولا أَنْ قَوَّاهُ اللهُ تَعَالَى، أَبْعَدُ مِنْكَ لولا أَنْ أَدْنَاهُ، أَفْقَرُ مِنْكَ لولا أَنْ أَغْنَاهُ، أَجْهَلُ مِنكَ لولا أَنْ عَلَّمَهُ.

هذا مَقَامُ الحَلِّ والعَقْدِ في القُرْبِ والبُعْدِ، مَنْزِلَةُ الصِّدِّيقِينَ المُتَمَكِّنِينَ، يَقُومُ فيها بَعْضُهُم مِنْ طَرِيقِ الخِلْعَةِ، وبَعْضُهُم مِنْ طَرِيقِ المَرْتَبَةِ، وبَعْضُهُم مِنْ طَرِيقِ الإِضَافَةِ، وبَعْضُهُم - وهُمْ المُحَمَّدِيُّونَ الجَامِعُونَ - يَجْمَعُونَ بَينَ هَذِهِ وهَذِهِ وهَذِهِ، ما شَاءَ اللهُ كان.

خُتِمَتْ بِي هَذِهِ الوِلايَةُ الجَامِعَةُ المُحَمَّدِيَّةُ، كما خُتِمَتْ بِجَدِّي رَسُولِ الله مُحَمَّدٍ المُصْطَفَى ﷺ النُّبُوَّةُ، فَعَوِّلْ عَلَيَّ - أَيْ أخي - في طَرِيقِكَ إلى رَبِّكَ، بِسَيْرِكَ

إلى حَضرَةِ قُرْبِ نَبِيِّكَ، وانْتَشِقْ رَائِحَةَ(١٨/أ) مِسْكِ الرَّسُولِ الإلـهِيِّ الذي عَلَّمَكَ الكِتَابَ والـحِكْمَةَ وزَكَّاكَ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى بِمُلازَمَةِ مَـجْلِسِي، بِسُلُوكِ طَرِيْقِي؛ فَإِنِّـي تَـحَقَّقْتُ بما جَاءَ بِهِ تَـخَلُّقاً وتَـمَكُّناً، وعَلَـيَّ نَظَرُهُ، وفِـيَّ سِرُّهُ، وأَنَا مَـحَلُّ دَوْلَةِ مَدَدِهِ اليَومَ، وكُلُّ وَلِيٍّ مُـحَمَّدِيٍّ إذا مَاتَ يُؤْخَذُ سَيْفُ وِلايَتِهِ ويُعَلَّقُ في بَابِي إلى ما شَاءَ اللهُ.

أَنَا شَيْخُ مَنْ لا شَيْخَ لَهُ، أَنَا شَيْخُ كُلِّ مُوَحِدٍ، وَلِي على كُلِّ مُسْلِمٍ بَيْعَةٌ عَامَّةٌ مِنْ طَرِيقِ التَّجْدِيدِ في حَضْـرَةِ السَّعَادَةِ الأَبَدِيَّةِ، بِـيَ اللهُ يُعْطِي ويَمْنَعُ، ويَصِلُ ويَقْطَعُ، ويُفَرِّقُ ويَـجْمَعُ، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويَفْعَلُ لي فَوْقَ ما أُرِيْدُ بلا قَصْدٍ ولا اخْتِيَارٍ.

أَضْمَرَ اللهُ فِـيَّ سِرّاً إِلـهِيّاً مِنْ كَرَمِهِ، أُفْرِغَ إِلَيَّ مِنْ قَلْبِ نَبِيِّهِ المُصْطَفَى ﷺ، أُحْيِي وأُمِيْتُ به بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى.

يا أَهْلَ البَوَادِي والـحَوَاضِرِ، يا رِجَالَ الدَّوائِرِ، يا مَعَاشِرَ أَكَابِرِ الـحَظَائِرِ والأَصَاغِرِ، كُلُّكُم يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ تَعَالَتْ قُدْرَتُهُ أَقَامَنِي اليَومَ على مِنبَرِ النِّيَابَةِ عن رَسُولِهِ الأَعْظَمِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، ورَزَقَنِي في مَنْزِلَتِي التَّحَكُّمَ الـمَحْضَ، وأَفْرَغَ عَلَـيَّ مِنْ لَدُنْهُ نِعْمَةً سَابِغَةً، وَوَعَدَنِـي بِمَحْضِ الفَضْلِ تَسَلْسُلَ بَرَكَةِ هَذِهِ النَّوْبَةِ في أَهْلِ بَيْتِي وخُلَفَائِي ومُـحِبِّيَّ إلى يوم القِيامَةِ، لا تَنْقَطِعُ هَذِهِ البَرَكَةُ بِإِذْنِ الله: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٧٨]، ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾[آل عمران: ١٧٣].

قَدْ يُسْأَلُ عَنْ حَدِيْثِهِ الـمُتَحَدِّثُ: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [الضحى:١١]؛ أَنَا مَظْهَرُ البُرْهَانِ الـمُحَمَّدِيِّ في دَائِرَةِ السَّلْطَنَةِ الـمُصْطَفَوِيَّةِ تَـحْتَ ثَوبِ العَلَمِ الرَّسُولِـيِّ الـمَنْشُورِ إلى يَومِ الدِّينِ.

فَخُذْ عَنِّي أَيْ طَالِبَ الفَيْضِ الرَّبَّانِيِّ، أَيْ مُغْتَرِف مَوْجَةَ الفَضْلِ النَّبَوِيِّ، وازْوِ عَنِّي لِأَهْلِ الـحَضَرَاتِ أَسْرَارَ عَرُوسِ الـحَضْرَةِ الصَّمَدَانِيَّةِ؛ فَإِنِّـي- ولله الـمِنَّةِ- تُرْجُمانُ حِكْمَةِ ذلكَ الـجَنَابِ، مُفَسِّرُ آيَاتِ ذَلِكَ الكِتَابِ.

وإذا أَرَدْتَ الانسِلاكَ بِرُكْبَانِ الـحَبِيْبِ السَّائِرِينَ إِلَيهِ، فَاصْفَعْ نَخْوَةَ نَفْسِكَ بِنَعْلِكَ، وتَـجَرَّدْ عن وَاهِـمَةِ كَونِكَ وأَهْلِكَ، وصَغِيرِكَ وكَبِيْرِكَ، وقَلِيْلِكَ وكَثِيرِكَ، وإذا

قَمَعْتَ ثَائِرَةَ النَّفْسِ فَنَوِّرِ القَلْبَ بَعْدَهَا بِخَالِصِ الذِّكْرِ، واجْعَلْ لَكَ حَضْرَةً خاصَّةً خَفِيَّةً عَنِ النَّاسِ مع رَبِّكَ لا يَطَّلِعُ عليها أَحَدٌ غَيْرُهُ؛ إِذْ مَنْ لَيْسَ له سِرٌّ فَهُوَ مُصِرٌّ.

وإذا كُنْتَ في حَلْقَةِ الذِّكْرِ مع إِخْوانِكَ وذَوِي شَأْنِكَ فاشْتَغِلْ عَنِ الكُلِّ بِذِكْرِكَ،(١٨/ب) واشْتَغِلْ عَنْ ذِكْرِكَ بِمَذْكُورِكَ، ولا تَنْظُرْ إلى اعْوِجَاجِ رَفِيقِكَ واسْتِوَائِهِ ومُوافَقَتِهِ لك في اللَّفْظِ والحَرَكَةِ ومُخَالَفَتِهِ؛ فَإِنَّمَا هَذَا النِّظَامُ جُعِلَ لِأَهْلِ البِدَايَةِ لِيَتَخَلَّصُوا مِنْ شَتَاتِ الهِمَّةِ حَالَةَ الذِّكْرِ لِضَعْفِهِم وقِلَّةِ قُوَّةِ قُلُوبِهِم، والأَقْوِيَاءُ يَجِبُ عَلَيْهِمْ مُوَافَقَةُ الضُّعَفَاءِ في مِثْلِ هَذِهِ الحَضَرَاتِ.

أَلَا تَرَى أَنَّ الصَّلَاةَ المَفْرُوضَةَ شُرِعَ فِيهَا القِيَامُ والقُعُودُ والرُّكُوعُ والسُّجُودُ بِالمُوافَقَةِ لِاسْتِكْمَالِ أَمْرِ الحُضُورِ الأَجْمَعِ، والسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ لم يُشْتَرَطْ بها هذا لِأَنَّهَا مِنْ مُعامَلَةِ النَّبِيِّ الخَاصَّةِ مع رَبِّه سُبْحَانَهُ، وَلِيَتَمَرَّنَ المُؤْمِنُونَ على المُعَامَلَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ مع الله تعالى فَيَصِحَّ تَمْكِينُهُم وحُضُورُهُم حَالَةَ المُوافَقَةِ والمُخَالَفَةِ؛ إِذِ المُتَمَكِّنُونَ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ والرِّضْوَانُ يَسْمَعُونَ مِنْ صَرِيرِ البَابِ، ويَفْهَمُونَ مِنْ نفطةِ[1] الطَّيْرِ حُكْمَ الخِطَابِ، لا تَرْتَاضُ قُلُوبُهُم بِمُوافَقَةٍ، ولا تَتَشَتَّتُ مِنْ دَاهِمَةِ مُخَالِفَةٍ، ولا تَحِنُّ لِمُجَرَّدِ النَّغْمَةِ الرَّقِيقَةِ، والأَنَّةِ الرَّشِيقَةِ، قَصْدُهُمُ المَعَانِي المَطْوِيَّةِ في كُلِّ تِلْكَ المُحَاضَرَاتِ، طَيّاً ونَشْراً، طَمْساً وبُرُوزاً، غَيْباً وحُضُوراً، ما بَكَوا لِحَاجَةٍ في النَّفْسِ تَرْجِعُ إلى النَّفْسِ، ولا تَواجَدُوا لِشُبْهَةٍ في الخَاطِرِ أَهَاجَهَا حَذْوُ الحَادِي المُجَرَّدِ، ولا أَرْقَصَهُم صَوْتُ عُودٍ، ولا رِقَّةُ مَنْشُودٍ، هِمَمُهُم طَائِرَةٌ بِكُلِّيَّتِهَا إلى الله في جَلْجَلَةِ أَسْرَارِهِ تَرِنُّ قُلُوبُهُم، وإليه تُهْرَعُ جَنَائِبُ عَزَائِمِهِم، هو الحَبِيبُ وهمُ المُحِبُّونَ و﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾[الصافات:٦١].

اللَّهُمَّ أَلْحِقْنَا بِأَهْلِ السَّلامَةِ، وأَعِذْنَا مِنَ الخِزْيِ والرَّدِّ في الدُّنيا ويومَ القِيَامَةِ، واكْتُبْنَا في عِبادِكَ الصِّدِّيقِينَ الَّذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِم ولا هُمْ يَحْزَنُونَ، والحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ.

---

(١) قد تكون (نفطة) والله أعلم: صوت حركة جناحي الطير، أوقد يكون فيها تحريف وهي (نغمة) والله أعلم.

[(٦) مجلس حقائق الأشياء][1]

وقال ﷺ وعنا به ونفعنا بعلومه:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهُمَّ صَلِّ على سَيِّدِ خَلْقِكَ مُـحَمَّدٍ ﷺ، لاحَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، يَا عَلِيُّ يا عَظِيمُ يا حَيُّ يا قَيُّومُ.

مَعَاشِرَ الإِخْوَانِ الكِرامِ، الأَشْيَاءُ تَنْتَهِي إلى أُصُولٍ تُـخَمِّرُها وتُطْبَعُ بِهَا، وتِلْكَ الأُصُولُ إلى أُصُولٍ أُخَرَ، وتِلْكَ إلى مَعَادِنِها، فإذا انْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ إلى خَـمِيْرَتِهِ، وكُلُّ خَـمِيْرَةٍ إلى مَعْدِنِهِ، وكُلُّ مَعْدِنٍ إلى لُبَابِ عَيْنِيَّةِ وُجُودِهِ وَقَفَ بِطَبْعِهِ فَحَفَّتْهُ مِنْ كُلِّ جِهَاتِهِ سَلْطَنَةُ الـخَالِقِ الصَّانِعِ القَدِيمِ،(١٩/أ) فَرَجَعَ يَتَسَلْسَلُ مُتَنَاهِياً، وتَنَاهَى يَتَنَزَّلُ رَاجِعاً عن غَايَتِهِ إلى بِدَايَتِهِ قَائِلاً لِسَانُ حَالِهِ في كُلِّ نَهْضَةٍ وسَقْطَةٍ: هُوَ الَّذِي صَوَّرَكُم فَأَحْسَنَ صُوَرَكُم.

وهذا النَّسَقُ الـجَلِيلُ تَشْهَدُ بِهِ طَبَائِعُ الأَشياءِ، ويُدْرِكُ هذا السِّرَّ الـمُغْلَقَ الآدَمِيُّونَ أَهْلُ العَقْلِ الكَرِيمِ والقَلْبِ السَّلِيمِ، وإِلَّا فَالَّذِينَ لا عُقُولَ لَهُم ولا قُلُوبَ مِن عِصَابَةِ البَشَرِ فَهُم في عَمَى الـجَهْلِ.

الإِنْسَانُ يَشْتَمِلُ على عالَـمَينِ: عَالَـمُ الـهَيْكَلِ؛ وهو[2] الـجِسْمُ الـمَحْسُوسُ الـمَشْهُود، وعَالَـمُ السِّرِّ؛ وهو مُـجْتَمِعٌ مِنَ العَقْلِ والرُّوحِ.

---

(١) انظر: «ترياق المحبين» صـ٦٤-٦٥ـــ و«روضة الناظرين» صـ١٤-١٥ـــ و«عقود اللآل» لوحة ١٥/ب - ١٧/أ، و«الكليات الأحمدية» صـ٧٤-٧٧ـ.

(٢) في الأصل و«الكليات»: (وعالم الجسم)، وفي «ترياق المحبين»، و«روضة الناظرين»، و«عقود اللآل»: (وهو الجسم) وهي ما أثبتُّ.

فَعَالَـمُ الـهَيْكَلِ؛ سُفْلِيٌّ يَتَعَلَّقُ بِهِ ما سَفَلَ مِنَ الفُروعِ اللَّازِمَةِ به القَائِمَةِ مَعَهُ، وعَالَـمُ السِّرِّ؛ عُلْوِيٌّ يَتَعَلَّقُ بها علا مِنَ الفُرُوعِ الصَّالِـحَةِ الـمُشَاكِلَةِ لِـحَالِهِ؛

فَالـجِسْمُ يَتَعَلَّقُ بِهِ الطَّعَامُ والشَّرابُ وعَلائِقُهُما وما يُنَظِّمُ حَالَهُ مِنْ لِبَاسٍ وظِلالٍ ومَنَامٍ وشَهْوَةٍ ورَاحَةٍ، وفِي كُلِّ حَالٍ مِنْ هَذِهِ الأَحْوَالِ أَحْوَالٌ تَدُلُّ على سفلِهِ.

والعَقْلُ والرُّوحُ يَتَعَلَّقُ بهما الـمَعْرِفَةُ والعِلْمُ والتَّرَقِّي إلى الـحَضَرَاتِ الـمُقَدَّسَةِ والوُصُولُ إلى حَقَائِقِ الأَشْيَاءِ، وفِي كُلِّهَا أَسْرَارٌ تَدُلُّ على العَقْلِ والرُّوحِ.

ألا إِنَّ فُرُوعَ نُورِ العَقْلِ لا تَـجْتَمِعُ إلى أَصْلِهَا الَّذِي هُوَ العَقْلُ إِلَّا:

- بِمَشْهُودَاتٍ يَغْتَرِفُ مَعْنَاهَا البَصَرُ إلى سَاحَةِ العَقْلِ، فَيَدْفَعُهَا إلى بُحْبُوحَةِ الفِكْرَةِ، ويَأْخُذُ منها ما يُطَابِقُ عَاقِلَةَ العَقْلِ مِنْ نَتِيجَةٍ.
- أو بِمَسْمُوعَاتٍ يَغْتَرِفُهَا السَّمْعُ فَيُلْقِيهَا في حَضِيرَةِ الـخَيَالِ، ويُقَابِلُهَا بِمِرْآةِ الفِكْرَةِ، ويَتَسَلَّقُ إلى ما تَـخَيَّلَ لها مِنَ الـخَيَالِ، فَيَسْقُطُ عليه عَيْنَ الفَهْمِ فَيَرَاهُ بها ويَأْخُذُ منه النَّتِيجَةَ.

وأَمَّا فُرُوعُ نُورِ الرُّوحِ فَهِيَ غَنِيَّةٌ عنِ الاسْتِعَانَةِ بالشُّهُودِ لِتَرَفُّعِهَا عَنْ ذَلِكَ، ولَكِنَّهَا تُطْمَسُ بِحِجَابِ الوُجُودِ، فَإِذَا رَفَعَ السَّالِكُ عَنْهَا الـحِجَابَ بِالرِّيَاضَةِ تَلَقَّى نُورَهَا الإِلَـهِيَّ الـمُنْكَشِفِ القَلْبُ فَأَبْصَرَ بِهِ، وتَفَرَّسَ بِانْصِبَابِ القَلْبِ مِنْ مَرْكَزِ حَضْرَتِهِ الـمُتَسَلِّقَةِ[1] إلى نُورِ الرُّوحِ الـمُطْلَقَةِ مِنْ قَيْدِ حِجَابِ الوُجُودِ، فَنَظَرَ حَقَائِقَ الأَشْيَاءِ: «**اتَّقُوا فِرَاسَةَ الـمُؤْمِنِ؛ فإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ**»[2].

---

(١) في الأصل و«الكليات»: (المستقلة)، وفي «ترياق المحبين»، و«روضة الناظرين»، و«عقود اللآل»: (المتسلقة) وهي ما أثبتُّ.

(٢) رواه عن أبي سعيد الخدري ﷺ: البخاري في «التاريخ الكبير» رقم ١٥٢٩، والترمذي في «الجامع» أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَابٌ وَمِنْ سُورَةِ الحِجْرِ(١٦) رقم٣١٢٧، ورواه عن أبي أمامة ﷺ: الطبراني في «الكبير» رقم٧٤٩٧ وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه الطبراني وإسناده حسن.

وهذا الشَّأنُ يَتَرَقَّى إلى مَنَابِرِ الصِّدِّيقِينَ، ويَكْشِفُ شِرَاعَ الـمُلْكِ والـمَلَكُوتِ[1]، ويَرْفَعُ بُرْدَةَ قَعْرِ البَهَمُوتِ، ويفلتُ عقدَ أدْوَارِ الأَرَضِينَ، لَكِنْ إِذَا غُلِبَ الـهَيْكَلُ الـجُسْمَانِيُّ بالرِّيَاضَةِ الصَّالِـحَةِ الشَّرْعِيَّةِ ومُزِّقَ حِجَابُهُ،(١٩/ب) وفُتِحَ مِنَ الـمِغْلَاقِ الصَّارِفِ للرُّوحِ عَنْ مَقَامِهَا أَرْصَادُهُ وأَبْوَابُهُ، وهُنَالِكَ يُحْسَبُ في أَعْدَادِ الـمُقَرَّبِيْنَ، بِنِسْبَةِ اضْمِحْلَالِ الـحِجَابِ الـمَذْكُورِ وإِطْلَاقِ ذلكَ النُّورِ، وأمَّا إذا طُمِسَ[2] ذَلِكَ النُّورُ بِحِجَابِ الوُجُودِ، وسُلِبَتْ فِكْرَةُ العَقْلِ بِظَاهِرِ ذلكَ الـهَيْكَلِ الـمَشْهُودِ، فَهُنَالِكَ يُحْسَبُ صَاحِبُ ذَلكَ الشَّأْنِ مِنَ الـمَبْعُودِيْنَ، ويَنْحَطُّ عن مَنْزِلَةِ القُرْبِ بِنِسْبَةِ غِلْظَةِ حِجَابِهِ حتَّى يَنْتَهِيَ إلى أَسْفَلِ سَافِلِينَ.

أَنْكَرَقَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الغَيِّ والبُطْلَانِ طَيَرَانَ الرُّوحِ إلى العَوَالِـمِ الـمُقَدَّسَةِ والـمَعَالِـمِ العَلِيَّةِ؛ وذَلكَ لِغِلْظَةِ حِجَابِهِم، لو أَدْرَكُوا انْعِكَاسَ تِلْكَ العَوَالِـمِ للرُّوحِ حِينَ يَنْصَرِفُ عنها حِجَابُ الوُجُودِ بالنَّومِ، وتَدَبَّرُوا نِظَامَ الرُّؤْيَا لَقَنِعُوا بِأَنْمُوذَجِهَا.

نَعَمْ لِلْخَاطِرِ هَذَسٌ[3] يَنْقَلِبُ شَكْلُهُ إلى طَارِقَةِ الدِّمَاغِ مِنْ طَرِيقِ الفِكْرَةِ فَيُقِيْمُ لها مِثَالاً، فَتِلكَ الرُّؤيا الكاذِبَةُ تَـحْدُثُ مِنْ غَلَبَةِ خَيَالٍ، أَوْ مِنْ تَعَبِ جِسْمٍ، أَوْ مِنْ إِغْلَاقِ أَبْخِرَةِ الطَّعَامِ، أَوْ مِنِ اخْتِلَالِ طَارِقِ سُرُورٍ أَوْ خَوْفٍ سَاحَةَ القَلْبِ، فَهَذِهِ الأُمُورُ يَتَوَلَّدُ منها الـهَذَسُ الـخَاطِرِيُّ.

وقَدْ يَكُونُ مِنْ جَازِمِ نِيَّةٍ، وهَذِهِ النُّكْتَةُ[4] فيها فارِقَةٌ؛

- فَإِنْ كانَتِ نِيَّةٌ غَيْرَ مُعَيَّنَةِ الكَيْفِيَّةِ لا رَسْمَ لها في لَوحِ الـخَاطِرِ، تَوَطَّدَتْ بِالذِّكْرِ

---

(١) الملك: ما ظهر من حسِّ الكائنات، أي: عالم الشَّهادة، وهو عالم الظَّاهر.

الملكوت: ما بطن فيها من أسرار المعاني، أي: عالم الغيب، وهو عالم الباطن. انظر: «معراج التشوف» لابن عجيبة صـ٦٠ـ، و«النفحات الهدائية» لمحمد نوري الأريحاوي صـ١١٥ـ.

(٢) في «الترياق»، «روضة الناظرين»، و«عقود اللآل»: أطمس.

(٣) في «الروضة»، و« عقود اللآل»: الهجس.

(٤) النُّكتة: هي مسألةٌ لطيفةٌ أُخرِجَت بدقة نظرٍ وإمعانٍ، من نكت رمحه بأرضٍ إذا أثَّر فيها، وسميت المسألة الدَّقيقة نكتةً؛ لتأثير الخواطر في استنباطها. «التعريفات» للجرجاني: (باب النون).

والعَمَلِ الـمَبْرُورِ بِالوُقُوفِ فِي بَابِ الله، والاسْتِفَاضَةِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، أو نِيَّةٌ مُعَيَّنَةٌ تَوَجَّهَتْ لِكَشْفِ حَقِيقَتِهَا الغَيْرِ الـمَعْلُومَةِ وِجْهَةَ الـهِمَّةِ بالاسْتِخَارَةِ؛ فالرُّؤْيَا هُنا رُؤْيا اسْتِدْلالٍ.

- وإنْ كَانَتِ النِّيَّةُ قَائِمَةً عن جَازِمٍ ولم تُوَطَّدْ بِذِكْرٍ أو عَمَلٍ مَبْرُورٍ واسْتِفَاضَةٍ صَالِحَةٍ، فَالرُّؤْيَا هُنا رُؤْيا خَبْطٍ نَتَجَ مِنَ الـجَزْمِ وقَامَ مَعَ الـهدسِ، فَانْقَلَبَ لِطَارِقَةِ الدِّمَاغِ وأَقَامَ لها مِثَالَهُ؛ وهي كَاذِبَةٌ.

- وإنْ خَلَتِ الرُّؤيا عن كُلِّ هذا مع السَّلامَةِ مِنْ مُنازَعَاتِ الشَّرْعِ، ونَشَأَتْ عن وارِدٍ غَيْبِيٍّ، فَتِلكَ الرُّؤيا الصَّادِقَةُ الَّتِي تَصْلُحُ للتَّعْبِيرِ؛ وهي مِنَ اسْتِكْشَافِ الرُّوحِ.

نَعَمْ أَنْكَرَ قَومٌ مِنَ الضَّالِّينَ والـمَرْدُودِينَ والـمَغْضُوبِ عَلَيهم مَادَّةَ الرُّوحِ، وخَبَطُوا بِالْكَلامِ على إِنْكَارِهَا خَبْطَ عَشْوَاءَ(١) وهيَ مِنْ أَمْرِ الله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾[الإسراء: ٨٥]، والأَمْرُ مَعْنَوِيٌّ ولازِمُهُ مَادِيٌّ؛ فَالـمَادَّةُ الثَّقِيلَةُ القَائِمَةُ بِذَلِكَ الأَمْرِ الـمَعْنَوِيِّ الَّذِي هُوَ الرُّوحُ، إِنَّمَا هِيَ الـجَسَدُ، ولا سَبِيلَ إلى إِنْكَارِ(٢٠/أ) قِيَامِ الـجَسَدِ بها، ولا حُجَّةَ على قِيَامِ وُجُودِها بِالـجَسَدِ، وحَيثُ كَانَ الـجَسَدُ قَائِمَاً بها وهِيَ غَنِيَّةٌ عنه تَعَيَّنَ كَوْنُها سِرَّاً أَمْرِيَّاً مَوْجُوداً فِي الوُجُودِ، وهو غَيْرُهُ ويَقُومُ بِنَفْسِهِ، وبِهِ يَقُومُ الوُجُودُ، ولا يُدْرَكُ لِلَطَافَتِهِ، وفيه مَادَّةٌ مُنْبَجِسَةٌ مِنْ مَعْنَاهُ وتِلْكَ النَّفْسُ، وفيه قِوَامُ جَوْلَةِ الدَّمِ فِي الـهَيْكَلِ، فَفُقْدَانُ الـمَادَّةِ الـمُنْبَجِسَةِ منه دَلِيلٌ على مُفَارَقَتِهِ الوُجُود، وكُلُّ الأَسْبَابِ التي تَدْفَعُ الـمَادَّةَ الَّتِي هِيَ مَعْنَى الرَّوحِ -أَعْنِي: النَّفس عَنِ الهَيْكَلِ- فَهِيَ مِنْ طَوَارِقِ الأَقْدَارِ الَّتِي قَضَتْ بِانْفِكَاكِ هذا الأَمْرِ الـمُبْعَضِ عن الـجَسَدِ القَائِمِ بِهِ، وله شَوَاهِد عَلَيهِ مِنْهُ دَالَّةٌ على عَظَمَةِ الـخَالِقِ العَلِيمِ الـخَبِيرِ، ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾[الأعراف:٥٤]، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ﴾[المائدة:١٢٠].

---

(١) خَبَطَ الْبَعِيرُ الأَرْضَ بِيَدِهِ ضَرَبَهَا. وَمِنْهُ قِيلَ: خَبْطُ عَشْوَاءَ. وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي فِي بَصَرِهَا ضَعْفٌ تَخْبِطُ إِذَا مَشَتْ لَا تَتَوَقَّى شَيْئًا. «مختار الصحاح»: مادة: (خبط).

[(٧) من عرف نفسه عرف ربه][1]

وقال ﷺ وعنا به ونفعنا بعلومه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الـحَمْدُ لله الَّذي وَفَّقَنَا لِـمَا كَلَّفَنَا، فَفَاهَتْ أَلْسِنَتُنَا بِحَمْدِهِ، وكَانَ ذَلِكَ مِنْ مَـحْضِ كَرَمِهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على شَفِيْعِنَا السَّيِّدِ الأَعْظَمِ، أَشْرَفِ الـمُرْسَلِينَ مُـحَمَّدٍ الَّذِي مَنَّ اللهُ عَلَينا بِرِسَالَتِهِ، وكَتَبنا بِقَلَمِ فَضْلِهِ مِنْ أُمَّتِهِ وخَدَمِهِ.

ورَضِيَ اللهُ عَنِ العِتْرَةِ والقَرَابَةِ والوُزَرَاءِ الأَقْرَبِينَ، وجَمِيعِ الصَّحَابَةِ والأَوْلِياءِ العَارِفِينَ والعُلَمَاءِ العَامِلِينَ، والسَّلامُ عَلَيْنَا وعلى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيْ سَادَة؛ سَلْطَنَةُ الأُلوهِيَّةِ قَائِمَةٌ فَرْدَانِيَّتُها في كُلِّ ذَرَّةٍ بَارِزَةٍ ومَطْمُوسَةٍ، والذَّرَّاتُ مُقَيَّدَةٌ فِي وَهْدَةِ حُجُبِهَا ومَعْذُورَةٌ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ.

مَا أَجْهَلَ الإِنْسَانَ! مَا أَظْلَمَهُ! هذا إِذَا جَهِلَ مَنْ أَوْجَدَهُ، وأَهْمَلَ سُلْطَانَهُ.

ما أَفْضَلَ الإِنْسَانَ! ما أَكْرَمَهُ! هذا إذَا عَرَفَ رَبَّهُ، وشَهِدَ إِحْسَانَهُ.

أَيُّها الإِنْسَانُ، بِأَيِّ شَيءٍ تَرُومُ إِقَامَةَ الدَّلِيلِ لِعَقْلِكَ على واحِدِيَّةِ مَولاكَ وأَحَدِيَّتِهِ؟! هذا وُجُودُكَ القَائِمُ بِكَ، مَعَكَ آيَةٌ فِيْكَ تَكْفِيكَ، يدقُّ عِرْقُكَ مِنْ كُلِّيَاتِكَ، ويَسْرِي دَمُكَ فِي جُزْئِيَّاتِكَ، ويَدُورُ بَرِيْدُ التَّدْبِيْرِ فِي ذَرَّاتِكَ.

وكُلُّ نُقْطَةٍ مِنْ دَمِكَ فِي مَحَلِّهَا مع اتِّحادِ نَوعِهَا مُـخْتَلِفَةُ الصِّفَةِ، وكُلُّ نَثْرَةٍ مِنْ بَلَلِكَ مع وِحْدَةِ عَيْنِيَّتِهَا مُضَادَةٌ أُخْتَها في نَسَقِهَا.

---

(١) انظر: «روضة الناظرين» صـ٦٧-٧٠ـ، و«عقود اللآل» لوحة (١٢/أ)-(١٥/ب)، و«الكليات الأحمدية» صـ٨٠-٨٥ـ، و«تنوير الأبصار» صـ١٤-١٨ـ.

نَثْرَةُ بَلَلِ رِيقِكَ غَيْرُ نَثْرَةِ بَلَلِ عَيْنَيْكَ، نَثْرَةُ رَشْحِ رِيقِكَ، غَيْرُ نَثْرَةِ رَشْحِ أُذُنِكَ، صِمَاخُ أَنْفِكَ، غَيْرُ صِمَاخِ إِبْطِكَ.

مَنْبَتُ شَعْرِكَ، كُلُّ مَغْرِسٍ منه مع وِفَاقِ الشَّكْلِ، مُـخْتَلِفٌ(٢٠/ب) في النَّسْجِ والـمثلِ.

هَبَطَاتُ فِكْرِكَ فِي صُحُفِ قَلْبِكَ، غَيْرُ ما سُقْتَهُ إلى حافِظَتِكَ، غِذَاؤُكَ جَدَّلَ لك في مَنَافِسِ وُجُودِكَ أَنْواعاً حَالَةَ كَوْنِهِ نَوعاً واحِداً، لا تَقُلْ: مُنَوَّعُ العَيْنِيَّاتِ ولِذَلِكَ اخْتَلَفَتْ مَـجْدُولاتُهُ! لو كَانَ كَذَلِكَ لاخْتَلَّ النِّظَامُ بِنِسْبَةِ اخْتِلالِ الأَغْذِيَةِ.

عَظْمُكَ فِي مَواطِنَ مِنْكَ تَـخْتَلِفُ عَوارِضُهُ ونَتَائِجُهُ، وجِلْدُكُ حَالَةَ كَوْنِهِ ظَرْفِكَ نَاصِعَةٌ مَادَّتُهُ بِمَظْرُوفِهِ على دَقَائِقِ نسجِهِ، وفيه غَرائِبُ النَّظْمِ الـخَلْقِيِّ ما لو جُرِّدَ عنِ الـمَظْرُوفِ ونُشِرَ على آلَةٍ كَشَّافَةٍ لَأَعْيَا فَهْمَكَ عنِ الوُصُولِ لِـحَقِيقَةِ ظَاهِرِهِ؛ لِـمَا فيه مِنْ أَفْتَاقِ النُّسُجِ القَائِمَةِ بِسَلامَتِكَ الـمُناسِبَةِ لِنِظَامِ وُجُودِكَ، هذه الأَفْتَاقُ منها تُدْرِكُهُ لو ذَكَرْتُهُ لَكَما شَاءَ اللهُ كانَ، أَيْ آدميُّ: فَتَقَ أَنْفَكَ أَعْطَاكَ الشَّمَ، وفَتَقَ أُذُنَيْكَ أَعْطَاكَ السَّمْعَ، وفَتَقَ فَمَكَ أَعْطَاكَ فِي لَفِيفِهِ مَـجْمُوعَةَ الطَّعْمِ، وفَتَقَ عَيْنَيْكَ أَعْطَاكَ البَصَرَ.

وهذا جِلْدُكَ فيه أَفْتَاقٌ كَثِيرَةٌ، أُلُوفٌ مُؤَلَّفَةٌ، تَأْخُذُ الهَوَاءَ، وتَدْفَعُ الأَبْخِرَةَ، وتَـجْمَعُ الـخَضَلاتِ[1] الـمُجْتَمِعَةِ مِنَ الـهَوَاءِ والأَبْخِرَةَ فَتَوقِعُهَا على مِنَصَّةِ الاعْتِدَالِ ضِمْنَ دَائِرَةِ تَرْكِيبِكَ.

زُبْدَةُ دِمَاغِكَ فيها عَاقِلَتُكَ ومُفكِّرَتُكَ.

زُبْدَةُ سَاقِكَ فيها قُوَّةُ اعْتِدَالِكَ.

زُبْدَةُ صُلْبِكَ فيها نُقْطَةُ قِوَى هَيْكَلِكَ.

زُبْدَةُ مَعْدَتِكَ فيه طُرُقُ مَعَابِرِكَ.

---

(١) الخضلات: الرطوبات، قال ابن منظور في «لسان العرب» مادة: (خضل): الخَضِل والخَاضِل كلُّ شيءٍ نَدٍ يَتَرَشَّش من نَدَاه.

لَوْزَةُ قَلْبِكَ فيها قُوَّةُ فَهمِكَ، وقِبْلَةُ تَلَقِّيكَ، وسَاحَةُ نَظَرِكَ واسْتِدْلالِكَ الـمُتَّصِلَة الـحَبْلِ بِبَرْزَخِ دِمَاغِكَ.

ذَاوئِبُ عُرُوقِكَ كَنبَاتَاتِ الأَكْوانِ، بُقْعَةُ رَأْسِكَ النَّاهِضَةِ بِقُبَّةِ وَجْهِكَ كَالسَّماءِ، فيها دُرج شَعْرُكَ كَالأَطْلَسِ البَحْتِ، فيها سُطِحَ جَبِيْنُكَ كَخَطِّ الفلكِ، فيها مُقْلَتَاكَ كَالْكَواكِبِ، فيها جِلْدَةُ خَدَّيْكَ كَأَمْلَسِ الرُّواقِ الـمُقَوَّمِ، فيها تَرْكِيْبُ أَضْرَاسِكَ في فَمِكَ كَنِظَامِ الأَبْراجِ في مَعَارِجِ خُطُوطِهَا، فيها نَبَاتُ وَجْهِكَ كَمَنْثُورِ لَوَاقِحِ الأَبْخِرَةِ الـمُخْضَلَّةِ الـمُتَدَلِّيَةِ إلى مَرْكَزِ السُّكُونِ، تَقِفُ وتَتَحَرَّكُ بِنِسْبَةِ مَوارِدِها كَشَأْنِ نَبَاتِ شَعْرِ وَجْهِكَ.

وُصْلَةُ رَأْسِكَ بِوَاسِطَةِ عُنُقِكَ بِهَيْئَةِ وُجُودِكَ، كاتِّصَالِ العَالَـمِ العُلْوِيِّ بِالأَرْضِ بِوَاسِطَةِ حِبَالِ الاصْطِدَامِ وذَوَائِبِ الشُّعَاعِ وخُيُوطِ الكَوَاكِبِ.

دَوْرَةُ رَأْسِكَ مع بَسْطِ سَاحَةِ صَدْرِكَ، كَلَفُّ العَالَـمَيْنِ بِطَوْرَي كَونِيَّتِهِمَا (٢١/ب) لَفّاً لا يَمَسُّ حُكْمَ البَسْطِ.

لَيِّنَكَ حتَّى تَصِلَ يَدُكَ رِجْلَكَ، وبَعْضُكَ بَعْضَكَ، كانْطِبَاقِ هَذِهِ الـمَشَاهِدِ العَلِيَّةِ والوَضِيْعَةِ بِبَعْضِهَا انْطِبَاقاً مَسَاسِيّاً لا يُدْخِلُ مَادَّةً بِأُخْتِهَا.

أَيُّهَا الإِنْسَانُ، أَنْتَ مَجْمَعُ هَذِهِ الغَرَائِبِ، أَنْتَ كَنْزُ هَذِهِ العَجَائِبِ، أَنْتَ نُسْخَةُ هَذِهِ الـمَضَامِينِ، أَنْتَ نُقْطَةُ هَذَا التَّعْيِيْنِ، أَنْتَ حَضْرَةُ الـمَشْهَدِ الأَقْدَسِ، أَنْتَ مَحَلُّ نَظَرِ السِّرِّ الأَخْفَى، ومَعْنَى القَصْدِ الأَنْفَسِ.

أَعَرَفْتَ نَفْسَكَ؟ أَيْنَ أَنْتَ مِنْ مَعْرِفَتِهَا؟ أَنْتَ شَيْءٌ حَارَتْ بِهِ الأَشْيَاءُ، أَنْتَ مَادَّةٌ انْبَجَسَتْ مِنْ جُزْئِهَا كُلِّيَّاتُ الأَجْزَاءِ!!!.

أَبَعْدَ أَنْ قُمْتَ كَمَا أَنْتَ، وعَجَزْتَ عَنْ أَنْ تَعْرِفَ ما أَنْتَ، وقُيِّدْتَ عَنْ تَدْبِيْرِكَ، وحِرْتَ في تَصْوِيْرِكَ، تَرُوْمُ - أي مِسْكِينُ - على مَنْ صَوَّرَكَ دَلِيْلاً، وتَطْلُبُ لِـمَعْرِفَتِهِ قِيْلاً ؟!.

أَيْقِظْ عَيْنَيْكَ مِنْ سِنَةِ غَفْلَتِكَ يا عَلِيلَ العَقْلِ! يا كَلِيْلَ الفَهْمِ! يا سَقِيمَ الرَّأْيِ!.

تكفُرُهُ للدُّنيا، وبِكَ أقَامَ عَلَيكَ الدَّلِيلُ؟! تَجْهَلُهُ لِلأَمَلِ، وأَعْجَزَكَ عَنْ كَثِيرِكَ بِأَقَلِّ القَلِيلِ؟! تَزْعُمُ أَنَّكَ عَالِمٌ وأَنْتَ بِوَهْدَةِ الـجَهْلِ فِيهِ دُونَ الأَنْعَامِ، تَظُنُّ أَنَّكَ حَقَّقْتَ إذ أَقَمْتَ لَكَ مَنَابِرَ وَهْمٍ فَأَشْرَكْتَ، وأَنْتَ أَضَلُّ مِنَ الـهَوَامِ.

مَزِّقْ حُجُبَكَ الكَاذِبَةَ، وأَرْشِدْ هِمَّتَكَ الـخَائِبَةَ، وتَـحَقَّقْ بِمَعْرِفَةِ رَبِّكَ.

سُبْحَانَهُ ما أَعْظَمَهُ، سُبْحَانَهُ ما أَكْرَمَهُ، رَفَعَ شِرَاعَ العَظَمَةِ بِالـمَصْنُوعاتِ، وأَبْرَزَكَ لِتَعْتَبِرَ فَعَمِيتَ عن الاعْتِبَارِ، فَتَدَارَكَكَ الكَرَمُ، فَأَرْسَلَ لَكَ مِنْ نَوْعِكَ رُسُلاً تُبَيِّنُ لَكَ حَقِيقَةَ الأَسْرَارِ الكَوْنِيَّةِ، ودَقَائِقَ الـحِكَمِ، ورَقَائِقَ الأَحْكَامِ، وشَرَّفَ مَرَاتِبَ الـمُرْسَلِينَ بِخَاتَـمِهِمُ الـجَامِعِ للبَرَاهِينِ النَّظَرِيَّةِ، والرُّمُوزَاتِ الاسْتِدْلالِيَّةِ، والنُّصُوصِ القَاطِعَةِ، والـحِكَمِ السَّاطِعَةِ، والـحُجَجِ البَدِيهِيَّةِ، والـمَنَاهِجِ الفَرْدَانِيَّةِ، صَاحِبِ اللِّسَانِ الـمُؤَيَّدِ، والفَخْرِ الـمُخَلَّدِ، والأَمْرِ الَّذِي لا يُخْذَلُ، والـحَقِّ الَّذِي لا يُـجْهَلُ، والشَّرْعِ الَّذِي لا يُرَدُّ، والـخَبَرِ الَّذِي لا يُـجْحَدُ، رَسُولِ الـحِكْمَةِ، رَسُولِ الأَدَبِ، رَسُولِ العِرْفَانِ، رَسُولِ الـمَلاحِمِ، رَسُولِ القُدْرَةِ، رَسُولِ التَّوَاضُعِ، رَسُولِ السُّلْطَانِ، رَسُولِ الإِنْصَافِ، رَسُولِ السَّيْفِ، رَسُولِ العَدْلِ، رَسُولِ الله، الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الـحَيُّ القَيُّومُ، والـحَكَمُ العَدْلُ، ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[الشورى:٥٣]، أَعْنِي: سَيِّدَنَا ومولانا الَّذِي عَلَّمَنَا الـحِكْمَةَ وزَكَّانَا، تَاجَ هَامِ الإِنْسَانِ، وحَبِيبَ الرَّحْمَنِ، مُـحَمَّداً ﷺ، فَقَدْ جَاءَ ﷺ(٢١/ب) بِالْـحِكْمَةِ والـمَوْعِظَةِ الـحَسَنَةِ، وأَمَرَ أَنْ يُقَاتَلَ النَّاسُ حتَّى يَقُولُوا: لا إِلهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا منه دِمَاءَهُم وأَمْوَالَـهُم.

على أَنَّ هَذِهِ الكَلِمَةَ مِنْبَرُ التَّوحِيدِ ومَدارُ الـحَقِّ، ومَنَارُ الشَّرْعِ، أَسْقَطَتِ الغَيْرِيَّةَ، وأَمَرَتْ بِالرُّجُوعِ إلى الإِلَـهِ الحَقِّ، فَفَرَّقَتْ بَيْنَ الـخَالِقِيَّةِ والـمَخْلُوقِيَّةِ، وأَلْزَمَتْ بِاتِّبَاعِ أَمْرِ الله وامْتِثَالِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ الله، كَونَهُ الـمَأْمُورُ بِإِعْلاءِ ما انْطَوَى فيها مِنَ الأَحْكَامِ القُدُوسِيَّةِ، والـحِكَمِ اللَّاهُوتِيَّةِ[١]، وأَيَّدَ ما أَقُولُ قَولَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر:٧].

---

(١) اللاهوت: مِن مولَّداتِ الصُّوفِيَّةِ أَخَذُوها مِنَ الكُتُبِ الإسرائيلِيَّةِ وقد ذَكَرَ الواحِدِيُّ أَنَّهم يَقولُونَ لله لاهُوت، وللناسِ ناسُوت، وهي لُغَةٌ عِبْرانِيَّةٌ، تَكَلَّمَتْ بها العَرَبُ قديماً. «تاج العروس» مادة: (ليه).

وقَامَ على أَثَرِهِ الصَّحابَةُ والتَّابِعُونَ، والأَولِياءُ العَارِفُونَ، والعُلَماءُ العَامِلُونَ، فَمَهَّدُوا الطَّرِيقَ، وأَحْكَمُوا حِكْمَةَ هذا العَهْدِ الوَثِيقِ.

وأَتْقَنُهُمْ فَهْماً، وأَجْمَعُهُم حكماً العَارِفُونَ بالله الَّذِينَ أَخَذُوا أَحْكَامَ الشَّرِيْعَةِ فَعَرَفُوا حكمها بِأَسَانِيْدِهَا الـمَنْقُولَةِ، ورِوَايَاتِهَا الطَّيِّبَةِ المَقْبُولَةِ، وتَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ الله، واتَّبَعُوا رَسُولَهُ عَمَلاً بِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

فَأَمِرُهُـم غَـيْرُ فَـظٍّ ولا عَـادٍ، ومَأْمُورُهُم غَيْرُ مُوَشَّحٍ بِوِشَاحِ التَّرَفُّـعِ والعِنَادِ، يَدُوْرُونَ مَعَ الـحَقِّ حيثُ دَارَ، ولا يَرَوْنَ لِأَنْفُسِهِم في البَيْنِ أَثَراً، وإِنْ كانوا أَشْرَفَ الآثَـارِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

[من هو الولي؟]

ظَنَّ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الحِجَابِ أَنَّ الوَلِيَّ هُوَ الَّذِي يَقُولُ ويَصُولُ، ويَدَّعِي الفِعْلَ والقَطعَ والوَصْلَ.

وظَنَّ طَائِفَةٌ منهم أَنَّ الوَلِـيَّ هُوَ الـمَسْلُوبُ الـمَجْذُوبُ، وظَنَّ آخَرُونَ أَنَّهُ الأَبْلَهُ[1] الـمُهانُ.

أَلا إِنَّ الوَلِـيَّ هو العَاقِلُ الكَامِلُ الـحَكِيمُ الكَرِيمُ العَامِلُ بِكِتَابِ الله وسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

أَلا إِنَّ البِدْعَةَ في طَرِيقِ الـحَقِّ كالذَّرَّةِ في العَيْنِ ثَقِيْلَةٌ وإِنْ كانَتْ خَفِيفَةً، كَبِيْرَةٌ وإِنْ كَانَتْ صَغِيْرَةً.

كُلُّ مَا خَالَفَ الشَّرْعَ لَيْسَ مِنْ طَرِيقِ الـحَقِّ، ما الطَّرِيْقُ إِلَّا الشَّرعُ، لا أَقُولُ هذا لِأَسْلَخَ مِنَ العَامَّةِ حُسْنَ الظَّنِّ بِأَهْلِ الـمَحْوِ والـمَجَاذِيبِ والبُلْهِ والـمَتْرُوكِينَ؛ لِأَنَّ

---

(١) الأبله: هو الذي غلبت عليه سلامة الصدر، وفي الحديث: «أَكْثَرُ أهلِ الجَنَةِ البُلْهُ» [رواه البزار] يعني: البله فيأمر الدنيا لقلة اهتمامهم بها، وهم أكياس في أمر الآخرة. «مختار الصحاح» مادة: (بله).

مِنْ طَوائِفِ الأَوْلِياءِ قَوْماً أَهْلَ مَحْوٍ وجَذْبٍ وبُلْهٍ وخُمولٍ، ولكِنْ أَقُولُ: كَمالُ مَرْتَبَةِ الوِلايَةِ، كَمالُ التَّخَلُّقِ بِخُلُقِ النَّبِيِّ العَظِيمِ - عليه أفضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ -، والفَضْلُ والفَضِيلَةُ والفَخْرُ والـمَجْدُ بالعَمَلِ بِأَعْمالِهِ، والقَوْلِ بِأَقْوالِهِ، والتَّحَلِّي بِأَحْوالِهِ صلى الله عليه وعلى آله، وكُلَّما نَقَصَ الوَلِـيُّ(٢٢/أ) في هذه الـمَرْتَبَةِ، نَقَصَتْ مَرْتَبَتُهُ بِنِسْبَةِ نُقْصانِهِ.

كَيْفَ وهذا الـمُقْتَدَى سَيِّدُ الـخَلْقِ مُـحَمَّدٌ عليه أَشْرَفُ الصَّلَواتِ؟! أَلَا وهو الَّذي شَيَّدَ أَرْكَانَ العَدْلِ، وأَسَّسَ بُنْيَانَ الـحِكْمَةِ، ووَفَّى حُقُوقَ الآدَمِيَّةِ، وقَاتَلَ على حِفْظِ نِظَامِها بِوُقُوفِها عِنْدَ حَدِّهَا، فلا تَصْعَدْ لِطَلَبِ الـمُشَارَكَةِ في شَأْنٍ أو طَوْرٍ أو صِفَةٍ أو كَلِمَةٍ يَنْتَهِي سِرُّها للرُّبُوبِيَّةِ، حتَّى كانَ القَرِيبُ و البَعِيدُ عِنْدَهُ في الله سَواءً.

سيفُ الله القاطعُ، لِسَانُ الـحَقِّ الصَّادِعُ، حَبِيْبُ الله الشَّارِعُ، أَيْنَ أَنْتَ أَخا الوَهْمِ؟ أَتَظُنُّ أَنَّكَ تَصِلُ إلى حَقِيقَتِهِ، وتَنْتَهِي لِكَشْفِ سِرِّ طَرِيقَتِهِ؟!

هَيْهَاتَ! العَرْشُ والفَرْشُ مِثْلُكَ في الـحَيْرَةِ بِهِ، تَعْظُمُ الـمَحَامِدُ إذا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ، وتَفْخَرُ أَلْسُنُ الـمَفَاخِرِ إذا نَوَّهَتْ عَلَيْهِ.

هذا سيِّدٌ عَرَفَ اللهُ قَدْرَهُ فَحَمَّلَهُ عِبْءَ الرِّسَالَةِ لِلْحُرِّ والعَبْدِ، والأَبْيضِ والأَسْوَدِ، والعَرَبِيِّ والعَجَمِيِّ، بَلْ والـجِنِّ والإِنْسِ، حَالَةَ كَوْنِهِ وَحِيْدَاً لا نَاصِرَ لَهُ، فَرِيْدَاً لا أَعْوانَ لَهُ، بَيْنَ قَوْمٍ غِلاظٍ شِدَادٍ؛ لِعِلْمِ الله السَّابِقِ بِشَأْنِهِ.

فَرَفَعَ شِرَاعَ الغَيِّ عَنْ هَيَاكِلِ القُلُوبِ، ونَشَرَ لِوَاءَ الأَمْنِ والإِيمانِ، ومَهَّدَ طَرِيْقَ الـحَقِيقَةِ، فَأَوْضَحَ السُّبُلَ، ما شَاءَ اللهُ، كانَ أَعْرَقَ[1] فَطَابَ وتَحَكَّمَ بِالأَلْبَابِ، وفَتَكَ ومَلَكَ، وفَصَلَ ووَصَلَ، وكُلُّ أَعْمَالِهِ لله، جَاءَ بِالْقُرْآنِ الَّذِي كُلُّ كَلِمَةٍ منهُ مُعْجِزَةٌ، كُلُّ حَرْفٍ مِنْهُ فِي نَظْمِهِ مُعْجِزَةٌ، كُلُّ نُقْطَةٍ مِنْهُ في مَحَلِّها مُعْجِزَةٌ، قَرَأَهُ الـمَحْجُوبُ فَقَالَ: ذَكَرَ اللهُ قِصَّةَ يُوسُفَ، وقَرَأَهُ العَارِفُ فَرَأى من آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى، فَهِمَ مِنْ نَظْمِ

---

(١) عِرْق كُلِّ شَيْءٍ: أصله، وَالْجَمْعُ أَعْراق وعُروق، وَرَجُلٌ مُعْرِقٌ فِي الْحَسَبِ وَالْكَرَمِ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: أَعْرَقَ الرَّجُلُ؛ أَي: صَارَ عَرِيقاً، وَهُوَ الَّذِي لَهُ عُرُوقٌ فِي الْكَرَمِ. «لسان العرب» مادة: (عرق).

الـحُرُوْفِ أَسْرَاراً جَهِلَهَا أَهْلُ الرَّأْيِ مِنَ الـمُفَسِّرِيْنَ، وسَكَتَ عنها أَهْلُ الفَهْمِ مِنَ العارِفِينَ، وكُلُّهُم مَعْذُورٌ.

أَهْلُ الرَّأْيِ كَشَفُوا قِنَاعَ مَضْمُونِ الكَلِمَةِ، ونَقَلُوا ما قِيْلَ فيها مِنَ الأَخْبَارِ، وأَهْلُ الفَهْمِ سَتَرُوا نَوْعَ سِرِّ الكَلِمَةِ، وتَلَقَّوا أَحْكَامَ ما انْطَوَى فيها مِنَ الأَسْرَارِ، فَهَؤُلاءِ لِلسِّرِ يَكْتُمُونَ، وأُولئِكَ لِلْخَبَرِ يَذْكُرُونَ.

أَشْرَقَتْ مِنْ زَوَايَا مَعَانِي هذا الكِتَابِ القَدِيمِ الفُنُونُ الصِّنَاعِيَّةُ لِطُلَّابِهَا، والـمَعَانِي النَّظَرِيَّةُ لِأَرْبَابِهَا، والـمَبَانِي الاسْتِدْلالِيَّةُ لِأَصْحَابِهَا، والـمَضَامِينُ الـمُطَلْسَمَةُ بِالفَرَاسَةِ، والأَسَالِيبُ الـمُسَهَّمَةُ بالحكم[1] والسِّيَاسَةِ.

أَيْنَ يَتَسَنَّمُ السَّائِسُ ذِرْوَةَ تَنْظِيمِ أَفْوَاجِ الأُمَمِ بعد تِلَاوَةِ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[الحجر:٩٤]؟!

أَيْنَ يَتَوَكَّأُ الـمُتَفَرِّسُ على عَصَا الـحِكْمَةِ بَعْدَ أُسْلُوبِ: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف:١٩٩]؟!(٢٢/ب)

أَيْنَ يَتَسَلَّطُ لِسَانُ القُدْرَةِ بِمِحْوَرِ الأَدَبِ على العَصَائِبِ الـمُخْتَلِفَةِ بَعْدَ مَنْشُورِ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف:٢٩]؟!

أَيْنَ يَنْدَلِعُ لِسَانُ صُبْحِ البَيَانِ بَعْدَ فُرْقَانِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾[النحل:٩٠]؟!

أَيْنَ يَرْصُدُ صَاحِبُ الـمِرْآةِ الـجَاذِبَةِ مَرْصَداً بَعْدَ جَلْجَلَةِ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[لقمان:٢٩]؟!

أَيْنَ يَسْتَخْرِجُ مَادَّةَ الآثَارِ صَاحِبُ فَلْسَفَةِ التَّعْيِينِ بَعْدَ سُلْطَانِ: ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[الجاثية:٤]؟!

---

(١) في «روضة الناظرين»، وفي «عقود اللآل»: (بالحكمة).

أَيْنَ يَسْتَبْشِرُ رَبُّ الزَّعْمِ الـمَرْدُودِ بِحَوادِثِ الأَكْوانِ فَيَتَخَيَّلُ الفِعْلَ بَعْدَ صَدْمَةٍ: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس:٣١]؟!

أَيْنَ يَقْطَعُ الـمَبْعُودُ بِصِحَّةِ ما قَامَ فِي سَقِيمِ فَهْمِهِ مِنْ تَكْذِيبِ الوَعْدِ والوَعِيْدِ بَعْدَ صَفْعَةٍ: ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾[آل عمران:٦٦]؟!

أَيْنَ يَنْتَهِزُ الفَلَكِيُّ الشُّرُوقِيُّ فُرْصَةَ تَنْصِيصِ الـمِيْزَانِ البُرُوجِيِّ بَعْدَ شِنْشِـنَةٍ(١): ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[الرحمن:٥-٦]؟!

أَيْنَ يَـحْكُمُ القِيَاسِيُّ خَطَّ النَّسَقِ فِي تَعْدِيلِ كُرَتِهِ الـمَلْفُوفَةِ، ويَظُنُّ أَنَّهُ كَشَفَ مُغْلَقاً بَعْدَ بُرْهانٍ: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾[الأنبياء:٤٤]؟!

أَيْنَ يَسْتَقِيمُ نَمَطُ الوَزْنِ القُطْبِيِّ فَيَرْبِطُ سِلْسِلَةَ إِثْبَاتِ سُكُونِ الأَرْضِ بَعْدَ إِشَارَةٍ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾[الكهف:٤٧]؟!

أَيْنَ يَتَحَكَّمُ بِحُكْمِ الشَّرْعِ الطَّبِيعِيِّ فَيَأْخُذُ بِالرَّشْقَةِ السَّمَائِيَّةِ مِنْ أَفْوَاهِ جَهَلَةِ الوُعَّاظِ فَيَدْفَعُهَا لِعِبَارَاتِهِم ويَتَشَدَّقُ بِطَارِقَةِ خَيَالِهِ فَيَنْقُصُ(٢) الشَّرْعَ بَعْدَ رَنَّةٍ: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾[الحجر:٢٢]؟!.

حَسْبُنَا اللهُ وكَفَى، رَضِينَا بِاللهِ رَبّاً، وبِسَيِّدِنَا مُـحَمَّدٍ نَبِيّاً ورَسُولاً، وبِالقُرْآنِ إِمَاماً: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:٢٠٣].

إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَيُّها الـمُؤْمِنُ الَّذِي فَطَرَهُ اللهُ على الإِيْمانِ، وشَرَحَ صَدْرَهُ بِنُورِ الـهُدَى والإِسْلَامِ، أَنْ تَلْفِتَ عِنَانَ جَهْلِكَ لِزَخَارِفِ سَفْسَطَةِ السَّارِقِينَ، فَتَزْعُمُ أَنَّها مِنَ الـحِكْمَةِ، وتَسْتَصْغِرُ حِكْمَةَ دِينِكَ الَّذِي رَفَعَ اللهُ لَكَ شُرْفَةَ(٣) فَضْلِهِ حَتَّى بَلَغَتْ غَايَاتِ(٢٣/أ)

---

(١) الشِّنْشِنَة: الطبيعة والخَلِيقَة والسَّجِيَّة. «لسان العرب» مادة: (شنن).

(٢) في «الروضة»، و«العقود»: (فينتقص).

(٣) في «الأصل»، و«العقود»، و«الكليات»: (شرافة)، وفي «الروضة» (شرفة) وهي ما أثبتُّ؛ =

النِّهايَاتِ، ودُونَها كُلُّ الـحِكَم، أُعِيذُكَ بالله والـمُسْلِمِيْنَ وإِيَّايَ مِنْ ذَلِكَ، ألا إنَّ ذَلِكَ السُّمُّ القَاتِلُ.

يَخْطُبُكَ الصَّابِئُ بِشِقْشِقَةٍ ولَقْلَقَةٍ[1] لَفَّقَهَا مِنْ كَلِمَاتِ القُدَمَاءِ، ونَقَّحَ فيها بَعْضَ عِبَارَاتٍ أَشَارَتْ إلى الـجَوْهَرِ الفَرْدِ، والـمَادَّةِ الـمُرَكَّبَةِ، والعَرَضِ الـمُنْحَلِّ[2]، فَتَهْفِتُ لَهُ نَفْسُكَ، وكَأَنَّهُ أَبْدَعَ!.

وَيْهِ[3] على النُّفُوسِ التي مِثْلُ نَفْسِكَ، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، تَعَالَ يا مُـحَمَّدِيُّ يَا طَالِبَ الـحِكْمَةِ النَّبَوِيَّةِ، وتَرَبَّعْ في مَـجْلِسِي هذا، وهَاتِ مَعَكَ عُقَدَ مُشْكِلَاتِكَ وخُذْهَا مَـحْلُولَةً، تَعَالَ انْتَصِرْ بِنَا على شَيْطَانِكَ الإِنْسِيِّ وشَيْطَانِكَ الـجِنِّيِّ، تَعَالَ اسْتَنْشِقْ رَائِحَةَ نَبِيِّكَ رَسُولِ الرَّحْمَةِ ﷺ.

أُحَيْمِدُ لا شَيْءَ ولا على شَيْءٍ، واسِطَةُ إِفَاضَةٍ في مَنْزِلَةِ إِضَافَةٍ[4] يَغْتَرِفُ مِنَ البَحْرِ النَّبَوِيِّ، فَيُفِيْضُ على عَبِيدِ السَّاحَةِ الشَّرِيفَةِ وخُدَّامِهَا وأَتْبَاعِهَا.

= لقول المقدسي في «غلط الضعفاء من الفقهاء» صـ٢٦ـ: «ويقولون: شُرَّافَةُ المسْجِدِ. وصوابُهُ: شُرْفَةٌ، والجمعُ: شُرُفاتٌ وشُرَفٌ».

(١) الشِّقْشِقَةُ: لَهَاةُ البعير ولا تكون إلاَّ للعربيِّ من الإبل، وقيل: هو شيء كالرِّئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج والجمع الشَّقاشِقُ، ومنه سُمِّي الخطباء شَقاشِقَ، شَبَّهوا المِكْثار بالبعير الكثير الهَدْرِ، وفي حديث علي رضي الله عنه: إنَّ كثيراً من الخُطَبِ من شقاشِقِ الشيطان. فجعل للشيطان شَقاشِقَ، ونسبَ الخطبَ إليه لِمَا يدخل فيها من الكذب، قال أبو منصور: شبَّه الذي يَتَفَيْهَقُ في كلامه ويَسْرُده سَرْداً لا يبالي ما قال من صِدْقٍ أو كذب بالشيطان. «لسان العرب» مادة: (شقق).

اللَّقْلَقَة: شدة الصوت. «مختار الصحاح» مادة: (لقق).

(٢) الجوهر الفرد: هو كل متحيز غير قابل للقسمة، والمادة المركبة: كل متحيز يكون قابلًا للقسمة كان مركباً مؤلفاً، والعرض المنحل: هو الذي لا يقوم بنفسه، ويقوم بغيره، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به.

(٣) ويه: وَيْهِ يَا فلانُ، وتُكْسَرُ الهاءُ، ووَيهاً، بالتَّنوينِ، وَهُوَ: إغراءٌ وتَحريضٌ واسْتِحْثاثٌ، ويكونُ للواحِدِ والجَمْعِ والمُذَكَّرِ والمُؤَنَّثِ. «تاج العروس»: مادة: (ويه).

(٤) في «الأصل»: (إفاضة)، وفي «الروضة»، و«العقود»، و«الكليات»: (إضافة) وهي ما أثبت.

تَعَالَ وهَاتِ مَعَكَ مَنْ يُسَوِّلُ لكَ ويُدْخِلُ عَلَيْكَ الزَّيْغَ والبَاطِلَ، هذا مَـجْلِسٌ يَفِرُّ منه الشَّيْطَانُ، هذا مَـجْلِسٌ فيه رُوْحٌ مِنْ رُوْحِ الله، ونَفَسٌ مِنْ أَنْفَاسِ رَسُولِ الله [ﷺ]، على دَرَكَاتِ أَبْوابِهِ الأَقْطَابُ والأَنْجَابُ والأَبْدَالُ والعُرَفَاءُ ورِجَالُ الغَيْبِ ورِجَالُ الـحُضُورِ، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[الحديد:٢١].

ياعَالِـمُ اقْعُدْ بلا عِزَّةٍ، وتَـجَرَّدْ عن دَعْوَى الإِحَاطَةِ، وخُذْ مِنْ عِلْمِكَ خَشْيَةً تُصْلِحُ شَأْنَكَ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر:٢٨].

يا جَاهِلُ، أَنْقِذْ نَفْسَكَ مِنْ وَرْطَةِ الـجَهْلِ، وادْخُلْ بِجِدِّكَ واجْتِهَادِكَ فِي أَعْدَادِ العُلَمَاءِ: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر:٩].

يا صُوفِـيُّ، تَفَقَّهْ في دِيْنِكَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[1].

يا مُـحِبُّ، حَكِّمْ نَبِيَّكَ فِي الأَمْرِ، كُنْ مُنْصِفَاً، لا تَغْلُو، ولا تَغْلُو، لا تُقَدِّمْ إِلَّا بِحَقٍّ، ولا تُؤَخِّرْ بِغَيْرِ الـحَقِّ.

أُحَذِّرُكُمُ اللهَ فِي أَمْرِ دِيْنِكُم ودُنْيَاكُم، لا تَكُونُوا مِنَ الغَافِلِينَ، أَصْلِحُوا قُلُوبَكُمْ لِيَتَوَلَّاهَا مَوْلَاهَا ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأعراف:١٩٦].

هذا ما أَمْطَرَهُ اللهُ على فَلاةِ قَلْبِ فَقِيْرِهِ عَبْدِهِ الـمِسْكِيْنِ أُحَيْمِدِ اللَّاشِ ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[النساء:٧٨]، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العَلِـيِّ العَظِيمِ، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الصافات:١٥٩-١٦١].

---

(١) رواه عن معاوية ﷺ: الإمام البخاري في «الصحيح»: كتاب العلم (٣)، باب من يرد الله به خيراً... (١٣) رقم ٧١، والإمام مسلم في «الصحيح»: كتاب الزكاة (١٢)، باب النهي عن المسألة (٣٣) رقم ١٠٣٧.



[(٨) التفكر بآلاء الله تعالى][1]

وقال ﷺ وعنا به ونفعنا بعلومه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لكَ يا مَنْ لا يُحْمَدُ غيْرُكَ، (٢٣/ب) ولا يُرْجَى إلَّا خيْرُكَ، يا أوَّلُ يا آخِرُ، يا بَاطِنُ يا ظَاهِرُ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ، يا ذا الجَلالِ والإكْرَامِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على عَبْدِكَ ونَبِيِّكَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الَّذِي بَعَثْتَهُ بالهُدَى ودَينِ الحَقِّ، وأرْسَلْتَهُ هادِياً لِكَافَّةِ الخَلْقِ، فَالمسعُودُ مَنِ اقْتَدَى بِهِ، والمبعُودُ مَنْ حَادَ عن أعْتَابِهِ، والرِّضْوَانُ والتَّحِيَّاتُ على آلِهِ وأَصْحَابِهِ وتَابِعِيهِ وأحْبَابِهِ، والمُتَمَسِّكِينَ بِسُنَّتِهِ إلى يَومِ الدِّينِ.

أمَّا بَعْدُ: مَعَاشِرَ الإخْوانِ، أوَّلُ ما يَلْزَمُ لِرِيَاضَةِ عُقُولِكُم أنْ تَتَفَكَّرُوا بِآلائِهِ تَعَالَتْ قُدْرَتُهُ كَيْفَ لَفَّ لَكُم هَذِهِ الأرْضَ وبَسَطَهَا فَأَحْسَنَهَا تَصْوِيراً، وأدَارَ عَلَيْهَا شِرَاعَ السَّمَاءِ فَقَدَّرَها تَقْدِيراً، وكَوَّرَ ضِمْنَهَا كَوْكَبَ الشَّمْسِ فَأَشْبَعَهَا تَكْوِيراً، ونَشَرَ في مَطْوِيِّ العَالَمِ الأعْلَى هَذِهِ الكَواكِبَ طَبَقَةً بَعْدَ طَبَقَةٍ، مُحَلَّقَةً وغَيْرَ مُحَلَّقَةٍ، بَعْضُ تِلْكَ الكَواكِبِ مِنْ دُنْيَاكُم أكْبَرُ، وبَعْضُهَا مِنْ بَعْضِهَا أزْيَدُ عِظَماً وأنْوَرُ، ذَوَائِبُها مُلْتَفَّةُ الأشِعَّةِ، مُنْعَقِدَةٌ على حِبَالِ الاصْطِدَامِ الثَّابِتِ، وأدْوَارُهَا مَلْفُوفَةٌ على مَقَاعِدِ أبْرَاجِهَا، فَبَعْضُهَا مُعَلَّقٌ، وبَعْضُهَا ثَابِتٌ، وَرَاءَ حِجَابِ كُلِّ وَاحِدٍ منها حُجُبٌ قَائِمَةٌ بِرَفَارِفِ الغُيُوبِ، قَصُرَتْ عَنِ الوُصُولِ لِغَايَتِها الأبْصَارُ، فَأَنْكَرَتْهَا العُقُولُ، ودُونَ كُلِّ جِسْمٍ مِنْهَا أجْسَامٌ اسْتَصْغَرَها الطَّرْفُ وهي أعْظَمُ مِنَ الدُّنْيا بِالْعَرْضِ والطُّولِ، قَامَتْ بلا عَمَدٍ على فَلَكِ الرِّيحِ السَّاكِنِ، وَوَقَفَتْ معَ انْجِذَابَاتِهَا الطَّبِيعِيَّةِ، فَكَانَتْ لِنَفْسِهَا كَالأمَاكِنِ خِيَامٌ مَبْنِيَّةٌ على كَوَاكِبَ ضَوْئِيَّةٍ تَسْبَحُ في أفْلاكِهَا بِسَيْرٍ لا يَقْطَعُ الطَّرِيقَ سُقُوطاً، وتَقُومُ في مَدَارِجِهَا

---

(١) انظر: «المعارف المحمدية» صـ١٨٦-١٩٢ـ و«ترياق المحبين» صـ٢٥ـ و«روضة الأعيان» لوحة ٩٦-٩٨/ خ، و«عقود اللآل» لوحة ٢٦-٢٨/ خ.

فَلا تَرْفَعُ شِرَاعَ الطَّيِّ هُبُوطاً، ولها عَوَالِمٌ لها مُلازِمَةٌ وبها قَائِمَةٌ، لو اطَّلَعْتُم عَلَيْهِم لَوَلَّيْتُم مِنْهُم فِرَاراً وَلَمُلِئتم منهم رُعْباً، منها كَوْكَبُ التَّرْبِيَةِ؛ وهُوَ الشَّمْسُ النَّيِّرَةُ، ومنها كَوْكَبُ التَّعْدِيلِ؛ وهو القَمَرُ الوَهَّاجُ.

فَالشَّمْسُ أُمُّ المَنَافِعِ تَعْتَدِلُ بها القُوَّةُ المَهْضُومَةُ، وتَتَفَتَّقُ بِشَفَّافِ أَشِعَّتِهَا الأَزْهَارُ، وتَشْذُو الأَتْرِبَةُ، وتَتَفَجَّرُ المياهُ، وتَقُومُ المَوَادُ بها يُنَاسِبُ طِبَاعَهَا بِأَحْكَامِ انْتِقَالِها مِنْ حَالٍ إلى حَالٍ آخَرَ، حتَّى إذا أَعْطَتْ كُلَّ مَادَّةٍ حُكْمَهَا، وأَنْزَلَتْ كُلَّ بَارِزَةٍ ومَطْوِيَّةٍ نُزُلَها، واحْتَاجَتِ المَوَادُ والبَوَارِزُ لِسَجْفٍ[1] تَقِرُّ المَادَّةَ بلا زِيادَةٍ لِتأْخُذَ منها ما يرْسُمُ فيها طَوْرَ الطَّبْعِ والعَادَةِ، امْتَدَّتْ سجفُ اللَّيلِ فَأَحْكَمَتْ(٢٤/أ) وارِدَاتِ الشَّمْسِ في الذَّرَاتِ، وأَعَانَتْ تِلْكَ الكَوَامِنَ لَواحِقُ بَعْضِ النُّجُومِ الرَّقِيقَةِ، فَسَرَتْ بها يُنَاسِبُ سَجْفَ اللَّيْلِ في الأجزاءِ المذكوراتِ، فيَتَسَلْسَلُ ذلكَ السَّرَيَانُ لَيْلَةً بعدَ لَيْلَةٍ حتَّى يُبَادِرُهُ الهِلالُ إلى أَنْ يَصِيرَ بَدْراً، وعلى تَرَقِّيهِ يَظْهَرُ بِحِكْمَةِ بَارِيهِ في كُلِّ طَورٍ مِنْ تَرَقِّيهِ على ما يُنَاسِبُهُ في الأَشْيَاءِ سِرّاً، ويَسْتَقْبِلُ سَجْفُ اللَّيلِ تَمْهِيداً لإِظْهَارِ القُوَّةِ الفَعَّالَةِ الشَّمْسِيَّةِ الفَجْرَ بِنَسَائِمِهِ، ويُقَابِلُ الفَجْرُ الصَّباحَ بِعَلائِمِهِ، وعلى ذلكَ يَدُورُ دَوْرُ النَّهَارِ إلى اللَّيْلِ، ويَمِيلُ كِلاهُمَا بما خُلِقَ له في مِيزَانِهِ كُلَّ المَيْلِ، وأَدْوَارُ الأَرْضِ تِكِرُّ مُقَابِلَةً لها فَيَأْخُذُ كُلُّ قُطْرٍ ما عادَلَهُ مِنَ المُعَادَلَةِ، ورُبَّما تَمُرُّ بِهِ مِنْهُ شَمَائِمُ أَقْطَارٍ أُخَرُ تَخْطَفُهَا دَوْرَةُ المُبَادَلَةِ، وما تِلْكَ إِلَّا أَبْعَدُ مِنْ قَرْنَي الفَلَكَيْنِ، وأَقْرَبُ بَعْدَ لُصُوقِها مِنْ خَطِّ الحاجِبَيْنِ، وثِقَلُهَا وخِفَّتُها بِنِسْبَةِ ما يَنْبَجِسُ من طَوْرِهَا وزَمَانِهَا ومَعْدِنِ أَرْضِهَا ومَكَانِهَا.

وإِتْمَاماً لإِبْرَامِ القُدْرَةِ سَجَرَ[2] البَحْرَ مِنْ مَعْدِنِهِ السَّاكِنِ، فَأَوْقَفَهُ ومَدَّ شِعَابَهُ المُخْتَلِفَةَ، وبَجَسَ مِنْ لُبَابِ[3] الصُّخُورِ أَمْوَاهاً مِنْ عَيْنِهَا تَجْمَعُهَا المَوادُ الرَّطِبَةُ

---

(١) السَّجْفُ والسِّجْفُ: السِّتر. «لسان العرب» مادة: (سجف).

(٢) سَجَرَه يَسْجُرُه: ملأه. وسَجَرْتُ النهَرَ: ملأته. «لسان العرب» مادة: (سجر).

(٣) بَجَسَ الماءَ فَانْبَجَسَ؛ أيْ: فَجرَهُ فَانْفَجَرَ. «مختار الصحاح» مادة: (بجس). واللُّبابُ: الخالِصُ مِنْ كُلِّ شيءٍ. «لسان العرب» مادة: (لبب).

القَارَّةُ، وتَفْلِقُهَا الـمُقَابَلَةُ الفَلَكِيَّةُ الـحَارَّةُ، فَتَسِيلُ مُـخْضَلَّةً تَـحْتَ تِلكَ العِلَّةِ، وتَقِفُ مُعْتَلَّةً إذا لَـحِقَتْ مَادَّتَهَا القِلَّةُ، كُلُّهَا مِنْ عَجِيبِ صُنْعِهِ وعَظِيمِ قُدْرَتِهِ وبَالِغِ حِكْمَتِهِ؛ إِغَاثَةً لِلأَنْبِيَاءِ والـمُرْسَلِينَ لإِقَامَةِ الـحُجَّةِ على الضَّالِّينَ، ورِفْقاً بِالآدَمِيِّينَ لِتكْرِمَتِهِم بِالعَقْلِ على بَقِيَّةِ الـمَخْلُوقِينَ، فَيَغْضُو[1] كُلٌّ منهم تَـحْتَ رِيْفِ نِعَمِهِ التي لا تَتَنَاهَى، ويَتَنَبَّهُ كُلٌّ منهم فَيَخْضَعُ لِسُلْطَانِ عِزِّهِ الَّذِي لا يُضَاهَى.

وقد أَوْضَحَ لنا الـحُجَّةَ في كُلِّ ذَلِكَ وفَوقَ ما هُنَالِكَ حَبِيْبُهُ ورَسُولُهُ مُـحَمَّدٌ الصَّادِقُ الـمُؤَيَّدُ [ﷺ]، فَهَلْ مِنْ فِكْرَةٍ؟ هَلْ مِنْ عِبْرَةٍ؟ هَلْ مِنْ عَيْنٍ بَاكِيَةٍ؟ هَلْ مِنْ أُذُنٍ واعِيَةٍ؟ هَلْ مِنْ سُلُوكٍ مُسْتَقِيمٍ؟ هَلْ مِنْ قَلْبٍ سَلِيمٍ؟ هذا الكونُ آيَةٌ تَدُلُّ على وَحْدَانِيَّتِهِ، وهذا الرَّسُولُ بُرْهانٌ لا يُدْفَعُ، دَالٌّ على بَابِ صَمَدَانِيَّتِهِ، هَذِهِ الغَفْلَةُ إلى مَتَى؟ والنَّذِيرُ العُرْيانُ أَبْلَغَ وبَلَّغَ وما كَتَمَ، وهذِهِ الوَقَاحَةُ عَلامَ؟! وسُيُوفُ القَدَرِ مُصْلَتَةٌ[2] تُظْهِرُ العَجَائِبَ، وتَسُوقُ الـجَبَابِرَةَ إلى الـحُفَرِ سَوْقَ الغَنَمِ!

كُلُّ نَهْضَةٍ يَشِبُّ بها العَزْمُ مَغْرُوراً مُطْمَئِنّاً(٢٤/ب) فيها دَاعِيَةُ عَجْزٍ مُنْدَرِجَةٌ بِنَفْسِهَا تَرُدُّها إلى حَدِّهَا، والعَزْمُ عن رَدِّها عَاجِزٌ وعنها غَافِلٌ.

وكُلُّ سَكَنَةٍ مِنْ سَكَنَاتِ العَقْلِ فيها سَابِحَةٌ مُـمْتَزِجَةٌ بِسِرِّهَا، تَطُوفُ بها في بَحْرِ الاعْتِبَارِ فَتَجْمَعُهَا على القَوْلِ بِوَاحِدِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ، وذَوْقُ العَقْلِ عنها ذَاهِلٌ.

كَيْفَ هَذِهِ الأَنْفَاسُ تَكرُّ؟ كَيْفَ هَذِهِ الأَيَّامُ تَـمُـرُّ؟ كَيْفَ هَذِهِ العُقُولُ تَطِيْشُ بها ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾[الغاشية:٧]؟.

كَيْفَ هَذِهِ الأَوْهَامُ تَنْصَرِفُ عَنِ الـمَرْئِيِّ وتَسْبَحُ مع الـمَطْمُوسِ الـمَقْطُوعِ كَأَنَّهَا ما فَهِمَتْ حِكْمَةَ الكَافِ والنُّونِ، إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ؟!.

---

(١) في «المعارف»: (فيغفوا)، وفي «الترياق»: (فيغفو). والإغْضاءُ: إدْناءُ الجُفُونِ. وغَضَى الرجلُ وأَغْضَى: أَطْبَقَ جفْنَيْهِ عَلَى حَدَقَتِهِ. «لسان العرب» مادة: (غضا).

(٢) في «الأصل»: (متصلة)، وفي «المعارف»، و«الترياق»، و«روضة الأعيان»، و«العقود»: (مصلتة).

النَّصِيْحَةُ البَالِغَةُ تَأْخُذُ مِنَ القَلْبِ السَّلِيْمِ مَأْخَذاً حافِلاً، وتَـمُرُّ على القَلْبِ الـمَغْشُوشِ مُرُوْراً تَرْفَعُ القَلْبَ السَّلِيْمَ إلى الاشْتِغَالِ بالله، وتدفعه[1] عَنِ الأَغْيارِ، وتُسْقِطُ في القَلْبِ الـمَغْشُوشِ القَلَقَ، فَإِنْ دَامَ قَلَقُهُ لَـحِقَ صَاحِبُهُ بِأَهْلِ السَّلَامَةِ، وإِنْ مَرَّ القَلَقُ كما مَرَّتِ النَّصِيْحَةُ فقد بَقِيَ بغشِّهِ، وما طَارَ مِنْ غشِّهِ، كُلُّ هَذِهِ الـمَائِدَةِ[2] يَذُوقُهَا العَقْلُ، وأَيْنَ هو العَقْلُ الكَامِلُ؟ قَلِيْلٌ.

لو كَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ العُقَلاءُ لَانْبَلَجَتِ الـحُجَّةُ ولو كَثُرَ الاخْتِلافُ تَفخُّماً، ولَظَهَرَ السِّرُّ ولو كَتَمَتْهُ النُّفُوسُ خِدْعَةً ودَهَاءً.

العَقْلُ أَمْرٌ بَارِزٌ في كُرْسِيِّ الدِّمَاغِ سُلْطَانُهُ، مُتَحَكِّمٌ في دَوْحَةِ القَلْبِ لِسَانُهُ، تَنْصَرِفُ الـخَطْرَةُ مِنْ سَانِحَةِ الـخَاطِرِ، وأَمَّهَا طَلِيْعَةٌ فِكْرِيَّةٌ اقْتَنَصَها ضَابِطُ الـحِفْظِ عن غيرِ تَفَكُّرٍ وتَعَقُّلٍ، فَتَدْفَعُهَا الفِكْرَةُ الـمُتَعَلِّقَةُ إلى مِيْزَانِ العَقْلِ السَّلِيمِ، فَيَأْخُذُ بِنَواصِيْهَا، ويَطَّلِعُ على خَوافِيْهَا وحَوَاشِيْهَا، فَإِنْ كَانَتْ لله أَمْضَاهَا، وإِنْ كَانَتْ لِغَيرِ الله طَرَحَهَا وأَلْقَاهَا.

والعَقْلُ الـمَغْشُوشُ يَدُورُ بها وَهْلَةً، ويَطْرَحُهَا إلى سَاحَةِ الـهَوَى، فَإِنْ ثَقُلَتْ عليه صَدَّ عنها، وإِنْ طَابَتْ له أَخَذَ مِنْهَا، وأَيْنَ يَطِيبُ للهَوَى الذي انْسَلَّ مِنْ زَوْجَي الشَّهْوَةِ والاسْتِرَاحَةِ، عَمَلٌ فيه عَزِيْمَةٌ، أوخُرُوجٌ عن شَهْوَةٍ؟ هُنَالِكَ يُذْكَرُ شَرَفُ العَقْلِ.

لَعَمْرُكَ يا أَخا العِبَادَةِ الصَّادِقَةِ، والبَصِيْرَةِ الـحَاذِقَةِ: إِنَّ العَقْلَ أَشْرَفُ مِنْ عَمَلِكَ، وأَكْمَلُ مِنْ بَصِيْرَتِكَ إذا خَلَتْ سَاحَتُهَا مِنْهُ، وإِنْ مَسَّهَا العَقْلُ فَعَلَى قَدْرِ مَسَاسِهِ تَزْكُو الأَعْمَالُ، وتَـحْسُنُ الـخِلَالُ والـخِصَالُ.

أَمَا والذي صَرَفَكَ إلى ما شَاءَ: إِنَّ العَقْلَ أَنْفَسُ (١/٢٥) الذَّخَائِرِ، وأَحْسَنُ البَضَائِعِ، وأَقْرَبُ الوَسَائِلِ إلى الله، وأَوْضَحُ السُّبُلِ إلى رَسُولِهِ ﷺ، قَالَ قَوْمٌ: هُوَ الرَّسُولُ الـمُنْبَعِثُ

---

(١) في «المعارف»: (ترفعه).

(٢) في «المعارف»، و«روضة الأعيان»: (المادة).

إلى عَالَـمِ الشَّخْصِ يُنْذِرُهُ بِبُرْهَانِهِ، ويَدُلُّهُ على الله ورَسُوْلِهِ بِبَيَانِهِ، ويُقِيْمُ له مِنَ البَارِزَاتِ أَكْمَلَ الدَّلالاتِ، وكَذَلِكَ هُوَ.

والـمَبْعُوثُ الذي يُعَذِّبُ مُـخَالِفُهُ، فهو السَّيِّدُ العَظِيمُ مُـحَمَّدٌ ﷺ لِقِيَامِهِ بِالـحُجَجِ الـمُؤَيَّدَةِ بِالدَّلَالاتِ القَاطِعَةِ العَقْلِيَّةِ.

أَلَا إِنَّ العَقْلَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الله أَحَاطَهُ بِجَوَاهِرِ الأَدَبِ، ومَدَّ حِبَالَ تَـحَكُّمِهِ[1] إلى القُلُوبِ، مَادَّتُهُ نُورِيَةٌ لا تَضْعُفُ بِتَعْطِيلِ بَعْضِ الـحَوَاسِ، ولا تَدْخُلُ في الـمُمَاثَلَةِ إِلَّا مع الـمادَّةِ الرُّوْحِيَّةِ بِالقِيَاسِ، يُذْهِلُهَا ذُهُولُ حِجَابِ أَلَـمِ الأَعْضَاءِ، ويُزْعِجُهَا إِزْعَاج دَهْشَةِ حُبِّ الأَشْيَاءِ، ويَصْرِفُها عَنْ مَدَارِكِهَا[2] قلقٌ مُتَمَكِّنٌ، وخَوْفٌ مُقْنِطٌ.

وقَدْ يَكُونُ في النَّاسِ مَنْ لا تَنْصَرِفُ مَادَّةُ عَقْلِهِ بِكُلِّ هذا لِعِظَمِ هَيْئَتِهَا النُّوْرِيَّةِ ولِتَحَكُّمِهَا في بَرْزَخِهَا القَائِمِ بها والقَائِمَةِ به، فَتَقِفُ عِنْدَ كُلِّ حَادِثٍ مع القَدَرِ اسْتِسْلَامَاً له[3]، وإِيْمَانَاً بِالله، وخُضُوعَاً لِـحُكْمِهِ، وغَيْبَةً[4] عَنِ الآثَارِ، وتَـمَكُّنَاً في مَقَامِ الرِّضَا، وتَلَذُّذَاً بِاسْتِفَقَادِهِ تعالى في الـحَيَاةِ، وفَرَحَاً بِلِقَائِهِ بَعْدَ الـمَمَاتِ، وهَذَا مَقَامُ الرِّجَالِ الـمُحَمَّدِيِّينَ الذين عَرَفُوا اللهَ وآمَنُوا به، وتَوَكَّلُوا عليه، وهُمُ الذين قالَ تَعَالى في شَأْنِهِم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس:٦٢].

﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾؛ لِبَقَائِهِم مَعَ اخْتِيَارِ الله تَعَالى لهم، وهُوَ سُبْحَانَهُ لا يَخْتَارُ كَرَمَاً منه ولُطْفَاً لِـمَنْ أَسْقَطَ اخْتِيَارَهُ عِنْدَهُ إِلَّا الأَمْنَ والوِقَايَةَ، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٦].

---

(١) في «المعارف»، و«الترياق»، و«روضة الأعيان»: (التحكم).

(٢) في «الأصل»، و«الترياق»، و«روضة الأعيان»: (مدارها)، وفي «المعارف»: (مداركها)، وهي ما أثبتُّ.

(٣) في «الأصل»، و«الترياق»، و«روضة الأعيان»: (استلاماً له)، وفي «المعارف»: (استسلاماً له)، وهي ما أثبتُّ.

(٤) في «الأصل»: (وغَيْبِهِ)، وفي «المعارف»، و«الترياق»، و«روضة الأعيان»: (وغَيْبَةً)، وهي ما أثبت.

﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ بِتَقَلُّبِ الوَارِدَاتِ، وتَرَادُفِ الـحَادِثَاتِ، ولا يَنُوطُهُم[1] حُزْنُ الـحِجَابِ عنه سُبْحَانَهُ وتَعَالَى إِذَا قَدِمُوا عَلَيْهِ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[الأنعام:٩٠].

وهُمُ القَوْمُ القَائِمُونَ به، الـمَطْمُوسُونَ عن غَيْرِهِ، العُقَلَاءُ الـخُلَّصُ، يَعْرِفُونَ كُلَّ حُكْمٍ وحِكْمَةٍ دُنْيَاوِيَّةٍ، ولا يَشْتَغِلُونَ لِزُهْدِهِم بها فيها، ويَعْلَمُونَ سِرَّ كُلِّ دَرَجَةٍ أُخْرَوِيَّةٍ، ولا يَنْفَكُّونَ طَرَبَاً بها عنها، وفي الـحَالَيْنِ عَمَلُهُم لله، وقَصْدُهُمُ الله؛ ولِذَلِكَ قِيْلَ لهم: أَهْلُ الله، رِجَالُ الله، فَاسْتَمْسِكُوا بِمِنْهَاجِهِم، واتَّبِعُوا بَرَكَةَ آثَارِهِم، وكُوْنُوا مِنْ حِزْبِهِم وأَنْصَارِهِم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢] ﴿هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة:٥٦] (٢٥/ب)، [هذا ما فَتَحَ اللهُ بِهِ وإلى الله المصِيرُ][2].



(١) ينوطهم: يَدُلُّ عَلَى تَعْلِيقِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ. وَنُطْتُهُ بِهِ: عَلَّقْتُهُ بِهِ. وَالنَّوْطُ: مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ أَيْضاً. «مقاييس اللغة» مادة: (نوط).

(٢) ما بين معكوفين من «الترياق»، و«روضة الأعيان»، وقال الإمام الصياد في «المعارف»، والواسطي وابن حماد نقلاً عن راوي المجلس: فاضطرب المجلس، وكادت تقوم قيامة القوم، ومات وجداً في المجلس رجلان، ووصل شعر التائبين الذين قصوا شعورهم بنيّة الإنابة إلى رمانة كرسيه رضي الله تعالى عنه وعنا به، ونفعنا بعلومه والمسلمين أجمعين. آمين.

[(٩) تزكية النفوس][1]

وقال ﷺ:

إذا أَنْتَ أَخَذْتَ حَقَّ الله مِنْ نَفْسِكَ، وأَخَذْتَ نَفْسَكَ مِنْكَ، وذَهَبْتَ مع الحَقِّ عَرَفْتَ نَفْسَكَ، ومَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ، وإذا أَنْتَ وَفَّيْتَ النَّاسَ حُقُوقَهُم؛ فَعَظَّمْتَ كَبِيْرَهُم، ورَحِمْتَ صَغِيْرَهُم، وأَحْسَنْتَ لِمُسِيئِهِم، وأَجْمَلْتَ لِمُحْسِنِهِم، واتَّعَظْتَ مِنْ حَكِيمِهِم، وانْجَمَعْتَ عن لَئِيمِهِم، ونَصَرْتَ ضَعِيفَهُم، وما خَذَلْتَ قَوِيَّهُم، وأَمِنَ كُلُّهُم بَوائِقَكَ[2]، فَقَدْ أَحْسَنْتَ سِيَاسَةَ نَفْسِكَ ومُعَاشَرَةَ إِخْوانِكَ، وأَرْضَيْتَ رَبَّكَ، وكَفَّيْتَ شَرَّكَ، وأَنْتَ حِينَئِذٍ العَاقِلُ الحَكِيْمُ.

وإِنْ جَهِلْتَ نَفْسَكَ وبَخَسْتَ النَّاسَ أَشْيَائَهُم، فقد أَغْضَبْتَ رَبَّكَ وظَلَمْتَ نَفْسَكَ وأَنْتَ إذاً الأَحْمَقُ اللَّئِيمُ.

فَإِيَّاكَ- يا أَخِي - أَنْ تَقْدَحَ زِنَادَ هِمَّتِكَ لِإِحْرَاقِكَ، وأَنْ تَسْبَحَ في لُجَّةِ هَوَاكَ لِإِغْرَاقِكَ، اللهَ اللهَ بِكَ، انْتَصِرْ لله على نَفْسِكَ، وأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ هَزِيمَتِهَا وطَيْشِهَا الكَاذِبِ تَسْلَمْ مِنْ ذُلِّ المآبِ وفَزَعِ الحِسَابِ ومُقَاطَعَةِ الأَحْبَابِ، وتَدْخُلِ البَابَ، وتُحْسَبْ مِنْ خَيْرِ الأَحْزَابِ.

النَّفْسُ مَعْنَى الفَتَى يَعْلُوا إذا اتَّضَعَتْ أَوْغَرَقَ ... وإِنْ تَعَالَتْ فَقَدْرُ الشَّخْصِ مَوْضُوعُ

على أَيِّ شَيْءٍ أُمُّ عُوَيْمِرٍ تَضْرِبُ بِعَصَا الغُرُورِ رَأْسَكَ، وتَبْنِي على الخَيَالِ الكَاذِبِ

---

(١) هذه عدة مجالس للإمام الرفاعي ﷺ موجودة في «الكليات» صـ٧٧-٨٠ـ وصـ٩٧-١٠١ـ و«ترياق المحبين» صـ١٠ـ وصـ٢٧-٢٨ـ وصـ٣٤ـ صـ٣٥-٣٦ـ و«خلاصة الإكسير» صـ٥٥-٥٧ـ «بوارق الحقائق» صـ٢٧٦-٢٧٨ـ.

(٢) بوائقُه: غَوائلُه وشَرُّه، أَوْ ظُلْمه وغَشْمُه. «لسان العرب» مادة: (بوق).

أَسَاسَكَ، نَخْوَتُهَا مَرْبُوطَةٌ بِحَبْلِ شَهْوَتِهَا، الضِّدَّانِ لا يَجْتَمِعَانِ[1]، تَرْمَحُ فَوْقَ جُدْرَانِ الأَفْلَاكِ بِوَسَاوِسِ بُهْتَانِهَا، وتَتَدَلَّى إلى قَعْرِ بَحْرِ الذُّلِّ لِآرَابِهَا الـمُوافِقَةِ لِـمِيزَانِهَا، ما أَقْبَحَهَا مِنْ صَاعِدٍ بلا اسْتِحْقَاقٍ!، وما أَذَلَّهَا مِنْ سَافِلٍ بلا نِطَاقٍ!

حِكْمَةٌ على مُجَرَّدِ سُوْءِ الأَخْلَاقِ، خَلِّهَا وسَفْسَافَ[2] مَقَاصِدِهَا، وطِرْ بِأَجْنِحَةِ العِرْفَانِ إلى مَعَالِي الأُمُورِ، وسِرْ مع أَدَبِ دِيْنِكَ إلى غَايَةِ عِلْمِكَ ويَقِيْنِكَ لِتَرْتَفِعَ إلى مَقَامِ العِزَّةِ والـحُبُورِ[3]، واخْشَوْشِنْ بِمُخَالَفَةِ الـهَوَى ومُضَادَّةِ الـمَيْلِ، وسُقْ جُيُوشَ عَزِيْمَتِكَ بِعَصَا عَزْمِكَ بِجُنْحِ اللَّيلِ:

تَعَوَّدْ سَهَرَ اللَّيْلِ فَإِنَّ النَّومَ خُسْرَانُ ... ولا تَرْكَنْ إلى الذَّنْبِ فَعُقْبَى الذَّنْبِ نِيْرَانُ
وقُمْ للوَاحِدِ الفَرْدِ فَلِلْقُرْآنِ خِلَّانُ ... إذا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ فَهُم في اللَّيْلِ رُهْبَانُ
يَنَامُ الغَافِلُ السَّاهِي وما في القَومِ وَسْنَانُ ... ويَلْهُو الجَاهِلُ اللَّاهِي وأَهْلُ اللهِ يَقْظَانُ (٢٦/أ)
فَمَا يُلْهِيْهُمْ أَهْلٌ ولا حِزْبٌ وإِخْوَانُ ... هُمُ واللهِ فِتْيَانٌ إذا ما قِيلَ فِتْيَانُ

أُوْلَئِكَ القَوْمُ وأَيْنَ مِثْلُهُمُ اليَومَ؟ هَجَرُوا اللَّذَاتِ، وتَرَكُوا الـمَأْلُوفَاتِ، وعَبَدُوا اللهَ بِخَالِصِ الطَّوِيَّاتِ، ووَقَفُوا عِنْدَ سِرِّ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»[4] وطَرَحُوا الجَزِيْلَ، ورَضُوا بِالْقَلِيلِ، طَعَامُهُم ما سَدَّ الرَّمَقَ، ولِبَاسُهُم ما سَتَرَ العَوْرَةَ، وما دُوْنَهُ مِنْ شَبَقٍ ولا عَبَقٍ[5].

---

(١) التضاد: هي نسبة بين معنى ومعنىً آخر من جهة عدم إمكان اجتماعهما معاً، وعدم إمكان ارتفاعهما معاً، في شيءٍ واحدٍ وزمانٍ واحدٍ. «ضوابط المعرفة» صـ٥٨ـ.

(٢) السَّفْسَافُ: الرَّدِيءُ مِن كُلِّ شَيْءٍ، والأَمْرُ الحَقِيرُ، وأَصْلُهُ مِن سَفْسَافِ التُّرَابِ لما دَقَّ منه، ثم قيل: لِكُلِّ رِيحٍ رَدِيءٍ سَفْسَافٌ. «تاج العروس» مادة: (سفف).

(٣) الحبور هو: السرور. «مختار الصحاح» مادة: (حبر).

(٤) مر تخريجه صـ٤٢ـ.

(٥) الشَّبَقُ: شِدَّةُ الغُلْمة وطلبُ النِّكَاحِ، والعَبَقُ: الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ.

قَـوْمٌ إذا غَسَلُوا الثِّيَابَ رَأَيْتَهُم　　　لَبِسُوا البُيُوتَ وَزَرَّرُوا الأَبْوَابَا

طَابُوا بِاللهِ واكْتَفَوا بِهِ: فَأَوْصَلَهُم إليه، ودَلَّـهُم عليه، وصَرَّفَهُم في الذَّرَّاتِ، وأَطْلَعَهُم على الـمَخْفِيَّاتِ، فَانْدَرِجْ بِسِلْكِهِم؛ لِتُحْسَبَ منهم؛ فَإِنَّهُم رَضُوا عنِ الله ورَضِيَ عنهم، وهُوَ وَلِيُّ الـمُتَّقِينَ.

الفَتَى: مَنْ لا خَصْمَ لَهُ، الفَتَى خَصْمٌ لِرَبِّهِ على نَفْسِهِ.

الفُتُوَّةُ: أَنْ لا يُفَاخِرَ الفَتَى مَنْ آمَنَ بِالرَّحْمَنِ وهُدِيَ بِالإِيْمَانِ.

والصَّدِيْقُ: الذي تَسْكُنُ النَّفْسُ إليه ويَسْتَرِيْحُ القَلْبُ معه؛ وأنشد:

اصْحَبْ مِنَ الإِخْـوانِ مَنْ قَلْبُهُ　　　أَصْفَى مِنَ اليَاقُوتِ والـجَوْهَرِ

ومَـــنْ إذا سِرَّكَ أَوْدَعْـتَـــهُ　　　لَـمْ يُظْهِرِ السِّـرَّ إلى الـمَحْشَرِ

ومَـــنْ إذا أَذْنَـبْـتَ ذَنْـبَـاً أَتَـى　　　مُـعْـتَـذِراً عِـنْـدَكَ كَمُسْتَغْفِرِ

ومَـــنْ إذا غُـيِّـبْـتَ عـن عَـيْـنِـهِ　　　أَزْعَـجَـهُ الـشَّـوْقُ ولَـــمْ يَصْبِرِ

مَنْ كَانَ لَهُ أَخٌ في الله فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ حَقُّهُ والـمُواسَاةُ له وحِفْظُهُ في مَشْهَدِهِ وغَيْبَتِهِ، وأَنْتُمْ إِخْوَانِي وأَصْحَابِي ولَزمِي، فَعَلَيْكُم بِمُرَاقَبَةِ الله تَعَالَى وطَاعَتِهِ حتَّى لا تُـخْجِلُونِي غَداً بَيْنَ يَدَيِ العَزِيْزِ سُبْحَانَهُ.

صَدِيْقُكَ: مَنْ حَذَّرَكَ الذُّنُوبَ وبَصَّرَكَ بِعُيُوبِكَ؛ وأَخُوْكَ مَنْ أَرْشَدَكَ إلى الله تعالى.

ومَنْ صَحَّتْ له مع الله صُحْبَةٌ، لَازَمَ قِرَاءَةَ كِتَابِ الله بِالتَّدَبُّرِ، واتَّبَعَ أَوَامِرَهُ وتَأَدَّبَ بِآدَابِهِ.

ومَنْ صَحَّتْ له صُحْبَةٌ مع رَسُولِ الله ﷺ، تَـمَسَّكَ بِأَخلاقِهِ وآدَابِهِ، واتَّبَعَ شَرِيْعَتَهُ وسُنَّتَهُ.

ومَنْ صَحَّتْ صُحْبَتُهُ مع الأَوْلِياءِ اتَّبَعَ سِيْرَتَهم وطَرِيْقَتَهُم وتَأَدَّبَ بِآدَابِهِم.

ومَنْ سَقَطَ مِنْ هَذِهِ الوُجُوهِ وأَخَذَ ما طَابَ له، فَقَدْ سَلَكَ سَبِيْلَ الهالِكِينَ، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[الأعراف:١٢٨].

الوَلِيُّ يَبْلُغُ إلى حَالٍ مِنْ رَبِّهِ فَيُعْطِي بِالله، ويَمْنَعُ بالله، ويُغْنِي بالله،(٢٦/ ب) ويُفْقِرُ بالله، ويُقْعِدُ بالله، ويُقِيمُ بالله، ويُقَيِّدُ بالله، ويُطْلِقُ بالله.

شُكْرُ نِعْمَةِ الله ذِكْرُهَا، والضَّابِطُ الشَّرْعُ و﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

أُعْطِيتُ خَصْلَتَينِ لم يُعْطَهُما الشَّيخُ مَنْصُورٌ، هو كانَ عَاشِقاً وأنا مَعْشُوقٌ، والعَاشِقُ مُتْعَبٌ والمَعْشُوقُ مُدَلَّلٌ، وأُعْطِيتُ الحِكْمَةَ ولم يُعْطَهَا، ووَصَلْتُ إلى مَقَامٍ إنْ عَصَيْتُ قَلْبِي عَصَيْتُ اللهَ؛ لِمُوافَقَةِ مَطَالِعِهِ أَوَامِرَ الله مِنْ مَرْتَبَةِ عَبْدِيَّتِهِ القَائِمَةِ بِشَأْنِ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[الحجر:٤٢]، وأَيْنَ يَكُونُ لِعَدُوِّ الله السُّلْطَانُ على حِزْبِ الله الَّذِينَ هُمْ في كَنَفِ الله؟!، ويه[1] عليه، هو سَبَقَتْ له الشِّقْوَةُ، وهُمْ سَبَقَتْ لهمُ الحُسْنَى، هُمْ أَهْلُ الغَلَبَةِ القَاهِرَةِ والسَّرائِرِ الطَّاهِرَةِ يُحَاسِبُونَ أَنْفُسَهُم على كُلِّ نَفَسٍ، مَنْ لم يُحَاسِبْ نَفْسَهُ على كُلِّ نَفَسٍ ويَتَّهِمْهَا لم يُكْتَبْ عِنْدَنَا في دِيْوَانِ الرِّجَالِ.

هَذِهِ البَرَكَاتُ الطَّافِحَةُ، والأنوارُ اللَّائِحَةُ مُغْتَرَفَةٌ من بَحْرِ كَرَمِ ابْنِ عَبْدِ الله أَبِي الطَّاهِرِ الرَّسُولِ المُؤَيَّدِ السَّيِّدِ العَظِيْمِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، نحنُ اتَّبَعْنَاهُ بِالصِّدْقِ وأَطَعْنَاهُ وِفْقَ أَمْرِ الحَقِّ، والمُبْعَدُ على شَفَا جُرُفٍ.

على أَيِّ ظَنٍّ رَدَّ قَاضِي الهَوى الدَّعْوَى ... وفي القَلْبِ سِرٌّ نَشْرُهُ قَطُّ لا يُطْوَى

غَرَامٌ بِحَبْلِ الرُّوْحِ مُنْعَقِدٌ على ... وَثِيْقَةِ عَهْدٍ كُلُّها البِرُّ والتَّقْوَى

أَقَمْتُ عَلَيْهَا في حِمَى الصِّدْقِ حُجَّةً ... لها مِنْ مَعَارِيجِ الهُدَى الغَايَةُ القُصْوَى

وَزَمْزَمْتُ كَأْساً حَلَّ فيه مُدامَةٌ ... حَرَامٌ على أَهْلِ التَّجَاوُزِ والدَّعْوَى

---

(١) ويه: وَيْهِ يَا فلانُ، وتُكْسَرُ الهاءُ، ووَيهاً، بالتَّنوينِ، وَهُوَ: إغراءٌ وتَحريضٌ واسْتِحْثَاثٌ، ويكونُ للواحِدِ والجَمْعِ والمُذَكَّرِ والمُؤَنَّثِ. «تاج العروس»: مادة: (ويه).

وَصُنْتُ لَهُ سِرّاً قَدِيماً حَدِيثُهُ عَنِ الحُجَجِ الأَثْبَاتِ خَيْرِ الوَرَى يُرْوَى
خِزَانَةُ وَصْلِ كُلُّ مَنْ رَامَ فَتْحَهَا فَقَدْ أَغْلَقَ اللَّذَاتِ واسْتَفْتَحَ البَلْوَى
وأَوَّلُ ما يُقْضَى على مَنْ يَرُومُهَا قَبُولُ البَلا والبُعْدُ عَنْ مَوْطِنِ الشَّكْوَى
دنا السِّدْرَةَ القَعْسَاءَ منها جَهَابِذٌ قَدِ اتَّبَعُوا المُخْتَارَ في السِّرِّ والنَّجْوَى
وصَامُوا عَنِ الآثَارِ صَوْمَ مُوَدِّعٍ فَصَانُوا حِمَاهُم مِنْ هُذَيمٍ ومِنْ حَذْوَى
سَرَتْ عِيْسُهُم والضَّوْءُ كَفْكَفَهُ الدُّجَا وتَاهَتْ أَدِلَّاءُ القُفُولِ عَنِ الفَحْوَى
أَخَذْتُ وَحِيْداً رَايَةَ السَّيْرِ بَعْدَهُم أَجُوبُ طَرِيْقاً في الدُّرُوبِ هُوَ الأَسْوَى(٢٧/أ)
ونَصَّيْتُ في أَثْنَا المَسِيْرِ مَذَاهِباً على نَصِّهَا بَيْنَ الأُولَى صَحَّتِ الفَتْوَى
كَذَا مَنْ أَرَادَ الحِبَّ فَلْيَحْتَفِلْ بِهِ وإِلَّا فَمَا نَيْلُ المُنَى لُقْمَةُ الحَلْوَى

إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ فَتَحَ بَابَ الإِرْشَادِ بِيَدِهِ القُدْسِيَّةِ، وسَلَّمَهُ في هذا القَرْنِ إِلَيَّ، فَهَذَا اليَوْمُ ظُهُورُ الدَّوْلَةِ المُحَمَّدِيَّةِ الرِّفَاعِيَّةِ، وطَرِيْقَتُهَا المُرْتَضَوِيَّةِ العَلَوِيَّةِ - على مُشَرِّعِهَا ابْنِ عَبْدِ الله أَفْضَلُ الصَّلَاةِ والسَّلامِ - طَرِيْقُ دِيْنٍ بِلا بِدْعَةٍ، وعَمَلٌ بِلا كَسَلٍ.

طَرِيْقُنَا ضَبْطُ الحَوَاسِ بِمُرَاعَاةِ الأَنْفَاسِ، وتَطْهِيْرُ البَاطِنِ مِنَ الأَدْنَاسِ، ومُدَاوَمَةُ الذِّكْرِ بَجَمِيعِ الحَوَاسِ، طَرِيْقِي دِيْنٌ بِلا بِدْعَةٍ، وعَمَلٌ بِلا رِيَاءٍ، وقَلْبٌ بلا شُغْلٍ، ونَفْسٌ بلا شَهْوَةٍ.

طَرِيْقُنَا الكِتَابُ والسُّنَّةُ، أَلَا إِنَّ الفَقِيرَ على الطَّرِيْقِ ما دَامَ على السُّنَّةِ، فَمَتَى انْحَرَفَ عنها ضَلَّ عَنِ الطَّرِيْقِ.

طَرِيْقُنا أَنْ لا تَسْأَلَ، ولا تَرُدَّ، ولا تَدَّخِرَ، وأَنْ تَتَحَقَّقَ أَنَّ الكُلَّ بِيَدِ الله، وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، وأَنْ تَقِفَ عِنْدَ حَدِّ الشَّرْعِ لا تَتَعَدَّاهُ، والعَوْنُ مِنَ الله.

هذا الطَّرِيْقُ وَاضِحٌ، أَغْلَقَ مَنَاهِجَهُ جَمَاعَةٌ اصْطَلَمَ عليهمُ الحَالُ، وما بَلَغُوا مَقَامَ التَّمْكِيْنِ، فَتَجَاوَزُا بالشَّطْحِ والدَّعْوَى الحُدُودَ، فَتَبِعَهُم فَرِيْقَانِ: فَرِيْقٌ انْقَادَ بِحُسْنِ

الظَّنُّ، وفَرِيقٌ قَادَهُ الـجَهْلُ، وكِلَاهُمَا على شَفَا جُرُفٍ، أَلَا إِنَّ الطَّرِيقَ مَـحجَّةٌ بَيْضاءَ، كُلُّ ما فِيهِ مِنْ قَولٍ وفِعْلٍ، بَطَنَ أو ظَهَرَ لا يَتَجَاوَزُ دَائِرَةَ الشَّرْعِ، أَلَا إِنَّ كُلَّ طَرِيقَةٍ خَالَفَتِ الشَّرِيعَةَ زَنْدَقَةٌ.

الطَّرِيقُ أَنْ تَقُولَ: آمَنْتُ بالله، وَوَقَفْتُ عِنْدَ حُدُودِ الله، وعَظَّمْتُ ما عَظَّمَ اللهُ، وانْتَهَيْتُ عَمَّا نَهَى اللهُ، ولا طَرِيقَ بَعْدَ هذا أَبَداً؛ إِذْ لَيْسَ بَعْدَ الـحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ.

جَاءَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ هَـذَا الطَّرِيـقِ بِعَادَاتٍ زائـدةٍ، بَعْضُهُم وهُـمُ العَارِفُونَ جَعَلَهـا سُلَّماً لِلْعِبَادَةِ، ونَبَّهُوا على كَوْنِها بِدْعَـةً مُعْتَادَةً، تَدْخُلُ في البِدَعِ الـحِسَـانِ؛ لِيَقْتَادُوا بها النُّفُوسَ الـمَطْبُوعَـةَ عـلى الاسْتِبْشَـارِ بِغَرَائِـبِ العَـادَاتِ، حتَّـى إذا طَهُرَتْ نُفُوسُ أَتْبَاعِهِـم أَخرَجُوهُـم مِنْ قُيُـودِ العَادَاتِ إلى إِطْـلَاقِ الشَّرْعِ، وهَذِهِ الـحِكْمَـةُ مَأْخُـوذَةٌ مِنْ سِيْرَةِ سَيِّدِ الـخَلْقِ ﷺ، ولهـا الـمَقَايِيْسُ الكَثِيْرَةُ في السُّنَّةِ، إِلَّا أَنَّ أَهْلَ النَّقْصِ عَظَّمُوا تِلْكَ العَادَاتِ حَتَّى أَدْخَلُوهَا في العِبَادَاتِ، بَلِ اشْـتَغَلُوا بها عَـنِ العِبَـادَاتِ فَانْقَطَعُوا عَنِ القَافِلَـةِ(٢٧/ب)، وبَقُوا بِـلا زَادٍ ولا رَاحِلَةٍ، فَإِيَّاكَ أَيُّهـا السَّـالِكُ أَنْ تُدْخِلَ العَادَةَ في العِبادَةِ؛ فَإِنَّ العَادَاتِ الـمُبَاحَةَ أو الـمُسْتَحْسَـنَةَ صِيْغَـتْ بِعَقْـلِ الـمَخْلُوقِ، والعِبَادَاتِ قَامَتْ بِأَمْرِ الـخَالِقِ، وبَـيْنَ عَقْلِ الـمَخْلُوقِ وأَمْـرِ الـخَالِـقِ الفَـرْقُ بَـيِّنٌ، تَعَالَى اللهُ عُلُـوّاً كَثِـيراً. ولَيْسَ لك في العـادَاتِ إِلَّا أن تَقُـولَ: أُقَـرِّبُ النَّفْـسَ إلى الـحَـقِّ بما لا يَكْرَهُهُ الـحَـقُّ، والـحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ، واللهُ وَلِيُّ الـمُتَّقِيْنَ.

مَنْ سَلَكَ الطَّرِيْقَ بِنَفْسِهِ أُعِيْدَ قَسْراً؛ هَذِهِ الطَّرِيْقَةُ لا تُوْرَثُ عَنِ الأَبِ والـجَدِّ إِنَّما هِيَ طريقَةُ العَمَلِ والـجِدِّ، والوُقُوفِ عندَ الـحَدِّ، وذَرِّ الدُّمُوْعِ على الـخَدِّ، والأَدَبِ مَعَ الله تَعَالى.

ظَنَّ بَعْضُ الـجَهَلَةِ أَنَّ هذه الطَّرِيقةَ تُنَالُ بالقِيْلِ والقَالِ، والدِّرْهَمِ والـمَالِ، وظَوَاهِرِ الأَعْمَالِ! لا والله؛ إِنَّما نَيْلُهَا بالصِّدْقِ والانْكِسارِ، والذُّلِّ والافْتِقَارِ، واتِّبَاعِ سُنَّةِ النَّبِيِّ الـمُخْتَارِ، وهَجْرِ الأَغْيَارِ.

[سطر الاسم المحمدي]

سَطْرُ الاسْمِ الـمُحَمَّدِيِّ مَـمْدُودٌ على صَحَائِفِ الأَكْوَانِ مِنْ أُمِّ زِئبقِ الأَزَلِ إلى حَاشِيَةِ ذَيْلِ الأَبَدِ، ولِسُلْطَانِهِ الـحُجَّةُ الدَّائِمَةُ القَائِمَةُ على كُلِّ سُلْطَانٍ كَوْنِيٍّ.

والـحُجَّةُ: هي ما صَرَفَتِ الشُّبْهَةَ فَأَسْكَتَتْ قَلْبَ الـخَصْمِ إِلْزَامَاً، وإِنْ نَطَقَ لِسَانُهُ عِنَاداً؛ وإِنَّ حُجَّتَهُ الَّتِي عَرَفَهَا أَهْلُ الـجُحُودِ واسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُم لم تَزَلْ مَعْرُوفَةً، وإِنْ أُنْكِرَتْ حَسَداً.

ومِيْمُ الـمَدَّةِ الـمُنْعَقِدَةِ بِمِدَادِ سَطْرِ اسْمِهِ مَعْقُودٌ على رُمْحِ الـمَلَكُوتِ مُنْسَدِلٌ ثَوْبُهُ على شَجَرَةِ الـمُلْكِ، مُـحِيْطٌ بَحْرُ مَدَدِهِ بِأَطْرَافِ العَوَالِمِ مِنْ جَمِيعِ أَرْكَانِهَا، شَامِلٌ لِكُلِّ أَعْيَانِهَا في بُرُوْزِهَا وثُبُوتِهَا.

ورَفْعُـهُ مُشِيْرٌ إلى مُنَازَلَاتِـهِ الـمُتَرَفِّعَـةِ في مَنَازِلِ النُّبُوَّةِ العُظْمَـى، والرِّسَالَـةِ الـجَامِعَـةِ الكُـبْرَى، والـمُتَرَقِّيَـةِ في مِنْـبَرِ القُـدْسِ عـلى دَرَجِ الـشَّرَفِ الأَتَـمِّ الذي لا تُـدْرَكُ غَايَتُهُ بِطَوفِ هِمَمِ الصِّدِّيْقِينَ والـمُقَرَّبِـينَ، ودُوْنَها غَايَاتِ أُوْلِي العَزْمِ مِنَ النَّبِيِّيْنَ والـمُرْسَلِينَ.

وحَاؤُهُ حَدُّ النِّهَايَاتِ في مَرَاتِبِ الغَايَاتِ الـحَائِلِ بِحَبْلِ حَالِهِ مِنْ حَيْثُ رِفْعَةُ قَدْرِهِ، وجَلَالُ سُلْطَانِ أَمْرِهِ بَيْنَ كُلِّ مَرْتَبَةٍ طَيَّارَةٍ في دَرَجِ التَّسَلُّقِ للعُلَى، وبَيْنَ حَضْرَةِ الـمَحَبَّةِ الغَائِبَةِ الـمُزَيَّنَةِ بِنُورِ مَشْهَدِ الرَّأْفَةِ الـمُتَدَلِّي مِنْ رَفْرَفِ السَّيِّدِيَّةِ البَحْتَةِ إلى هَامِ مِـحْرَابِ العَبْدِيَّةِ.

وفَتْحُهُ مُشِيْرٌ لـحملةِ الأَزَلِ والأَبَدِ مِنْ طَوْرِ سَيْنَا النُّكَاتِ الـمُطَلْسَمَةِ عن قَوَافِلِ رُكْبَانِ حَضْـرَةِ القُرْبِ إِلَّا من طَرِيْقِه، قَبْلَهُ وبَعْدَهُ، مِنْ هُنَاكَ إلى هُنَاكَ، والعَجْزُ عن دَرْكِ الإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ.

ومِيْمُهُ الوَسَطِ (٢٨/ب) مُشِيْرٌ إلى ما وَرَاءِ مَدَارِكِ الـمَوْجُوْدَاتِ مِنْ مَعَانِي الـمِنَحِ

الـمُخْتَصِّ بِهِ فِي مُصْطَفَوِيَّتِهِ مِنْ حَيْثُ مَظْهَرِيَّةُ مَبْطَنِ الـحُكْمِ الـمُنْقَلِبِ إلى مَظْهَرِ الأَمْرِ الـمُجْتَمعِ فِي مَشْهَدِ الـمَنَارِ العِلْمِيِّ مِنْ طَرِيقِ الأُمِّيَّةِ.

وشَدَّتُهُ تُعَنْوِنُ حالَـي الأُمِّيَّةِ والأُمِّيَّةِ؛ فالأُولَى أُمِّيَّةُ الخَطِّ والقِرَاءَةِ، والثَّانِيَةُ أُمِّيَّةُ النِّسْبَةِ التِي تُصَرِّحُ بِنِسْبَةِ الأُمَّةِ إِلَيهِ، صَلَوَاتُ رَبِّهِ بِعِلْمِهِ وحُكْمِهِ وتَسْلِيمَاتِهِ بِعِزِّهِ وفَضْلِهِ عَلَيهِ.

ودَالُهُ النِّهَائِيُّ مُشِيرٌ إلى دَوْلَتِهِ الأَبَدِيَّةِ فِي دَوْرِ الكَوْنِ مَعَ كُلِّ دَائِرَةٍ غَائِيَّةٍ إلى أَنْ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ ومَنْ عَلَيْها وهُوَ خَيْرُ الوَارِثِينَ.

وسُكُونُهُ وقَبُولُهُ التَّحْرِيكَ؛ إِشَارَةً إلى اسْتِقْرَارِهِ فِي مَقَامِ سُلْطَانِهِ، وتَقَلُّبِهِ فِي أَبْرَاجِ مَطَالِعِ السَّعْدِ السَّرْمَدِيِّ تَرَفُّعاً مِنْ دَوْلَةٍ إلى دَوْلَةٍ، ومِنْ دَارِ بُرْهَانٍ إلى دَارِ بُرْهَانٍ، ولَهُ بِكُلِّهَا الـحُكْمُ والـحِكْمَةُ.

وعلى جَمِيعِ جُمَلِهَا لَهُ الـمُحَمَّدِيَّةُ الدَّائِمَةُ، فهو ﷺ مُـحَمَّدُ دَوَائِرِ الـجَبَرُوتِ، ومُـحَمَّدُ دَوَائِرِ[1] الـمَلَكُوتِ، ومُـحَمَّدُ الأَمْرِ والنَّهْيِ إلى يَومِ الدِّينِ، والـحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَـمِينَ.



(١) في «البوارق»: (أدوار).



[(١٠) مجلس الرقائق والحكم](١)

وقال ﷺ وعنا به ونفعنا بعلومه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله الذي هُوَ مَفزَعُ(٢) قُلُوبِ المُوَحِّدِينَ إذا انْقطَعَتْ بها أطْنِبَةُ الأَسْبَابِ، ومَوْئِلُ(٣) قَلَقِ أَفئِدَةِ الرَّاجِيْنَ إذا سُدَّتْ تُجَاهَ مَآمِلِهَا الأَبْوَابُ، الفَرْدُ الصَّمَدُ الذي تَعْكِفُ(٤) حَاجَاتُ المُحْتَاجِينَ العَارِفِينَ مِنْهُم والجَاهِلِينَ بِطَبْعِهَا على عَتَبَةِ قُدْرَتِهِ القَاهِرَةِ، والمَلِكُ البَاقِي الذي تَسْطَعُ شُمُوسُ بَقَائِهِ السَّرْمَدِيِّ(٥) فَتُظْهِرُ في كُلِّ آوِنَةٍ أَعْيَانُ الفَنَاءِ المَحْضِ بِكُلِّ الذَّرَاتِ البَاطِنَةِ والظَّاهِرَةِ، جَلَّ من ذِي سُلْطَانٍ غَلَبَةُ حُكْمِهِ لا تُدفَعُ، وتَعَالَى مِنْ ذِي شَأْنٍ آيَاتُ قُدْرَتِهِ لا تُنزَعُ، تَحِنُّ إليه طَبِيْعَةُ الكَافِرِ إذا انْصَرَمَتْ فِي أَمْرِهِ حِيْلَتُهُ، وتَتَعَرَّفُ إليه رُوْحُ الجَاحِدِ إذا انْقَطَعَتْ فِي حِيْلَتِهِ وَسِيْلَتُهُ، قُدْرَتُهُ تَحَكَّمَتْ فَأَوْقَعَتْ طَوْرَ العَجْزِ في كُلِّ مَخلُوقٍ طَامِسٍ أو بَارِزٍ، وعَظَمَتُهُ تَفَرَّدَتْ فَقَطَعَتْ عَنْ حَضْرَةِ الفَرْدِيَّةِ طَبْعَ كُلِّ فَرْدٍ قَوِيٍّ أو عَاجِزٍ.

---

(١) انظر: «المعارف المحمدية» صـ٩٦-١٠٣ـ و«خلاصة الإكسير» صـ٤٨-٥٣ـ و«ترياق المحبين» صـ٢٨-٣١ـ و«عقود اللآل» لوحة ٢٨-٣٠/خ.

وقال صاحب «الخلاصة» و«الترياق» في نهاية هذا المجلس: قال الفاروثي ﷺ: فما نزل عن الكرسي حتى تاب في المجلس أزيد من عشرة آلاف، واضطرب الحيّ بالبكاء، وكادت تذوب الأفئدة لما داخَلَها من سلطان عرفانه وهيبة كلماته وقوة برهانه، فرضي الله تعالى عنه، وقدس الله تعالى روحه.

(٢) المَفْزَعُ: الملجأ. «مختار الصحاح» مادة: (فزع).

(٣) المَوْئِلُ: الملجأ. «لسان العرب» مادة: (وأل).

(٤) عَكَفَ على الشيء يَعْكُفُ ويَعْكِفُ: أقبل عليه مُواظِباً لا يَصرِفُ عنه وجهه. «لسان العرب» مادة: (عكف).

(٥) السرمدي: ما لا أول له ولا آخر. «التعريفات» للجرجاني صـ١١٨ـ.

هذه الـهَيَاكِلُ الذي أَبْرَزَها رَقَمَتِ[1] الشُّبَهَ في عُقُولِ الـمُبْعَدِينَ فَعَجَزُوا عَنِ القَطْعِ بِعَدَمِ الوَحْدَانِيَّةِ، وهَذِهِ الـحَقَائِقُ التي طَرَّزَها مَـحَتِ الشُّكُوكَ مِنْ قُلُوبِ الـمُقَرَّبِينَ فاقْتَدَرُوا على فَهْمِ تَنَزُّلاتِ الأَوَامِرِ الرَّبَّانِيَّةِ، وبَعْدَ هذا العَجْزِ والاقْتِدَارِ أُسْدِلَتْ سَتَائِرُ العَظَمَةِ على مَدَارِكِ الدُّرَّاكِ فَصَاحَ بهم لِسَانُ الدَّهْشَةِ: العَجْزُ عَنْ دَرْكِ الإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ(٢٨/ب)، وأَقْرَبُ الـمَخْلُوقِينَ وأَقْوَاهُم على خَوْضِ هذا العَجَاجِ[2] الـمُشْتَبِكِ، والـمَهْمَهِ[3] الـمُغْلَقِ الـمُحْتَبِكِ[4] قَالَ: «**سُبْحَانَكَ ما عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ**»[5].

اللَّهُمَّ يا عَظِيمَ السُّلْطَانِ، يا عَمِيمَ الإِحْسَانِ صَلِّ على سَيِّدِ رُسُلِكَ الذي رَفَعْتَ في حَظِيرَةِ القُدْسِ مَقَامَهُ ونَشَرْتَ في حَظَائِرِ العَوَالِـمِ كُلِّهَا أَعْلَامَهُ، كَنْزِ الـحَقِيقَةِ الـمُنْبَجِسَةِ مِنْ دُرَّةِ القُدْسِ الأَنْزَهِ، فَمَكْنُونَاتِ عُلُومِ الغُيُوبِ مَكْنُوزَةٌ بِخِزَانَتِهِ، أَمِينِكَ على أَسْرَارِ الرُّبُوبِيَّةِ فَجَمِيعُ بَدَائِعِهَا الـمَصُونَةِ مَطْوِيَّةٌ في مَنْشُورِ أَمَانَتِهِ، حَبِيبِكَ القَائِمِ بِأَمْرِكَ للمُبَايَعَةِ عَنْكَ بِيَدٍ لا يُعْرَفُ غَيْرُها حَتَّى القِيَامَةِ، سُلْطَانُ مِنَصَّةِ حُكْمِكَ القَاعِدِ على سَرِيرِ الأَمْرِ والنَّهْيِ، مُؤَيَّداً بالعِصْمَةِ والأَمْنِ والتَّوْفِيقِ والكَرَامَةِ، عَبْدِكَ الـمُتَمَكِّنِ في دَوْحَةِ رَوْضَةِ العُبُودِيَّةِ الـمَحْضَةِ، ودُونَهُ خَاصِيَّةُ عَبِيدِكَ وعِبَادِكَ، سَيِّدِنَا مُـحَمَّدٍ الثَّابِتِ القَدَمِ فَمَا تَزَحْزَحَتْ به عَزِيمَةُ العَزْمِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ عن صِرَاطِ أَمْرِكَ ومُرَادِكَ، وسَلِّمِ اللَّهُمَّ عليه وعلى آلِهِ شُمُوسِ حَضَرَاتِ الـحُضُورِ في سِدْرَةِ التَّرَقِّي الـجَامِعِ، وأَصْحَابِهِ أُسُودِكَ الـمُتَبَخِّحَةِ تَـحْتَ أَعْلَامِ وَطِيسِ الـمَلَاحِمِ والـمَعَامِعِ، وعلى تَابِعِيهِ ووُرَّاثِهِ

---

(١) الرَّقْمُ والتَّرْقِيمُ: تَعْجِيمُ الكتاب، وكتاب مَرْقُومٌ: كتاب مكتوب. «لسان العرب» مادة: (رقم).

(٢) العَجَاجُ: الغُبَارُ. «مختار الصحاح» مادة: (عجج).

(٣) المَهْمَهُ: الفَلاةُ بعَيْنِها لاَ ماءَ بها وَلاَ أَنيس. «تاج العروس» مادة: (مهه).

(٤) الحُبُكُ: الطَّرائِقُ. «تاج العروس» مادة: (حبك).

(٥) لم أجده بهذا اللفظ، بل مرفوعاً بلفظ: «سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ»، ورواه عن سلمان رضي الله عنه: الحاكم في «المستدرك»: كتاب الأهوال (٥١) رقم ٨٧٣٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي في «التلخيص». ورواه عن جابر رضي الله عنه الطبراني في «الكبير» رقم ١٧٥١، و«الأوسط» رقم ٣٥٦٨.

الـمُؤَيَّدِينَ بِخِدْمَتِهِ القَائِمِينَ بِإِحْيَاءِ سُنَّتِهِ إلى يَوْمِ الدِّينِ، والسَّلامُ عَلَيْنا وعلى عِبَادِ الله الصَّالِحِيْنَ، آمين.

أَيْ سَادَة، بَوَارِقُ الأَرْوَاحِ فَعَّالَةٌ في عَالَـمِهَا، وعَالَـمُهَا الـمَحْضَرُ الذي تَصْدُرُ فيه إِشَارَةُ الأَمْرِ فَتَتَدَلَّـى مِنْ خِزَانَةِ السِّرِّ إلى مَـحْفِلِ[1] الـجَهْرِ، فَبَعْدَ ظُهُورِهَا تَنْقَطِعُ عنها لَـمْعَةُ الإِغْلَاقِ الرَّوحَانِـيِّ، وتُسْدَلُ عليها بُرْدَةُ السَّبَبِ الـمُدْرَكِ العَيَانِـيِّ، فَأَهْلُ الـحِجَابِ يَقِفُونَ مع السَّبَبِ الظَّاهِرِ، وأَهْلُ النُّورِ يَشْهَدُونَ السَّبَبَ الذي أُبْطِنَتْ فيه الأَسَائِرُ، فَأَهْلُ الرِّيَاضَةِ مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ يَصِلُونَ إلى مَكَانِ جَـمْعِ الـهِمَّةِ فَيَظْهَرُ بهم أَثَرُهَا مِنْ تَسَلُّقِ الرُّوحِ الـمُهَيَّئَةِ فَيَزْعُمُونَ التَّحَكُّمَ في الـمَحْضَرِ الذي هو عَالَـمُ الأَرْوَاحِ، وأَيْنَ هُمْ مِنْهُ؟! لو كانَ لهم ذلك لَوَرَدَتْ عَلَيْهِم هِمَّتُهُم بلا تَكَلُّفٍ لِـجَمْعِهَا، ولَـحَصَلَ لهم سِرُّ الاطِّلاعِ على حُكْمِ الإِشَارَةِ الصَّادِرَةِ سواء كانَتْ بِجَمْعِ هِمَّتِهِم أو بِجَمْعِ هِمَّةِ غَيْرِهِم، وهذا شَأْنُ أَصْحَابِ التَّرَقِّيَاتِ الرُّوْحِيَّةِ مِنْ خَاصَّةِ هذه الأُمَّةِ الـمُحَمَّدِيَّةِ.

بِسمِ الله، لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله، يا أَهْلَ الـحَضْرَةِ، يا أَهْلَ الطَّمْسِ، يا رُكْبَانُ، يا أَدِلَّاءُ، يا فُقَهَاءُ، يا فُقَرَاءُ، يَا خَاصَّةُ، يا عَامَّةُ، هذه حَضْرَةٌ لا لَغْوٌ فيها(١/٢٩)، أَنْصِتُوا بِأُذُنِ العَقْلِ الكَرِيْمِ وتَلَقَّوا بِفَهْمِ القَلْبِ السَّلِيْمِ، أَنْتُم على بِسَاطٍ ها هي تُصَبُّ عليه سُحُبُ الرَّحْمَةِ والكَرَمِ، وتُـمَدُّ إليه مَوائِدُ البَرَكَةِ والنِّعَم، أَنْتُم في دِيْوانٍ جُنْدُهُ الوَارِدَاتُ الغَيْبِيَّةُ، وبِطَانَتُهُ التَّدَلِّيَاتُ السَّمَاوِيَّةُ، وحاكِمُهُ الأَمْرُ النَّافِذُ الرَّبَّانِـيُّ الذي لا دَخْلَ فيه لِـحَمْحَمَةِ نَفسِ فُلانٍ وعَلَّانٍ.

أَسْرَارُ الكِتَـابِ الـمُنَـزَّلِ، وحِكَـمُ مَقَاصِـدِ الـحَبِيْـبِ الـمُرْسَـلِ يُمْلَـى عَلَـيَّ بِلِسَـانِ الإِفَاضَـةِ، ويُمْلَـى مِنِّـي إِلَيْكُم بطَرِيْـقِ[2] الوَسَاطَـةِ، وأنا فيه مِثْلُكُـم في مَرْتَبَةِ الـمَحْكُومِيَّـةِ لا فَـرْقَ بَيْنِـي وبَيْنَكُـم، قالَ تَعَـالَى لِـحَبِيْبِهِ عليـه أَجَلُّ صَلَوَاتِـهِ وأَعْظَمُ

---

(١) حَفَلَ الْقَوْمُ وَاحْتَفَلُوا: اجْتَمَعُوا وَاحْتَشَدُوا. «مختار الصحاح» مادة: (حفل).

(٢) في «المعارف»، و«الترياق»، و«الخلاصة»: (من طريق).

تَحِيَّاتِهِ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾[الكهف:١١٠] هذا لتَحْكِيمِ مَرْتَبَةِ العَبْدِيَّةِ، وبَسْطِ مَائِدَةِ الأُنْسِيَّةِ، ولَكِنْ نُثِرَ على رَأْسِهِ الشَّرِيْفِ إِعْظَاماً لِجَلِيْلِ قَدْرِهِ، وإِعْلاءً لِسُلْطَانِ أَمْرِهِ لِوَاءَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[الكهف:١١٠]، فَظَهَرَتْ دَوْلَةُ الفَرْقِيَّةِ بَيْنَهُ وبَيْنَ كُلٍّ مِنْ أُمَّتِهِ، فهو صَاحِبُ مَرْتَبَةِ الفَرْقِ، وإِلَّا فَنَحْنُ لا فَرْقَ بَيْنَنَا إِلَّا بِالبَصِيْرَةِ النَّافِذَةِ والحِجَابِ المُسْدَلِ، وهذان لا يُفِيْدَانِ الفَرْقَ الذي يَقْطَعُ المُنَاسَبَةَ بَيْنَ المُبْصِرِ والمَحْجُوبِ؛ لِأَنَّ قَلْبَ الشَّأْنِ لا شَيْءَ على مَنْ هُوَ: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾[الرحمن:٢٩]، فَهَذَا اللِّجَامُ رَدَّ شَكِيْمَةَ أَهْلِ الدَّعْوَى عَنِ التَّرَفُّعِ والتَّعَالِي، وأَنْزَلَ العَارِفِينَ مَنْزِلَةَ الأَدَبِ والخِدْمَةِ في حَضْرَةِ التَّلَقِّي والإِفْرَاغِ، فَهُم أَبْوَابُ حِكْمَةِ نَاشِرِ الحِكَمِ القُدُّوْسِيَّةِ، ووَسَائِطُ البَلاغِ عنه للعِصَابَةِ الآدَمِيَّةِ، وهو ﷺ الأَمِينُ المَأْمُونُ مُسْتَوْدَعُ سِرِّ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾، ولـه يَدُ الرِّفْعَةِ على كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ بَنِي آدَمَ أَجْمَعِينَ بِشَاهِدِ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧].

والأَدِلَّةُ العَقْلِيَّةُ سَاطِعَةٌ بَراهِينُهَا تُجَاهَ جَاحِدِهِ، فلا يَجِدُ خُلُقاً لِنَبِيٍّ مُرْسَلٍ ولا يَسْمَعُ بِخَصْلَةٍ لِكَرِيمٍ مُقَرَّبٍ إِلَّا ولهذا السَّيِّدِ العَظِيمِ فَوْقَ يَافُوخِ ذَلِكَ الخُلُقِ ويَعْسُوبِ تِلْكَ الخَصْلَةِ أَشْرَفُ وأَعْظَمُ من كِلَيْهِمَا أَخْلاقاً كَرِيْمَةً لا تُحْصَى وخِصَالاً جَلِيْلَةً لا تُسْتَقْصَى، لا زَالَتْ سُحُبُ مِنَنِهِ المُحَمَّدِيَّةِ تَسُحُّ[1] عَلَيْكُمْ وعَلَيْنا، وعَوَائِدُ[2] عَوارِفِهِ الأَحْمَدِيَّةِ تَصِلُ إِلَيْكُم وإِلَيْنا ولِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ، آمين.

أَيْ سَادَة، سَارَتْ رُكْبَانُ النَّاسِ بها نَاسَبَ أَهْوَاءَهُم، ووَقَفَتْ عَقَائِدُهُم مع كُلِّ ما جَانَسَ طِبَاعَهُم، إِيَّاكُم وهَذِهِ الطَّامَّةَ؛ فَإِنَّها النَّارُ المُوقَدَةُ، قال نَبِيُّنَا عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ»[3]، مَنْ لم يَجْعَلِ الهَوَى

---

(١) يسح: يصب. «مقاييس اللغة» مادة: (سح).

(٢) في «الأصل»: (موائد)، وفي «المعارف»، و«الترياق»، و«الخلاصة»: (عوائد)، وهي ما أثبت.

(٣) ذكره الإمام النووي في الأربعين رقم ٤١عن عمرو بن العاص ﵁، وقال: حديث حسن صحيح رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح، وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» صـ٥٢٥ـ: يريد بصاحب كتاب الحجة الشيخ أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي الفقيه الزاهد =

(٢٩/ب) عَبْداً ذَلِيلاً مُسَخَّراً لَدَى سُلْطَانِ الشَّرِيعَةِ الذي شَرعَهُ نَبِيُّهُ ورَسُوْلُهُ، فَأَيْنَ هو مِنَ الإِيْمَانِ؟! كَلَّتِ العَزَائِمُ ومَلَّتِ الـهِمَمُ عِنْدَ تَفْرِيقِ هذه الـمُلابَسَةِ البَيِّنَةِ.

أَيْ أخي، يَطِيْبُ لك القَوْلُ فَتَقِفُ معه بِدَعْوَى الاتِّبَاعِ كَأَنَّكَ تَهْزَأُ بِالأَمْرِ، يَثْقُلُ عَلَيْكَ فَتَنْصَرِفُ عنه بِدَعْوَى إِقَامَةِ الـحُجَّةِ كَأَنَّكَ تَسْتَخِفُّ النَّهْيَ، الأَمْرُ والنَّهْيُ سِرَّانِ بَارِزَانِ يَعُودُ شَأْنُهُمَا لِـمَنْ أَبْرَزَهُما أَلَا وهُوَ رَبُّكَ الذي صَرَّفَ لك النُّطْقَ بِاللَّحْمِ، والسَّمَاعَ بِالعَظْمِ، والبَصَرَ بِرقِّ الـجِلْدِ والقِوَى الـمُجْتَمِعِ في الـهَيْكَلِ الطِّيْنِيِّ الـمُرَكَّبِ، وأَسْكَنَ عَقْلَكَ دِمَاغَكَ، وأَقَرَّ فَهْمَ عَقْلِكَ في مُضْغَةِ قَلْبِكَ، وأَقَامَ عَلَيْكَ الـحُجَّةَ بِهَذِهِ الآثَارِ الإِلَـهِيَّةِ الـمُجْتَمِعَةِ فِيكَ، القَائِمَةِ مَعَكَ.

فَأَيْنَ أَنْتَ بَعْدَ هذا إِذَا اتَّبَعْتَ الـهَوَى وخَالَفْتَ فَالِقَ الـحَبِّ والنَّوَى؟! أُعِيْذُكَ بالله وإِيَّايَ مِنْ ذَلِكَ.

بِسْمِ الله بِسمِ الله، يا أَوْلِياءُ، يا وُعَّاظُ، يا رِجَالَ الدَّوائِرِ، يا أَصْحَابَ الـمَنَابِرِ، يا شُيُوخَ الأَزْوِقَةِ، يا فِتْيَانَ الرُّبُطِ، يا أَهْلَ الزِّيَقِ[1]، يا سُلَّاكَ الطَّرِيْقِ، يا عُلَمَاءُ، يا حُكَمَاءُ، يا أَرْبَابَ النُّقُولِ الـمَعْقُولَةِ والعُقُولِ الـمَقْبُوْلَةِ، أَيْنَ أَنْتُمْ؟! كُلُّ ما أَنْتُمْ فيه تَحْتَ كَلِمَتَيْنِ: وَصْلٌ أو قَطْعٌ؛ فَالوَصْلُ بَاطِنُهُ وظَاهِرُهُ وأُمُّهُ وأَبُوهُ ورُوْحُهُ وجِسْمُهُ التَّأَدُّبُ بِأَدَبِ القُرْآنِ على ما شَرَّعَ حَبِيْبُ الرَّحْمَنِ، وما فَوْقَ ذلك مِنَ الأَقْوَالِ والأَفْعَالِ فَمِنْ هَفْوَةِ نَفْسٍ، أو مِنَ اسْتِرَاقِ سَمْعٍ انْقَلَبَ على مَتْنِ الرُّوْحِ مِنْ طَرِيقِ الشَّهْوَةِ فَظَنَّهُ صَاحِبُهُ مِنْ وَارِدَاتِ

= نزيل دمشق، وكتابه هذا هو كتاب «الحجة على تاركي المحجة»، ثم إنَّ الحافظ ابن رجب ضعَّفه، وبيَّن وجوه تضعيفه، وأمَّا الحافظ ابن حجر فقد أشار في «الفتح»١٣/ ٣٤٥ إلى ثبوته، ورواه من حديث أبي هريرة ﷺ، فقال: «وأخرج البيهقي في المدخل، وابن عبد البر في بيان العلم عن جماعةٍ من التابعين، كالحسن وابن سيرين وشُريح والشَّعبي والنَّخعي بأسانيد جياد ذمّ القول بالرأي المجرَّد، ويجمع ذلك كلَّه حديثُ أبي هريرة ﷺ: «لا يؤمن أحدُكم حتى يكون هواه تَبَعاً لِمَا جئتُ به»، أخرجه الحسن بن سفيان وغيرُه، ورجاله ثقات، وقد صححه النووي في آخر الأربعين.

(١) زِيقُ القَمِيصِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ. «مختار الصحاح» مادة: (زوق).

الرُّوحِ، وعَجَزَ عَنْ كَشْفِ مُنَازَلاتِهِ وحَكِّهِ بِمَحَكِّ الشَّرْعِ؛ لِغَلَبَةِ وَجْدٍ، أو لِشِدَّةِ طَيْشٍ، أو لِـمُوافَقَةِ هَوًى، أو لِـمُنَازَعَةِ خَصْمٍ، وقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ حَالِ سَالِبٍ، فَإِنِ اسْتَمَرَّ السَّلْبُ فَالـمَسلُوبُ غَيْرُ مُكَلَّفٍ لا يُؤَاخَذُ ولا يُقْتَدَى به، وإِنْ نُزِعَ السَّلْبُ وعَادَ الفَهْمُ، فَالأَدَبُ كَشْفُ ما كانَ فيه وإِنْكَارُهُ وتَوْبِيْخُ نَفْسِهِ عَلَيْهِ، وإِعْلَامُ أَهْلِ حَضْرَتِهِ بِخِسَّةِ ذلكَ الشَّأْنِ، وأَنَّهُ مِنْ زَبَدِ مَوْجِ السُّكْرِ الصَّارِفِ عن حَضْرَةِ الأَمْرِ، وقد يَكُونُ ذلكَ مِن انْكِشَافِ الآيَاتِ وقِصَرِ العَزْمِ عَنْ تَرْكِ عَالَـمِهَا[1] والتَّرَقِّي إلى طَلَبِ مُظْهِرِهَا سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، فَيَطِيْشُ لها العَقْلُ وتَرْتَاحُ لها النَّفْسُ الـمُضَمَّخَةُ بِدُخَانِ الرُّعُونَةِ فَيَنْفَلِتُ اللِّسَانُ ويَتَجَاوَزُ مِيْزَانَ الأَدَبِ ظَنًّا بِأَنَّ مَشْهُودَهُ تَحْتَ حُكْمِ وُجُودِهِ، وأَيْنَ هذا الـمِسْكِيْنُ مِنَ الـمِقْيَاسِ (٣٠/أ) الذي لا يَجْهَلُهُ جَهَلَةُ النَّاسِ وعَلَيْهِ الظَّاهِرُ، وحُكْمُهُ البَاطِنِيُّ عَيْنُ ما عَلَيْهِ الشَّأْنُ الظَّاهِرِيُّ؟!

وذلك كَيْفَ يَدَّعِ كُلُّ رَاءٍ مُلْكَ ما رَأَتْهُ عَيْنَيْهِ بِمُجَرَّدِ شُهُودِهِ له وارتِيَاحِهِ له أو بِرُؤْيَاهُ مَشْهُودِهِ وَحْدَهُ؟! وكَيْفَ لا يَمُرُّ بِخَاطِرِهِ أَنَّ لهذه الآثَارِ أَهْلاً؟!، وكَيْفَ لا يَقُولُ: يُوْشِكُ أَنَّ النَّاسَ على الغَالِبِ رَأَوْهَا وانْصَرَفُوا عَنْهَا إلى أَحْسَنَ منها، وأنا الآنَ حتَّى جِئْتُهَا ورَأَيْتُها؟!

وَيْهِ عَلَيْكَ أَيُّها الـمَحْجُوبُ الـمُبْعَدُ، تَظُنُّ بالنَّاسِ الفِتْنَةَ، مَنْ ظَنَّ بِالنَّاسِ الفِتْنَةَ فهو الـمَفْتُونُ، القَرِيْبُ يَكُوْنُ خَائِفاً، أَصْلِحْ شَأْنَكَ بِالأَدَبِ الـمَحْضِ، فَهذِهِ الـحَضْرَةُ بينَ رَفَارِفِهَا وأَوْهَامِ أَهْلِ الدَّعْوَى أَهْوَالٌ، هذا مَذْهَبُ الوَصْلِ وأَهْلِهِ.

وأَمَّا القَطْعُ- والعِيَاذُ بالله - فَهُوَ إِمَّا قَطْعٌ بِالأَصْلِ كَحَالِ الكَافِرِينَ الذينَ يَفْتَرُونَ على الله الكَذِبَ، أو قَطْعٌ بِالسَّبَبِ وهو كَثِيْرٌ، ومنه: الكَسَلُ وتَرْكُ العَمَلِ، وهَجْرُ الأَدَبِ، ومُلَابَسَةُ الأَخْلَاقِ الذَّمِيْمَةِ، ومُقَاطَعَةُ الأَوْصَافِ الكَرِيْمَةِ، والانْحِرَافُ عَنِ السُّنَّةِ الغَرَّاءِ والـمَحَجَّةِ البَيْضَاءِ.

---

(١) في «المعارف»: (عن درك عالمها)، وفي «الخلاصة»: (عن ترك عاملها).

فَدَوَاءُ هذا القَطْعِ ما نُصَّ في الوَصْلِ، ودَاءُ ذلكَ الوَصْلِ ما نُصَّ في القَطْعِ، فَأَعِينُونِي على أَنْفُسِكُمْ بِمُتَابَعَةِ نَبِيِّكُمْ سَيِّدِنَا ومُرْشِدِنَا ووَسِيْلَتِنَا إلى رَبِّنَا وهادينا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَإِنَّهُ زَكَّانَا وعَلَّمَنَا الكِتَابَ والحِكْمَةَ وعَلَّمَنَا ما كُنَّا عَنْهُ في عَمَاءِ الجَهْلِ.

وإِيَّاكُمْ وانْتِحَالَ الغُلاةِ، ووقَاحَةَ أَهْلِ البَطَالَةِ[1]، ومُوَالاةَ أَهْلِ البِدْعَةِ، ورُؤْيَةَ النَّفْسِ على أَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ، وخُذُوا جُهْدَكُم بِنَصِيْحَةِ بَنِي آدَمَ كِبَارِهِم وصِغَارِهِم، البَرِّ منهم والفَاجِرِ، المُؤْمِنِ والكَافِرِ، أَدُّوا ما عَلَيْكُم، وعَلَيْهِم [ما عَلَيْهِم][2]، واللهُ وَلِيُّ المُتَّقِينَ، وحَسْبِيَ اللهُ ونِعْمَ الوَكِيْلُ، وصَلَّى اللهُ على رَسُولِهِ عِلَّةِ الخَلْقِ الهادي إلى الحَقِّ وآلِهِ وأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) وفي «المعارف»، و«الترياق»، و«الخلاصة»: (البطاعة).

(٢) (وعليهم ما عليهم): في «المعارف»، و«الترياق»، و«الخلاصة».





[(١١) مجلس الحكم المستودعة في الخلق][1]

وقال ﷺ وعنا به ونفعنا بعلومه:

الحَمْدُ لله وَحْدَهُ، وسَلَامٌ على المُرْسَلِينَ، جلَّ رَبِّي كُلُّ مَسْمُوعٍ ومَنْظُورٍ له طَرِيْقٌ إلى القَلْبِ أو إلى النَّفْسِ، أو إلى الرُّوحِ، أو إلى العَقْلِ، أو إلى الخَاطِرِ، أو إلى مَحْضَرِ الخِلْقَةِ وما اشْتَمَلَتْ عليه؛

- فَتَسْمَعُ الأُذُنُ صَوْتَ الحَادِي بِنَغْمَةٍ رَقِيْقَةٍ فَتَغْرِفُهَا غَارِفَةُ الرُّوحِ إلى الخَاطِرِ فَتُوْقِعُ فيه هَدْأَةً لَطِيْفَةً تَصْرِفُهُ عنِ السَّيْرِ إلى جِهَةٍ أُخْرَى، وتَسْمَعُ نَغْمَةً عَرِيْضَةً فَتَغْرِفُهَا تلكَ الغَارِفَةُ إلى النَّفْسِ فَتُوْقِعُ فيها سَكِيْنَةً.
- وتَسْمَعُ رَنَّةَ عُوْدٍ أو قَصَبٍ فَفِي الغَارِفَةِ يَنْتُجُ عنها في القَلْبِ حُزْنٌ.
- وتَسْمَعُ(٣٠/ب) ضَجَّةَ طَبْلٍ فَالغَارِفَةُ تَنْتُجُ منها في النَّفْسِ هِزَّةُ شَجَاعَةٍ ونَخْوَةٍ.

ولِكُلِّ رَنَّةٍ مَسْمُوعَةٍ، ونَغْمَةٍ وكَلِمَةٍ وحَرْفٍ ولُغَةٍ مُرَكَّبَةٍ شَأْنٌ[2] يَنْصَرِفُ إلى مَحلِّهِ مِنَ الذَّاتِ، ويَأْخُذُ حُكْمَهُ حَسْبَ ما هو، وكذلكَ المَنْظُوْرَاتِ؛ فَإِنَّكَ رُبَّمَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ الأَعْجَمِيَّ وأَنْتَ الصَّمِيْمُ[3] العَرَبِيُّ، فَبِمُجَرَّدِ سُقُوطِ نَظَرِكَ عَلَيْهِ تُحِبُّهُ بلا سَبَبٍ، وإِنَّكَ رُبَّمَا رَأَيْتَ قَرِيْباً مِنْ بَطْنِكَ، قَرِيْباً مِنْ فَصِيْلَتِكَ[4]، وبِمُجَرَّدِ سُقُوطِ نَظَرِكَ عليه كَرِهْتَهُ، ورُبَّمَا رَأَيْتَ الهِرَّ فَأَضْحَكَكَ مَرْآهُ، ورُبَّمَا رَأَيْتَ الذِّئْبَ فَاسْتَفَزَّكَ مَرْآهُ،

---

(١) انظر في: «الكليات» صـ٤٠.

(٢) في «الكليات»: (طريق).

(٣) الصَّمِيمُ: العَظْمُ الذي هو قِوامُ العُضْوِ. ومنه يقال: هو من صَميم قَومه؛ أي: من خالِصِهم وأصلهم. «العين» للفراهيدي ٧/ ٩٢.

(٤) هَذِهِ الطَّبَقَات عَلَىٰ ترتِيب خَلْق الإِنسانِ، فالشَّعبُ أعظمُها، مُشْتَقٌّ مِن شَعْبِ الرَّأْسِ، ثُمَّ القبيلَةُ مِنْ قبيلَةِ الرَّأْسِ لاجْتماعِها، ثُمَّ العِمارةُ وَهِيَ الصَّدرُ، ثُمَّ البَطنُ، ثُمَّ الفخِذُ، ثُمَّ الفَصِيلَةُ، وَهِيَ السَّاقُ. «لسان العرب» مادة: (شعب).

وربَّما رَأَيتَ الطِّفْلَ يَتكَفَّأُ فَحزِنتَ له، وربَّما رَأَيتَ الـمُعْجَبَ الـمُتَبَخْتِرَ فَشَبَّ بِكَ وَقْدُ الغَضَبِ عَلَيْهِ، لا هَذَا الطِّفْل لِسَبَبٍ، ولا ذاك[1] الـمُتَبَخْتِرِ لِسَبَبٍ تلكَ أَوْضَاعُ الطُّرُقِ الوارِدَةِ إلى عالَـمِ الذَّاتِ، وهي كَثِيْرَةٌ:

- تَنْظُرُ الـخُضْرَةَ فَتبْهَجُ.
- وتَنْظُرُ السماءَ فَتَنْبَسِطُ.
- وتَنْظُرُ الـجَمَالَ فَتَفْرَحُ.
- وتَنْظُرُ القُصُورَ والزِّيْنَةَ فَتَمْرَحُ إلى الـخَيَالِ.
- وتَنْظُرُ الصَّافِنَاتِ الـجِيَادَ فَتَسِيْرُ مع عَالَـمِ هِمَّتِكَ.
- وتَنْظُرُ الـمَالَ فَيَذْهَبُ بِكَ خَاطِرُكَ إلى طُرُقٍ شَتَّى.
- وتَنْظُرُ النِّسَاءَ فَتُسَيِّرُكَ بِضَاعَةُ نِيَّتِكَ إلى طُرُقِهَا.
- وتَنْظُرُ الـمُلُوكَ فَيَفْزَعُ بك حَالُكَ إلى شُؤُونَاتٍ كَثِيْرَةٍ مِنْ أَطْوَارِكَ.
- وتَنْظُرُ اللَّاهِيْنَ فَيُقْعِدُكَ عَزْمُكَ على بِسَاطِ عَزِيْمَتِكَ.
- وتَنْظُرُ الزَّاهِدِينَ فَيَطِيْرُ بك خَيَالُكَ إلى ما تَشْتَهِيْهِ مِنْ حَالِـهِم نَفْسُكَ.
- وتَنْظُرُ العَارِفَ فَيَهَابُهُ قَلْبُكَ.

وهنا سِرٌّ عَجِيْبٌ طَوارِقُ الـهَيْبَةِ خَمْسَةٌ:

١. تَرَى وَجْهَ الرَّجُلِ فَيَأْخُذُكَ مِنْ طَارِقِ جَمَالِهِ الوَضْعِيِّ هَيْبَةٌ أَبْرَزَتْها مَادَّةُ حَالٍ كَامِنَةٍ في نَفْسِكَ.

٢. وتَرَى وَجْهَ الرَّجُلِ فَيُفْرِغُ لك النَّظَرُ بِطَرِيْقِ القَلْبِ مِنْ ذلك الـمَشْهَدِ حَالاً في قَلْبِكَ مِنْ سِرِّ حَالِهِ الذي أَجْمَعَتْ على وُجُودِهِ فيه هِمَّتُكَ فَتَبْرُزُ فيكَ منه بَوارِزُ الهَيْبَةِ.

---

(١) في «الكليات»: (ولا هذا).

٣. وتَرَى وَجْهَ الرَّجُلِ فَيَسْتَجْمِعُ مع نَظَرِكَ له منه قُوَّةً فَعَّالَةً فيك يَتَصَوَّرُهَا خَيَالُكَ وَيَتَدَبَّرُهَا فِكْرُكَ فَتَخْشَى فِعْلاً منه في نَفْسِكَ أو مَالِكَ، أو مُرُوءَتِكَ فَتَبْرُزُ فيك منه بَارِزَاتُ الـهَيْبَةِ.

٤. وتَرَى وَجْهَ الرَّجُلِ فَيَمُدُّ لك مِنْ ذلكَ النَّظَرِ بِسَاطَ طَوْرِ عَقْلٍ قَائِمٍ فيه، أو عِلْمٍ قَائِمٍ معه، أو فَضْلٍ ثَابِتٍ به فَتَنْشُرُ أَوْصَافُهُ عليك رِدَاءَ الـهَيْبَةِ منه ولو أَنَّهُ فَوْقَ حَصِيرٍ مُقَطَّعَةٍ، وتَرُوحُ نَجَائِبُ هِمَّتِكَ إلى الآمَالِ فيه، وكُلَّمَا عَظُمَ أَمَلُكَ به عَظُمَتْ هَيْبَتُكَ له سَوَاء في ذلك أَمَلُكَ به لله (١/٣١)، أو أَمَلُكَ به للدُّنْيَا.

٥. وتَرَى وَجْهَ الرَّجُلِ فَيَسْتَبْرُ لك منه بِطَيِّ نَظْرَتِكَ وَهْمٌ لا حَقِيقَةَ له يُهِيبُكَ من أَبِيْهِ وجَدِّهِ وعَمِّهِ وخَالِهِ وعَوارِضِ غَوائِلِهِ، ويَعِدُكَ وَيُوْهِمُكَ ويُمَنِّيكَ.

وهذا الـمَشْهَدُ الـخَامِسُ [مَشْهَدٌ][1] لا أَصْلَ له، وفَوْقَ هَذِهِ الـمَشَاهِدِ الـخَمْسَةِ لا شَيْءَ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ.

والرَّجُلُ مَنْ غَلَبَ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ وأَفْنَاهُمَا في الله تعالى فَوَقَفَ في كُلِّ مَنْظُورٍ ومَسْمُوعٍ مع الـحَقِيقَةِ فيه، عَظَّمَ مِنَ الشَّيْئَيْنِ ما عَظَّمَ اللهُ، وتَرَكَ الكُلَّ لله، وقَيَّدَ نَظَرَهُ وسَمْعَهُ بَلْ وكُلَّ مَدارِكِ ذَوْقِهِ وعِلْمِهِ بِالـحَقَائِقِ التي تَعُودُ إلى الله.

وأَرَى أَنَّ العَالِـمَ مَنْ أَوْقَعَتْ فِيْكَ هَيْبَةُ عِلْمِهِ قَيْداً عِنْدَ كَلامِكَ فَأَسْمَعْتَهُ ما يَصِحُّ عِنْدَكَ بِمِيْزَانِ عَقْلِكَ وذَائِقَةِ عِلْمِكَ أَنْ يَسْمَعَهُ.

والعَاقِلُ مَنْ أَوْقَعَتْ فيك هَيْبَتَهُ حالاً قَيَّدَ حَرَكَاتِكَ وسَكَنَاتِكَ وأَرَائِكَ أَمَامَهُ بِقَيْدِ الـحِكْمَةِ خَوْفَ انْتِقَادِهِ.

والعَارِفُ مَنْ أَوْقَعَ فِيْكَ حَالُهُ هَيْبَةً جَعَلَتْكَ: مُذْعِناً لِكَمَالِهِ، مُـحِبّاً له في نَفْسِكَ وإِنْ حَوَّلَتْكَ بِيَدِ عُجْبِهَا، ومُرِيْداً للتَّشَبُّهِ به وبِحَالِهِ.

---

(١) هذه الزيادة في «الكليات».

وفي الأَصْوَاتِ والأَيْدِي والأَعْيُنِ والأَلْسُنِ ومَجْمُوعِ هَيْآتِهَا ومُفْرَدِ ذَوَاتِهَا سُلْطَانٌ إِلهِيٌّ يَقُوْلُ بِشَأْنِهَا قَائِلُ الحَقِّ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[البقرة:١٣٨].

وعلى القَوَالِبِ رقَائِقُ الحَقَائِقِ خَفِيَّةٌ وجَلِيَّةٌ؛ في الظُّلْمَةِ هَيْبَةٌ، وفي الضَّوْءِ أُنْسٌ، وفي الحَرَارَةِ زُهُوقٌ، وفي البُرُودَةِ صُعُوقٌ، وكُلُّها مِنْ وَارِدَاتِ الهَيْبَةِ دَهْشَةٌ وسَكِيْنَةٌ وخَوْفٌ وطُمَأْنِيَةٌ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾[الحج:٦١]، حِكَمٌ اسْتَوْدَعَهَا عَالِمُ الخَلْقِ وكَتَمَ أَسْرَارَهَا عَنْ كَثِيْرٍ مِنْ خَلْقِهِ؛ لِإِقَامَةِ شِرَاعِ الحَيْرَةِ لِلْكُلِّ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات].



[(١٢) بعض حكم أسرار القرآن الربانية](١)

وقال ﷺ وعنا به ونفعنا بعلومه:

الـحمدُ لله وحَسْبُنا الله، وعلى نَبِيِّنا وسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ رَسُوْلِ الله أَفْضَلُ صَلَوَاتِ الله وأَكْمَلُ تَسْلِيْمَاتِ الله، وعلى آله وأَصْحَابِهِ ومَنْ وَالَاهُ.

أَيْ سَادَة، تَـخَلَّقُوا بِأَخلاقِ الله؛ وذلكَ أَنْ تَتَمَسَّكُوا بِسُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ، وأَنْ تَتَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِهِ الـمُحَمَّدِيَّةِ، وهو خُلُقُهُ القُرْآنُ، والقُرْآنُ كَلَامُ الله القَدِيْمُ الكَرِيْمُ الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[فصلت:٤٢]، وقد حَرَّرَهُ أَصْحَابُ رَسُوْلِ الله ﷺ (٣١/ب) وجَمَعُوْهُ، فهو كما أَنْزَلَهُ اللهُ تعالى مَـحْفُوظٌ مِنَ التَّحْرِيْفِ والتَّغْيِيْرِ والتَّبْدِيْلِ بِشَاهِدِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩].

ومِنْ حُكْمِ أَسْرَارِهِ الرَّبَّانِيَّةِ:

١. الإِيْمَانُ بِالغَيْبِ، وهو حَالُ الـمُتَّقِيْنَ، وصَنْعَتُهُم بَعْدَ الإِيْمَانِ بالغَيبِ؛ إِقَامُ الصَّلاةِ، وإِيْتَاءُ الزَّكَاةِ، والإِيْمَانُ بِكُلِّ ما أُنْزِلَ إلى النَّبِيِّ ﷺ، وبِكُلِّ كِتَابٍ سَمَاوِيٍّ حَقٍّ أُنْزِلَ إلى الأَنْبِيَاءِ والـمُرْسَلِيْنَ، والإِيْقَانُ كُلُّ الإِيْقَانِ بِالـحَشْرِ إلى الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[البقرة:١-٥].

٢. ومِنْ ذَلِكَ الـحُكْمِ: التَّحَقُّقُ بِعِبَادَةِ الله تعالى، وهو قد قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[البقرة:٢١] إِشَارَةً إلى أَنَّهُ يُفْنِيْكُم كما أَفْنَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُم، ومَصِيْرُكُم إليه فَاعْبُدُوْهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:٢١] فَتُكْتَبُونَ في عِبَادِهِ الـمُتَّقِيْنَ الذين هُمْ ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة:٥].

---

(١) انظر في: «الكليات» صـ٢٣ـ.

٣. وِمِنَ الـحُكْمِ الـمَقْصُوْدِ: الوُقُوْفُ عِنْدَ سِرِّ كُلِّ مَثَلٍ ضَرَبَهُ اللهُ لِعِبَادِهِ، والعِلْمُ بِأَنَّهُ الـحَقُّ مِنْ عِنْدِ الله ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[البقرة:٢٦]، ومَنْ هُمْ؟ أَلَا إِنَّهُم - حَمَانَا اللهُ وإِيَّاكُم مِنْ طَوَارِقِ صِفَاتِهِم- هُمْ: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[البقرة:٢٧].

أَظْهَرَ لَكُمْ مِنْ مَطْوِيِّ مَنْشُوْرِ كِتَابِهِ رَمْزَ الإِشَارَةِ، فَأَوْضَحَ نَوْعَ الصَّراحةِ[١]، ودَلَّكُم على طَرِيْقِ نَجَاتِكُم، وبَيَّنَ لَكُم مَنَاهِجَ سَعادَتِكُم، وحَذَّرَكُم مِنْ مُوْجِبَاتِ الـخِزْيِ والقَطِيْعَةِ.

فها هو قد أَخبَرَ أَنَّ الفَاسِقِينَ تَرْشُقُهُم سِهَامُ الضَّلالِ، فَإِنْ قُلْتُم: مَنْ هُمْ؟ قِيْلَ لَكُمْ: النَّاقِضُونَ لِعَهْدِ الله، القَاطِعُونَ لِـما أَمَرَ اللهُ به أَنْ يُوْصَلَ كَتَعْظِيمِ القُرْآنِ، وإِجْلَالِ الرَّسُولِ، وإِكْرَامِ آله وأَصْحَابِهِ، واحْتِرَامِ أَوْلِيَاءِ أُمَّتِهِ وعُلَمَائِهَا، وبِرِّ الوَالِدَيْنِ، ورِعَايَةِ حَقِّ الرَّحِمِ والـجِوَارِ، وحِفْظِ الأُخُوَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ الثَّابِتَةِ بَيْنَ الـمُؤْمِنِينَ، وحِفْظِ حُقُوقِ الآدَمِيِّيْنَ بَلْ وكُلِّ الـمَخْلُوقِيْنَ.

فَالـهَادِمُوْنَ لهذه الأَحْكَامِ هُمُ القَاطِعُوْنَ لِـما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوْصَلَ، ويُفْسِدُوْنَ (٣٢/أ) بِنَقْضِ العَهْدِ وقَطْعِ ما أُمِرُوا بِوَصْلِهِ فِي الأَرْضِ، وهُمُ الـخَاسِرُونَ فِي أَمْرِي الدِّيْنِ والدُّنْيَا، والـمَرْدُوْدُوْنَ فِي الآخِرَةِ والأُوْلَى.

وإِنَّ الـمُوَفِّيْنَ بِعَهْدِ الله هُمُ الـمُبَشَّرُونَ مِنْ لَدُنْهُ تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة:٤٠]، والـمُوْصِلِيْنَ لِـما أَمَرَهُمُ اللهُ بِوَصْلِهِ؛ فَإِنَّهُم أَهْلُ الـهُدَى الـمُرَادُوْنَ بِنَصِّ: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٣٨]، وهُمُ الـمُصْلِحُونَ الذين يَبُثُّوْنَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ رَسُوْلِ الـهُدَى الـمُنْبَجِسِ نُوْرُهُ مِنْ سَمَاءِ القُرْآنِ العَظِيْمِ فِي بِلادِ الله بَيْنَ عِبَادِهِ القَائِمُونَ بِحُكْمِ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾

(١) في «الكليات»: (الصراحية).

[البقرة:٨٣] تَحْتَ رَايَةِ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾[البقرة:٨٤].

ولا تَقُوْلُوا: إِنَّ بَنِي إِسْرائِيْلَ هُمُ الـمُخَاطَبُونَ بِهَذِهِ الآيَاتِ، وأَحْكَامُهَا تَشْمَلُهُم خَاصَّةً، لا بَلِ الإِيْمَانُ بِمَا أُنْزِلَ إلى النَّبِيِّ الكَرِيْمِ، وإلى مَنْ قَبْلَهُ مِمَّا لَـمْ يُـحَرِّفْهُ الـمُفْتَرُوْنَ على الله كَذِبَاً هو حَظُّ[1] هذِهِ الأُمَّةِ ومِنْبَرُ دِيْنِهَا، والشَّرِيْعَةُ الـمُحَمَّدِيَّةُ على مُشَرِّعِها سَيِّدِ الوُجُودَاتِ سَيِّدِنا مُـحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله عليه أَفْضَلُ الصَّلاةِ وأَتَمُّ السَّلامِ هي الشَّرِيْعَةُ الـجَامِعَةُ النَّاسِخَةُ الكَامِلَةُ الشَّامِلَةُ.

وإِيَّاكُمْ أَنْ يَقُوْمَ بِكُمْ مِنَ الفِعَالِ الـمَرْدُوْدَةِ مِثْلَ ما قَامَ بِمَنْ قَالَ لَـهُمْ: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [البقرة:٨٥]؛ فَإِنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِيَدِهِ أو قَتَلَهَا بِسَعْيِهِ الفَاسِدِ وعَمَلِهِ السَّيِّئِ، وظَهَرَ بِإِثْمِهِ وعُدْوَانِهِ على قَوْمٍ مِنَ الآدَمِيِّيْنَ فَأَذَلَّـهُم وأَخْرَجَهُم مِنْ دِيَارِهِم فَقَدْ بَاءَ بِالـخِزْيِ في الدُّنْيَا، وبِالعَذَابِ الشَّدِيْدِ بِالآخِرَةِ، وكَذَلِكَ قَالَ لَـهُمُ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾[البقرة:٨٥]، ومن نَصِّ: ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ يَظْهَرُ للعَارِفِ أَنَّ مَنْ ظَهَرَ على قَوْمٍ أُوْلِي بَاطِلٍ وبَغْيٍ وظُلْمٍ وجُحُوْدٍ بِحَقِّهِ وعَدْلِهِ وإِيْمَانِهِ، وسَاقَهُم إلى مِثْلِ ذَلِكَ فَطَهَّرَهُم مِنْ ظُلْمِهِم وجُحُوْدِهِم وبَغْيِهِم وبَاطِلِهِم، وأَبَادَهُم إِنْ لم يَنْتَهُوا فَهُوَ مِنْ أَنْصَارِ الله وحُمَاةِ دِيْنِهِ وحُرَّاسِ مَنَافِعِ خَلْقِهِ، واللهُ تَعَالَى يَقُوْلُ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[الكهف:٣٠].

٤. ومِنَ الـحُكْمِ الـمَقْصُودِ: طَرْحُ السِّحْرِ وأَهْلِهِ(٣٢/ب)؛ فَإِنَّ مَنِ اشْتَرَاهُ - أَيْ: أَذْعَنَ له واعْتَقَدَ به- مَالَهُ في الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ بِشَاهِدِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[البقرة:١٠٢]، وأَنَّ ذلكَ الكُفْرُ الصَّرِيْحُ، وأُوْلُوا الإِيْمَانِ بالله تَـجُرُّهُم تَقْوَى الله لِلاعْتِمَادِ عَلَيْهِ والرُّكُونِ إِلَيْهِ، فلا تَنْعَقِدُ قُلُوبُهُم على الاعْتِقَادِ بِمَا كَذَّبَهُ اللهُ، ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[الجاثية:١٩].

---

(١) في «الأصل»: (هو حِفظٌ)، وفي «الكليات»: (هو حَظٌّ)، وهي ما أثبتُّ.

٥. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: أَنْ يُقَدِّمَ المَرْءُ لِنَفْسِهِ مِنَ الخَيْرِ في نِيَّتِهِ وعَمَلِهِ وقَوْلِهِ وحَرَكَتِهِ وسُكُوْنِهِ مُدَّةَ حَيَاتِهِ؛ لِيَجِدَ كُلَّ ذَلِكَ عِنْدَ الله، فَإِنَّ الإِحْسَانَ أَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ بَعْدَ الإِسْلَامِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[البقرة:١١٠]، وقال سبحانه: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة:١١٢].

٦. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: حِمَايَةُ مَسَاجِدِ الله أَنْ تُمْنَعَ عن أَنْ يُذْكَرَ فيها اسْمُهُ سُبْحَانَهُ، وأَنْ يُسْعَى في خَرَابِهَا احْتِرَازاً مِنْ صَادِمَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:١١٤].

٧. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: أَنْ يَصْرِفَ أَئِمَّةُ الهُدَى ما في قُدْرَتِهِم مِنَ الوُسْعِ والإِمْكَانِ لِبَثِّ رُوحِ العَدْلِ والإِنْصَافِ في طِبَاعِ ذَرَارِيْهِم، وأَنْ يُقِيْمُوا فِيْهِم هَذا الحُكْمَ إذا أَرَادُوا دَوَامَ سِرِّ الإِمَامَةِ الرُّوْحِيَّةِ فِيْهِم، ومِثْلُهُ يَلْزَمُ على أَئِمَّةِ الأَشْبَاحِ[1] وَوُلَاةِ أُمُورِ الأُمَّةِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ تَسَلْسُلَ الأَمْرِ في ذُرِّيَّاتِهِم لِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة:١٢٤].

٨. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: التَّسَابُقُ إلى عَمَلِ الخَيْرِ وإِحْيَاءِ مَنَارِ العَدْلِ، والاهْتِمَامِ لِكَشْفِ هُمُومِ عِبَادِ الله تَعَالَى مَهْمَا أَمْكَنَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ﴾[البقرة:١٤٨].

٩. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: أَنْ لا يُخْشَى الظَّالِمُ تَحَقُّقاً بِالخَشْيَةِ مِنَ الله؛ فَإِنَّ الظَّالِمَ دُوْنَ أَنْ يَقْدِرَ على شَيْءٍ، والفَعَّالُ المُطْلَقُ هو اللهُ تَعَالَى، وعلى العَارِفِ أَنْ يُنَبِّهَ العُقُولَ الخَامِلَةَ لِتَتَحَقَّقَ بِالخَشْيَةِ مِنَ الله فَتُهْمِلَ لِسِرِّ تِلْكَ الخَشْيَةِ

---

(١) الشَّبَح: الشَّخْصُ. «تاج العروس» مادة: (شبح).

حُكْمَ الخَشْيَةِ (٣٣/أ) مِنَ الظَّالِمِيْنَ تَمَكُّناً بِمَنَاطِ امْتِثَالِ نَصٍّ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾[البقرة:١٥٠].

١٠. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: التَّحَقُّقُ بِالذِّكْرِ والشُّكْرِ لله تَعَالَى اعْتِصَاماً بِحَبْلِ قَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[البقرة:١٥٢].

١١. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: الاسْتِعَانَةُ على كُلِّ مُهِمٍّ ومُزْعِجٍ بِالصَّبْرِ والصَّلاةِ مع إِقَامَةِ أَحْكَامِ الصَّبْرِ في النَّفْسِ؛ فَإِنَّ الصَّبْرَ فيه المُصَابَرَة[1]، والمُصَابَرَةُ فيها المُجَاهَدَةُ في الله لِدَفْعِ الصَّائِلِ بِكُلِّ ما تَصِلُ إليه يَدُ العَزْمِ والعَزِيْمَةِ مِنْ قُوَّةِ فِكْرٍ، وقُوَّةِ عَمَلٍ، وقُوَّةِ جَيْشٍ وجَأْشٍ، ومِثْلُ ذَلِكَ، وجَعَلَ رَبِّي بَعْدَ الصَّبْرِ الاسْتِعَانَةَ بِالصَّلاةِ حتَّى لا يَغْفُلَ مَنْ طَرَقَتْهُ طَوَارِقُ المِحَنِ عَنِ الصَّلاةِ الَّتِي هي أَعْظَمُ أَحْوَالِ مُنَاجَاةِ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

وَوَعَدَ رَبِّي بَعْدَ الاسْتِعَانَةِ بِالصَّبْرِ والصَّلاةِ بِشَرَفِ مَعِيَّتِهِ الرَّبَّانِيَّةِ للمُنْتَصِرِ به بِأَنْ يَكُونَ لَهُ وَكَفَى بالله وَلِيّاً، والنَّصُّ نَاطِقٌ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[البقرة:١٥٣]. وتَمْهِيْداً في مَقَامِ الحُكْمِ، وإِيْضَاحاً لِمَا أُغْمِضَ في سِرِّهِ مِنَ النَّصِّ قِيْلَ فِيْمَنْ امْتُحِنَ فَقُتِلَ في سَبِيْلِ الله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[البقرة:١٥٤].

ولِطَيٍّ في نَشْرٍ، ونَشْرٍ في طَيٍّ بِمَقَامِ النِّسَبِ والإِضَافَاتِ[2] الطَّارِقَةِ المُتَدَلِّيَةِ في مَنَاطِهَا[3] الأَوَّلِ مِنْ مَحَلِّ التَّنَزُّلاتِ القَائِمَةِ، قَالَ وهُوَ المُتَكَلِّمُ القَدِيْمُ العَلِيْمُ الحَكِيْمُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ

---

(١) المصابرة: بضم الميم وفتح الباء مفاعلة من الصبر، ملازمة الصبر حتى يفوق بصبره صبر غيره.

(٢) إِنَّ النِّسَبَ وَالإِضَافَاتِ أُمُورٌ اعْتِبَارِيَّةٌ يَعْتَبِرُهَا الْعَقْلُ لاَ وُجُودِيَّةٌ بِالْوُجُودِ الخَارِجِيِّ... إِنَّ عَطْفَ الإِضَافَاتِ عَلَى النِّسَبِ مِنْ عَطْفِ الخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ فَإِنَّ النِّسَبَ مَا يَتَوَقَّفُ تَعَقُّلُهَا عَلَى تَعَقُّلِ غَيْرِهَا وَتَخْتَصُّ الإِضَافَةُ بِأَنَّ كُلًّا مِنْ طَرَفَيْهَا نِسْبَةٌ كَالأُبُوَّةِ وَالْبُنُوَّةِ. «حاشية العطار على شرح الجلال المحلي» ٢/ ٤٩٨.

(٣) المناط: موضع التعليق، والعلة، ومنه: مناط الحكم، أي: علته.

ﵟٱلصَّٰبِرِينَﵞ [البقرة:١٥٥]. ومَنْ هُمُ الصَّابِرُوْنَ [الذينَ أَشَارَ إِلَيْهِم كِتَابُ الله، وَوَرَدَتْ وَارِدَاتُ البُشْرَى لهم مِنَ الله؛ إِنَّما هُمْ كما][1] قالَ اللهُ تَعَالَى: ﵟٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَﵞ [البقرة:١٥٦]. تجَرَّدُوا مِنْ رُؤْيَةِ أَنْفُسِهِم، وتَحَقَّقُوا بِحُكْمِ العَبْدِيَّةِ والمَمْلُوْكِيَّةِ لله، وعَلِمُوا وعِلْمُهُم حَقٌّ أَنَّهُم إلى الله رَاجِعُوْنَ، فَصَرَفُوا النَّظَرَ عَنْ طُوْلِ العُمُرِ وقِصَرِهِ وانْصَرَفَتْ أَنْظَارُهُم إلى ما هم إليه رَاجِعُوْنَ، ووَقَفُوا مع ما هُمْ إليه صَائِرُونَ، ولِذَلِكَ قَالَ فِيهِم تَعَالَى: ﵟأُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَﵞ [البقرة:١٥٧] إلى الحَقِّ الَّذِي طَوَاهُ الخَالِقُ في الخَلْقِ؛ إذ كُلُّ الخَلْقِ لله، وإلى الله رَاجِعُوْنَ، ولَكِنَّ الحَظَّ سَابِقٌ، والحُكْمُ لاحِقٌ، وهُدَى الله هو الهُدَى.

١٢. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: (٣٣/ب) إِطَاقَةُ العَقْلِ في مَعَانِي الآيَاتِ الإِلَـهِيَّاتِ المُسْتَوْدَعَةِ في خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ واخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ بِالاعْتِبَارِ؛ لِتَعْيِيْنِ البُرْهَانِ لِلْعَقْلِ بِتِلْكَ الآيَاتِ الَّتِي انْتَظَمَ بها أَمْرُ الأَكْوَانِ.

وفي الفُلْكِ الَّتِي تجْرِي في البَحْرِ فِيمَا يَنْفَعُ النَّاسَ؛ لِـمَا سَيُظْهِرُه اللهُ مِنْ مَنَافِعِهَا مِنْ عَجَائِبِ الطَّيِّ الَّذِي سَيَنْشُرُهُ تَعَالَى بِبَاهِرِ قُدْرَتِهِ، ويُقِيْمُ لها شَأْنًا يَنْفَعُ به النَّاسَ في كُلِّ زَمَانٍ ومَكَانٍ على نَسَقِ حَالِ الأَزْمِنَةِ والأَمْكِنَةِ.

وفِيمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ، وفي تَصْرِيْفِ الرِّيَاحِ الَّتِي انْبَثَّتْ مِنْ فُرَجِ خُيُوطِ العَالَـمَيْنِ المُلْتَصِقَيْنِ المُتَّصِلَيْنِ المُنْفَصِلَيْنِ، والسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ؛ فَإِنَّ مِنَ السَّحَابِ سَحَابًا تَنْشُرُهُ الرِّيَاحُ طَوَاهُ ثِقَلُ الأَبْخِرَةِ، وسَحَابًا وَجَفَ[2] بِطَبْعِهِ حُكْمًا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ حتَّى تَدْفَعَهُ مَادَّةٌ حَارَّةٌ مَسِيلَةٌ، أو تَهُزُّهُ شِبْهُ رِيحٍ حَالَةَ سُقُوطِهِ ثَقِيلَةٌ، وتِلْكَ مُسَخَّرَةٌ، وهُوَ مُسَخَّرٌ، قالَ تَعَالَى: ﵟإِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن

---

(١) ما بين معقوفين من «الكليات الأحمدية».

(٢) وَجَفَ: اضْطَرَبَ. «مختار الصحاح» مادة: (وجف).

مَآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[البقرة:١٦٤].

١٣. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: أَكْلُ الحَلَالِ الطَّيِّبِ، والتَّبَرِّي مِنِ اتِّبَاعِ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالسُّوءِ لِيُوْرِدَ تَابِعِيهِ مَوارِدَ السُّوءِ، ويَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ لِيَجْعَلَ المَنْزُوغَ الَّذِي يَرْكَنُ إليه فَحَّاشاً، ويَأْمُرُ بِأَنْ يَقُولَ المَرْءُ على الله ما لا يَعْلَمُ كَأَنْ يَخُوْضَ فِي الذَّاتِ والصِّفَاتِ، أو يَدَّعِي حُلُولاً أو اتِّحاداً، أو مُنَازَعَةً في قَدَرٍ، أو مُشَارَكَةً فِي حُكْمٍ أو أَمْرٍ أو صِفَةٍ، أو يَدَّعِي تَنَزُّلَ سِرٍّ وإِفَاضَةَ حَالٍ لم يَكُنْ لَهُ، وكُلُّ ذلك مِنْ قَوَاطِعِ الحبلِ عن الله، والعِيَاذُ بِالله، وقد يَبُثُّ فِي النَّفْسِ حُبُّ اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ أَكْلَ الحَرَامِ الخَبِيْثِ الحاصِلِ مِنْ ظُلْمٍ أو جَوْرٍ أو حِيْلَةٍ وكَذِبٍ ودَسِيْسَةٍ وما أَشْبَهَ ذلكَ، قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:١٦٨-١٦٩].

وقَدِ اشْتَرَطَ رَبِّي سُبْحَانَهُ تَحْقِيْقَ حُكْمِ الوِجْهَةِ فِي مَقَامِ العَبْدِيَّةِ إليه بِأَكْلِ الطَّيِّبَاتِ والشُّكْرِ عليها له سُبْحَانَهُ بِنَصِّ قَوْلِهِ:(١/٣٤) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[البقرة:١٧٢].

١٤. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: التَّحَقُّقُ بِالبِرِّ؛ وهو الإِيمانُ بالله انْفِكَاكاً عَنْ[1] غَيْرِهِ، وتَحَقُّقاً بِتَوْحِيْدِهِ، والتَّوْحِيْدُ؛ وِجْدَانُ سِرٍّ قَائِمٍ فِي القَلْبِ يُوْقِنُ به العَقْلُ يَمْنَعُ خَوْضَ فِكْرِكَ مِنَ التَّعْطِيْلِ والتَّشْبِيْهِ، ولا يَكْمُلُ الإِيمانُ بالله إِلَّا أَنْ يُؤْمِنَ العَبْدُ بالله واليَومِ الآخِرِ والمَلائِكَةِ والكِتَابِ والنَّبِيِّيْنَ؛ إِذِ الإِيمانُ بِاليَوْمِ الآخِرِ يَزْرَعُ خَوْفَ اللهِ فِي قَلْبِ العَبْدِ فلا يَتَعَدَّى حُدُوْدَ اللهِ تَعَالَى لا فِي اعْتِقَادَاتِهِ ولا فِي أَفْعَالِهِ.

والإِيمانُ بالملائِكَةِ الَّذينَ منهم مَلائِكَةُ الرَّحْمَنِ الَّذِيْنَ يَتَنَزَّلُونَ على العِبَادِ المُخْلِصِيْنَ فَيَقُوْلُون هم: لا تَخَافُوا ولا تَحْزَنُوا وأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ، ويَتَنَزَّلُونَ على مَنْ

---

(١) في «الأصل»: (من)، وفي «الكليات»: (عن) وهي ما أَثْبَتُّ.

عَصَى وطَغَى وبَغَى وكَفَرَ فَيَقُوْدُونَهُم إلى النَّارِ، وهُمْ: ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم:٦]، وهذا الإِيْمانُ يُوَطِّدُ قَلْبَ الـمُؤْمِنِ لِعَمَلِ الـخَيْرِ؛ لِتَنَزُّلِ مَلائِكَةِ الرَّحْمَنِ، وهَرَباً إلى الله مِنْ تَنَزُّلِ مَلائِكَةِ العَذَابِ.

والإِيْمانُ بِالكِتَابِ؛ هو تَعْظِيْمُ أَحْكَامِهِ بِالعَمَلِ بها، والتَّباعُدِ عن كُلِّ ما أَمَرَتْ نُصُوصُهُ بِالتَّباعُدِ عَنْهُ مِنْ قَوْلٍ وفِعْلٍ، وأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ الله أَنْزَلَهُ على عَبْدِهِ رَسُولِ الله ﷺ.

والإِيْمانُ بِالنَّبِيِّيْنَ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ - وهُمُ الَّذِينَ نَبَّأَهُمُ اللهُ وأَرْسَلَهُم رَحْمَةً لِـخَلْقِهِ، وأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ وبَعَثَهُم بِالـحَقِّ، وخَتَمَهُم بِأَكْمَلِهِم وأَعْظَمِهِم هُدَىً سَيِّدِنَا مُـحَمَّدٍ الـمُصْطَفَى ﷺ- إِنَّما هُوَ الإِيْمانُ بِكُلِّ ما جَاؤُوا بِهِ، والعَمَلُ بِكُلِّ ما أَمَرُوا [به][1]، والانْتِهاءُ عَنْ كُلِّ ما نَهوا عَنْهُ، والتَّحَقُّقُ بِشَرِيْعَةِ جَامِعِ الشَّرائِعِ وسَيِّدِ طَوَائِفِ النَّبِيِّيْنَ والـمُرْسَلِيْنَ سَيِّدِنَا مُـحَمَّدٍ عَلَيْهِ وعَلَيْهِم أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ، والوُقُوفُ معها في كُلِّ أَمْرٍ بَطَنَ أو ظَهَرَ.

وكَمالُ الإِيْمانِ أَنْ يَبْذُلَ العَبْدُ الـمالَ على حُبِّ رَبِّهِ إلى ذَوِي القُرْبَى آلِ البَيْتِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَتَـوَدَّدُ إِلَيْهِم بِإِهْدَاءِ الـمالِ لِيُفَرِّجَ كُرْبَةَ مُـحْتَاجِهِم ويَـسُرَّ قَلْبَ صَغِيْرِهِم ويَتَقَـرَّبَ بِحُكْـمِ التَّوَدُّدِ إلى غَنِيِّهِـم، ويَكُوْنُ ذَلِكَ على حُـبِّ الله خَالِصاً لا لِغَرَضٍ مِنَ الأَغْرَاضِ، وإلى ذَوِي القُرْبَى أَرْحَامِ الرَّجُلِ، وإلى اليَتَامَى والـمَسـاكِيْنِ، وابْنِ السَّبِيْلِ والسَّـائِلِيْنَ، وفي الرِّقَـابِ بِعِتْقِهـا في سَبِيْـلِ الله تَعَالَى، وبِإِعَانَـةِ الـمُكَاتَبِينَ فِيـما كُوْتِبُوا عليـه،(٣٤/ب) وفَـكِّ الأَسَارَى والـمأْخُوذِيْنَ ظُلْماً، ومَـنْ أَحْيَاهُمْ فَكَأَنَّـما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيْعاً.

والإِيْمانُ الـحَقُّ الَّذِي كُلُّهُ بِرٌّ هو: أَنْ تُقَامَ الصَّلاةُ، وتُؤْتَى الزَّكَاةُ، ويُوَفَّـى بِالعَهْدِ، ويُصْبَرُ على تَنَزُّلاتِ الأَقْدَارِ في البَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وحِيْنَ البَأْسِ الـمُلِمِّ والـجَزَعِ الـمُهِمِّ يَوْمَ مُلاقَاةِ العَدُوِّ حِيْنَ الـجِهَادِ في سَبِيْلِ الله تَعَالَى، فَأَهْلُ هَذِهِ الـخِصالِ الشَّرِيْفَةِ والفِعَالِ الكَرِيْمَةِ هم الَّذِيْنَ صَدَقُوا اللهَ عَهْدَهُ، وهُمُ السَّادَةُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ الـمُتَّقُونَ

---

(١) الزيادة في «الكليات».

الَّذِينَ خافُوهُ فَأَهمَلُوا خَوْفَ سِواهُ، قال تَعالَى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾[البقرة:١٧٧] رَدّاً على أُناسٍ خَاضُوا في أَمْرِ القِبْلَةِ وَدَعَوا إليها هَذَا إلى المشرِقِ وهذا إلى المغرِبِ، كُلٌّ يَدْعُوا إلى قِبْلَتِهِ انْتِصاراً لِنَفْسِهِ ونَخْوَتِهِ، وتَرْغِيباً بِفِعْلِهِ وعَادَتِهِ وما كَانَ عَلَيْهِ، ويَزْعُمُ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ البِرُّ والأَمْرُ العَظِيمُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُعْمَلَ بِهِ ويُدْعَى إِلَيْهِ، فَقَالَ الحَقُّ وغَيْرُ قَوْلِهِ بَاطِلٌ: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٧].

١٥. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: إِجْرَاءُ أَحْكَامِ القِصَاصِ على ما أَنْزَلَ اللهُ حِفْظاً لِنِظَامِ الأَمْنِ الَّذِي أَمَرَ بِتَحْكِيمِهِ في خَلْقِهِ، ويُفَسِّرُ هذا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة:١٧٩].

١٦. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: إِنْفَاذُ وَصِيَّةِ المَيْتِ أَخْذاً بِالتَّقْوَى وخَوْفاً مِنَ الله؛ لِأَنَّ اللهَ جَعَلَهَا حَقّاً على المُتَّقِينَ، قال تَعَالَى: ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ﴾ [البقرة:١٨١].

١٧. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ، ومِنْ آدَابِ الحُكْمِ التَّطَوُّعُ في الصِّيَامِ لِسِرِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ الآية [البقرة:١٨٣].

١٨. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: اعْتِقَادُ قُرْبِ الإجَابَةِ عِنْدَ الدُّعَاءِ؛ إِيمَاناً بالله، وانْسِلاخاً عَنْ غَيْرِهِ، وتَحَقُّقاً بِحَالِ النَّبِيِّ ﷺ وآلِهِ وأَصْحَابِهِ؛ فَإِنَّهُم كَانُوا إذا دَعَوُا اللهَ دَعْوَةً وهُمْ مُوقِنُونَ بالإجَابَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ (١/٣٥) أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦].

١٩. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: أَنْ لا تَأْكُلَ الأُمَّةُ أَمْوالَها بَيْنَهَا بِالبَاطِلِ، ولا تُلْقِي بِأَزِمةِ حُكْمِهَا إلى الحُكَّامِ لِتَأْخُذَ حَظَّها منها بِالزُّورِ والحِيلَةِ والغَلَبَةِ، فَالمَنْعُ

القُرآنِيُّ قاطِعٌ بِنَصِّ: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ ﴾ [البقرة:١٨٨].

٢٠. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: القِتَالُ في الله وهُوَ الجِهَادُ في سَبِيْلِهِ، ولَكِنْ بِشُرُوطِ الكَفِّ عَنِ التَّعَدِّي عَمَلاً بِقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠].

٢١. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: أَنْ لا يُتَّخَذَ الكَافِرُونَ أَوْلِياءَ مِنْ دُوْنِ المُؤْمِنِينَ، ومَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ويَتَّخِذْ دُوْنَ إِخْوَانِهِ المُؤْمِنِينَ عِصَابَةَ الكَافِرِيْنَ أَوْلِيَاءَ فَلَيْسَ مِنَ الله في شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَخْشَاهُم، ويَكُوْنُ ذَلِكَ في حَالِ مُجْبِرٍ فَعَلَيْهِ[1] أَنْ يَحْذَرَ اللهَ في فِعْلِهِ ما أَمْكَنَهُ ويَرْقُبُ قَوْلَهُ تَعالَى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران:٢٧].

٢٢. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: الإِنْفَاقُ في سَبِيْلِ الله بِشَرْطِ أَنْ لا يُتْبِعَ ذَلِكَ الإِنْفَاقَ مَنٌّ ولا أَذَىً، وأَنْ يَكُوْنَ خَالِصاً لِوَجْهِ الله تَعالَى، قَالَ رَبِّي: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٣].

٢٣. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: التَّذَكُّرُ وصِحَّةُ التَّفَكُّرِ، والرُّجُوعُ بِالإِخْلَاصِ في الأَحْوَالِ والشُّؤُونِ بِبَصِيْرَةِ نُوْرِ العَقْلِ إلى الله تَعالَى، وهذا مِمَّا يُنْتِجُ الحِكْمَةَ بِشَاهِدِ ما وَرَدَ في الخَبَرِ: «مَنْ أَخْلَصَ لله أَرْبَعِيْنَ صَباحاً، تَفَجَّرَتْ يَنَابِيْعُ الحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ وَجَرَتْ عَلَى لِسَانِهِ»[2]، ومَنْ أَخْلَصَ لِتَتَفَجَّرَ، لم تَتَفَجَّرْ، ونَصُّ

---

(١) في «الأصل»: (فله)، وفي «الكليات»: (فعليه) وهي ما أثبتُّ.

(٢) رواه عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ: أبو نعيم في «الحلية» ٥/ ١٨٩، والديلمي في «الفردوس» رقم ٥٧٦٧، ورواه عن ابن عباس ﷺ: القضاعي في «مسند الشهاب» رقم ٤٦٦، ورمز السيوطي لضعفه في «الجامع» رقم ٨٣٦١.

الكَلَام القَدِيم: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:٢٦٩].

٢٤. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: إِفْرَادُ الوَاحِدِ سُبْحَانَهُ بِالوَحْدَانِيَّةِ، ورَدُّ كُلّ ما يَشُوبُ هذا الإِفْرَادَ مِنَ الشِّرْكِ والحُلُوْلِ والاتّحادِ[1]، وطَمْسُ ثَائِرَةِ هذِهِ البِدَعِ المُضِلَّةِ، وهَشْمُ أَنْفِ هَذِهِ الدَّعَاوَى الدَّافِعَةِ إلى النَّارِ، قَالَ رَبِّي (٣٥/ب) وله الأَمْرُ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۞ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٧٩-٨٠].

---

(١) الحلول: قال الإمام الفخر الرازي في «مفاتيح الغيب» في تفسير سورة مريم آية (٣٠): ذكروا للحلول تفسيرات ثلاثة:

أحدها: كون الشَّيء في غيره ككون ماء الورد في الورد، والدُّهن في السمسم، والنَّار في الفحم، واعلم أنَّ هذا باطلٌ؛ لأنَّ هذا إنَّما يصحُّ لو كان الله تعالى جسماً! وهم وافقونا على أنَّه ليس بجسم.

وثانيها: حصوله في الشَّيء على مثال حصول اللَّون في الجسم، فنقول: المعقول من هذه التَّبعيَّة حصول اللَّون في ذلك الحيِّز تبعاً لحصول محلِّه فيه، وهذا أيضاً إنَّما يُعقل في حقِّ الأجسام لا في حق الله تعالى.

وثالثها: حصوله في الشَّيء على مثال حصول الصِّفات الإضافية للذَّوات، فنقول: هذا أيضاً باطلٌ؛ لأنَّ المعقول من هذه التبعية الاحتياج! فلو كان الله تعالى في شيء بهذا المعنى لكان محتاجاً فكان ممكناً فكان مفتقراً إلى المؤثِّر، وذلك محالٌ، وإذا ثبت أنَّه لا يمكن تفسير هذا الحلول بمعنى مُلخَّص يمكن إثباته في حقِّ الله تعالى امتنع إثباته. انتهى.

أما الاتِّحاد: هو قولهم: إنَّ العبد صار هو الرَّبُّ - والعياذ بالله تعالى - كما ذكره الإمام الغزالي في «المقصد الأسنى» صـ١٢٧ـ وقال الإمام الرازي في «مفاتيح الغيب» في تفسير سورة مريم آية (٣٠) في بيان بطلانه: أما القول بالاتِّحاد فهو باطلٌ قطعاً؛ لأنَّ الشَّيئين إذا اتَّحدا فهما حال الاتِّحاد، إمَّا أن يكونا موجودين أو معدومين، أو يكون أحدهما موجوداً والآخر معدوماً، فإن كانا موجودين فهما اثنان لا واحدٌ، فالاتحاد باطلٌ، وإن عُدما وحصل ثالثٌ فهو أيضاً لا يكون اتِّحاداً بل يكون قولاً بعدم ذينك الشَّيئين، وحصول شيءٍ ثالثٍ، وإن بقي أحدهما وعُدم الآخر فالمعدوم يستحيل أن يتَّحد بالموجود؛ لأنَّه يستحيل أن يقال: المعدوم بعينه هو الموجود فظهر من هذا البرهان الباهر أن الاتِّحاد محالٌ.

٢٥. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: الاتِّحَادُ على كَلِمَةِ الحَقِّ والاعْتِصَامُ لِأَجْلِهَا بالله وآيَاتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

٢٦. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: أَنْ تُقْدِمَ أُمَّةٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ في كُلِّ عَهْدٍ وزَمَنٍ فَتَدْعُوا بِالنِّيَابَةِ عَنِ النَّبِيِّ الكَرِيْمِ، القَائِمِ بِنَصْرِ كَلامِ الله القَدِيْمِ، وتَسُوقُ النَّاسَ إلى الخَيْرِ، وتَأْمُرُهُم بالمَعْرُوفِ، وتَنْهَاهُم عَنِ المُنْكَرِ، وهَذَا بَاعِثُ فَلاحِهِم، بِشَاهِدِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

٢٧. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: الإِنْفَاقُ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، وكَظْمِ الغَيْظِ والعَفْوِ عَنِ النَّاسِ، وهَذِهِ خِصَالُ النَّبِيِّ المُتَّبَعِ المُطَاعِ ﷺ، وخِصَالُ أَحْبَابِ الله، رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وَرَضُوا عَنْهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤].

٢٨. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: ذِكْرُ الله عِنْدَ فِعْلِ الذَّنْبِ؛ لِيَكُوْنَ وَازِعاً لِلْعَبْدِ، والاسْتِغْفَارُ وتَرْكُ الإِصْرَارِ؛ وذَلِكَ هو التَّوْبَةُ بِالإِقْلَاعِ عَنِ الذَّنْبِ، ويَعْقُبُ ذَلِكَ الغُفْرَانُ وسُكْنَى الجِنَانِ بِنَصِّ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٦].

٢٩. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: إِعْلاءُ دِعَامَةِ الشُّكْرِ لله بِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الدِّيْنِ في كُلِّ زَمَنٍ مع القَائِمِ لها[1] بِشَرْطِ العَمَى عَنْ عَيْنِ كُلِّ قَائِمٍ بِذَلِكَ انمِحَاقاً بِأَمْرِ الله وإِعْظَاماً

(١) في «الكليات»: (بها).

لِشَأْنِ الله، وبِذَلِكَ يَسُحُّ[1] فَيْضُ الكَرَمِ جَزَاءً على هذا الشُّكْرِ الأَتَمِّ الأَكْمَلِ، قالَ تَعَالَى، وبِقَوْلِهِ تَبْصِرَةً للمُوْقِنِينَ، وهذا هُوَ أَصْدَقُ القائِلِينَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ (٣٦/أ) شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤].

٣٠. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: تَرْكُ الفَظَاظَةِ والغَلاظَةِ، والعَفْوُ عنِ المُذْنِبِينَ مِنَ المُسْلِمِينَ، والدُّعَاءُ لهم، ومُشَاوَرَةُ مَنْ تَصِحُّ مَشُورَتُهُ مِنْهُم، وفي العَزْمِ على كُلِّ أَمْرٍ تَعْضِيدُ العَزْمِ بِالتَّوَكُّلِ على الله تَعَالَى، قال تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران:١٥٩].

٣١. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: زِيَادَةُ الإِيْمَانِ المُتْرِعِ[2] القَلْبِ أَمْنًا عِنْدَ تَهْوِيْلِ النَّاسِ بِالنَّاسِ، والقِيَامُ بِشِدَّةِ الثَّبَاتِ وعُلُوِّ الهِمَّةِ، وحُسْنُ المُقَابَلَةِ المُوَطَّدَةِ على مَتْنِ التَّدْبِيرِ الحَسَنِ، وكُلُّ هِذِهِ مِنْ لَوَازِمِ الإِيْمَانِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ لُبَابِ أَوَامِرِ الله تعالى المُنَزَّلَةِ في كِتَابِهِ القَدِيْمِ، وهُنَالِكَ فَأَهْلُ هذه الخِصَالِ الشَّرِيْفَةِ مَوْعُوْدُونَ بِنِعْمَةِ الله وفَضْلِهِ، وأَنَّهُم لم يَمْسَسْهُم سُوْءٌ، وعَلَيْهِم رِدَاءُ الرِّضَا، قال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۞ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٤].

٣٢. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: التَّبَرِّي مِنَ البُخْلِ؛ فَإِنَّ البُخْلَ فيه مِنْ سُقُوْطِ الهِمَّةِ وَضَعْفِ الإِيْمَانِ وسُوْءِ التَّدْبِيرِ الغَايَةُ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران:١٨٠].

---

(١) السَّحّ: الصَّبّ المُتَتَابع. «تاج العروس» مادة:(سحح).

(٢) التَّرْعُ: الامْتِلاءُ. «تاج العروس»: (ترع).

٣٣. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: الصَّبْرُ على الأذى في سَبِيْلِ الله، وإنَّ ذَلِكَ لَهُوَ العَزْمُ في الأَمْرِ والقَدَمِ الرَّاسِخِ الذي يَأْخُذُ بالعَبْدِ إلى حَضْرَةِ القُرْبِ، قال تَعالَى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[آل عمران:١٨٦].

٣٤. ولا يَغْرُبَنَّ عَنْ فِكْرِكَ أَيُّها العارِفُ أَنَّ المُنَافِقَ رَضِيْعُ الكُفْرِ يَنْضَحُ مِمَّا يَنْضَحُ مِنْهُ الكَافِرُ؛ فَإِنْ آذَاكَ فَاصْبِرْ على إِيْذَائِهِ، واسْتَعِنْ عَلَيْهِ بالله، وعَامِلْهُ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ واتَّقِ الله، وأَنْتَ مُجَازَى على صَبْرِكَ بِكُلِّ خَيْرٍ، قالَ تَعَالَى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ (٣٦/ب) وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[آل عمران:١٩٥].

٣٥. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: الصَّبْرُ والمُصَابَرَةُ والمُرَابَطَةُ والتَّقْوى، وهذه القَوَاعِدُ الأَرْبَعُ روحُ الإِيْمَانِ، لا يَكُوْنُ المُؤْمِنُ الكَامِلُ إِلَّا صَبُوْراً، ولا يَكُوْنُ الصَّابِرُ الكَامِلُ إِلَّا مُصَابِراً، ولا يَكُوْنُ المُصَابِرُ الكَامِلُ إِلَّا مُرَابِطاً، ولا يَكُوْنُ المُرَابِطُ الكَامِلُ إِلَّا تَقِيّاً، وهُنَالِكَ يَكُوْنُ مِنَ المُفْلِحِيْنَ، قالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

٣٦. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: الأَخْذُ بِالعَدْلِ، والقِيَامُ بالإِحْسَانِ، وإِيْتَاءُ ذِي القُرْبَى، والتَّبَاعُدُ عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ، وهُنَا أُسُّ الإِسْلَامِ، قالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:٩٠].

٣٧. ومِنَ الحُكْمِ المَقْصُودِ: التَّحَقُّقُ بِمَشْهَدِ حكم قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[الحديد:٢٣].

أَيْ سَادَةُ؛ القُرْآنُ سِرُّ سَرَارَةِ كُلِّ أَمْرٍ، وعَيْنُ أَعْيَانِ كُلِّ الحَقَائِقِ، ونُوْرُ الله العَظِيْمِ، وحَبْلُ الله الـمُتَّصِل منه إلى خَلْقِهِ، وهَذِهِ حِكَمُهُ وحَقَائِقُهُ وسُرادِقُ[1] أَسْرارِهِ، فَخُذُوا بها وإِيَّاكُمْ والانحِرَافَ عنها، ومَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُم فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ ما اعْتَدَى عَلَيْكُمْ، واتَّقُوا اللهَ، وقِفُوا في كُلِّ حَالٍ وطَوْرٍ وفِعْلٍ عِنْدَ حُدُودِ الله، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله، إِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

هذا ما فَتَحَ اللهُ بِهِ اليَوْمَ على عَبْدِهِ الضَّعِيْفِ أُحَيْمِدَ، هُوَ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ، أَلَا إلى الله تَصِيْرُ الأُمُورِ، والـحَمْدُ لله رَبِّ العَالَـمِينَ.



(١) في «الأصل»: (سرارات)، وفي «الكليات»: (سرادق) وهي ما أثبتُّ.



[نسب السيد هاشم الأحمدي وسنده في الطريق]

قال [...][1]أبو المكارم هاشمُ الأحمديُّ العُبيدِيُّ، ابنُ أبي السُّعودِ سَعْدِ[2]، ابنِ سلامَةَ[3]، بن أحمد عبيد[4]، ابن أبي المفاخر عبد الله المدَنِيِّ ثم الأشبيلِيِّ[5]، ابن أبي الفوارس عليٍّ الحازم الرفاعيِّ الحُسينيِّ، وتقدم ذِكْرُ نسبِهِ إلى حضرة المصطفى الأعظمِ ﷺ بِنَسَبِ سَيِّدِنا الإمام السَّيِّد أحمد الرِّفاعيِّ الكبير، فإنَّ هذا السَّيِّدَ الجليلَ العظيم القدر؛ أعني: علياً الحازمَ الرِّفاعيَّ هو الجَدُّ الجامِعُ بيننا وبين سَيِّدِنَا ومولانا ووسِيلَتِنا إلى الله تعالى شَيْخِ مَشَايِخِ العَالَـمِ(٣٧/أ) القُطْبِ الغَوْثِ الأَعْظَمِ بَرَكَةِ الوُجُودِ السَّيِّد أحمد محيي الدِّين الكبير الحُسَيْنِيِّ الرِّفاعيِّ ﷺ وعنا به ونفعنا وأُمَّةَ جَدِّهِ بِعُلُومِهِ وبَرَكَاتِهِ: إني قد تَبَرَّكْتُ وتَشَرَّفْتُ وجَمَعَ اللهُ عَلَيَّ شَتَاتِي فَأُتْحِفْتُ بالخِرْقَةِ الـمُبَارَكَةِ الأَحْمَدِيَّةِ الرِّفَاعِيَّةِ مِنْ شَيْخِي وسَيِّدِي وابْنِ عَمِّي نَائِبِ النَّبِيِّ ﷺ في الأُمَّةِ الـمُحَمَّدِيَّةِ مُجَدِّدِ شَرِيعَتِهِ

(١) هناك كلمات غير واضحة في الأصل.

(٢) السيد سعد أبو السعود: كان إماماً فاضلًا شهمًا كاملًا ذا ورع وصلاح تام ونفع عام للخاص والعام، ولد بالمدينة المنورة ونشأ بها وفيها كانت وفاته وقبره بالبقيع. «الروضة الندية في تراجم السلالة الأسعدية» صـ٨ـ.

(٣) السيد سلامة أبو سعد تـ(٤٨٠)هـ: كان ولياً تقياً برّاً نقياً أسداً ضرغاماً صواماً قواماً، من أكابر العلماء وأعاظم الأولياء، ولد بالمدينة المنورة ونشأ بها وأخذ العلم عن أفاضل أهلها وذهب إلى الحج فمات ببدر ودفن بها. «الروضة الندية» صـ٩ـ.

(٤) السيد أحمد الكبير المديني الملقب بعبيد تـ(٤٦٠)هـ: كان إماماً هماماً أسداً ضرغاماً ذا شجاعة وكرم وفضل ونعم، لبس خرقة أهل البيت من ابن عمه السيد يحيى الرفاعي المغربي نقيب البصرة، وتولى إمارة المدينة المنورة ومات بها وقبره بالبقيع. «الروضة الندية» صـ٩ـ.

(٥) السَّيِّد عبد الله المدنيُّ ابن السيد علي الحازم الحسيني تـ(٤٢٠)هـ: هاجر من إشبيلية إلى المدينة المنوَّرة عام (٤٠٥)هـ فاشتهر بالعلم والصلاح والشَّرف والنَّسب الوضَّاح، وله ذيل بالمدينة عظيم، منهم قاضي القضاة السيد علي بن الحسين المدني، والأمير قيماز، والأمير الحسين أمير المدينة، وأمة كثيرة جمَّة، توفي بالمدينة ودفن بالبقيع. «الروضة الندية» صـ٩ـ.

الـمُصْطَفَوِيَّةِ السَّيِّد أحمد الكبير الرِّفَاعِيِّ ﷺ في سَنَةِ خمس وخمسين وخمسمئة في حرم جدِّه سيِّدِ المرسلينَ عليه صلواتُ رَبِّ العالمين ثالث يومٍ من اليوم الذي مُدَّت له فيه يدُ المصطفى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ من قبره بينَ الأُلوفِ على رُؤوسِ الأَشْهَادِ وشَهِدَ له بذلك الحاضِرُ والبادِ وذلك في اليوم السَّابع عشر من شهر مُـحَرَّم الحرام مِنَ السَّنة المذكورة، وهو ﷺ أَخَذَ عَنْ شَيْخَيْنِ؛

الأول: عَلاَمَّةُ واسط شيخُ الإسلام الشَّيْخُ عليٌّ القاري القرشيُّ[1]، وهو عن الشَّيخ أبي الفضل بن كامخ[2]، عنِ الشَّيخِ غُلام بن تُركانِ[3]، عن الشيخ أبي علي الروذباري[4]، ....

(١) هو الشيخ علي أبو الفضل بن محمد بن أبي بكر القرشي المقري الواسطي الشافعي المعروف بابن القاري (٤٦٠ - ٥٣٩)هـ: شيخ الشيوخ بركة المسلمين شيخ واسط وابن شيخها، ولد بواسط، وتفقه بأبيه وبعمه أبي محمد كامخ، وبأبي عبد الله الكازروني، وانتهت إليه الرياسة بواسط، وبه تخرَّج الإمام أحمد الرفاعي رحمه الله وقد أجازه بالعلم والطريق دون أصحابه، ولم يسمح بإجازته العامة لغيره، فقيل له في ذلك، فقال: على من أنجب مثل أحمد أن يقرض من غيره - يعني: أن لا يكون له خليفة غيره -، وكان أصحاب الشيخ علي الواسطي أكثر من أربعين ألفاً، وإذا بلغ أحدهم الفطام يأمره بملازمة السيد أحمد الرفاعي وتجديد البيعة عليه، توفي الشيخ علي ودفن برواقه في واسط، وكان الإمام الرفاعي يقول فيه: شيخنا أبو الفضل جبلٌ من جبال السُّنَّة، وإمامٌ من أئمَّة الهدى المصطفين الأخيار - نفعنا الله بهم أجمعين -. انظر: «إرشاد المسلمين» لعز الدين أحمد الفاروثي صـ٣٨ ـ رقم ١، و«روضة الناظرين» للوتري صـ١٦ـ.

(٢) هو الشيخ أبو الفضل ابن الفقيه الإمام أبي محمد كامخ بن أبي بكر، تفقه بأبيه وأخذ عن غير واحد، وروى عنه الكثير، وكان شيخ حلق الفقهاء والصوفية بواسط، ولد بكاخان بليدة قرب البيضاء، وصحب العارف بالله غلام بن تركان وبه تخرج، توفي بواسط سنة (٥٢٠)هـ. انظر: «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ ٤١ ـ رقم٢، و«عقود اللآل» لوحة ٢٢٩-٢٣٨/خ.

(٣) هو الشيخ أبو الصفا غلام بن تركان بن علي بن سلامة القرشي البيضاوي الواسطي الفقيه الشافعي الصوفي الولهان المشغول بالله تعالى عن غيره، ولد بالبيضاء سنة (٢٩٠)هـ وبها مات سنة (٤١١)هـ. انظر: «إرشاد المسلمين» صـ ٤٢ـ رقم ٣، و«عقود اللآل» لوحة ٢٣٢/خ.

(٤) هو الشيخ أبو على أحمد بن محمد الروذباري الشافعي البغدادي ثم المصري، شيخ الطريقة، =

عن الشَّيخ عليٍّ العجميِّ(١)، عن الشَّيخ أبي بكرٍ الشِّبليِّ(٢)، عن الإمام تاج الطائفة الشيخ الجنيد البغدادي(٣).

= معدن الحقيقة، إمام الجماعة، صحب الجنيد والنوري وابن الجلاء وغيرهم، كان أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة، كبير الشأن توفي بمصر ودفن بالقرافة سنة (٣٢٢)هـ. انظر: «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ٤٣ـ رقم٤، و«طبقات الأولياء» لابن الملقن رقم ١٣، صـ٦٥ـ و«سير أعلام النبلاء» رقم ٣٠٨، ١٤/ ٥٣٥، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي ٣،٩٩/ ٤٨، و«روضة النَّاظرين» صـ١٣ـ و«ترياق المحبين» صـ٦٣ـ.

تنبيه: ورد في الأصل (الروزبادي) والأصح الروذباري كما قال ابن حجر العسقلاني في «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» صـ١٥٢ـ: «الرُّوذْبَارِي، بضم الراء وإسكان الواو والذال المعجمة وفتح الموحدة بعدها ألف ثم راء - نسبة إلى بلدة عند طوس، ينسب إليها جماعة؛ منهم: أبو علي محمد بن أحمد بن القاسم الروذباري الصوفي»؛ لذلك أثبت الأصح.

(١) هو الشيخ أبو الحسن علي بن هند بن أبي الحسن بن مظفر القرشي الفارسي الشافعي، الإمام المهذب، العارف الواصل، قدوة العارفين، نشأ بفارس، وصحب بها الشيوخ الأكابر، وصحب الشبلي و به تخرج، كان عالماً، رقيق الإشارة، متمسكاً بالسنة المحمدية، غيورًا عليها، عارفاً بأصول الطريق، توفي بقزوين رحمه الله سنة (٣٣٠)هـ. انظر: «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ٤٥ـ رقم٥، و«طبقات الصوفية» رقم ١٤، صـ٣٩٩ـ و«الطبقات الكبرى» للإمام الشعراني رقم ٢١٩، صـ١٦٩ـ و«عقود اللآل» لوحة ٢٣٣/خ.

(٢) الإمام أبو بكر الشبلي (٢٤٧-٣٣٤)هـ: دلف بن جحدر، وقيل: جعفر بن دلف بن يونس الشبلي، نسبة إلى قرية من قرى أُسْرُوشَنة، بلدة عظيمة وراء سمرقند، من بلاد ما وراء النهر، كنيته أبو بكر، الخراساني الأصل، والبغدادي المولد والمنشأ، جليل القدر، مالكي المذهب عظيم الشَّأن، مات ببغداد ودفن بمقبرة الخيزران. انظر: و«وفيات الأعيان» لابن خلكان رقم ٢٢٩، ٢/ ٢٧٣، و«إرشاد المسلمين» صـ٤٦ـ رقم٦، و«روضة الناظرين» صـ١١ـ.

(٣) الإمام الجنيد أبو القاسم بن محمد بن الجنيد، النهاوندي الأصل، البغدادي القواريري الخزاز ﷺ، قيل: إنَّ أباه كان قواريرياً - يعني: زجَّاجاً -، وكان هو خزَّازاً، وكان شيخ العارفين وقدوة السَّالكين وعلم الأولياء في زمانه، ولد ببغداد بعد العشرين ومائتين، وتفقَّه على أبي ثور، واختصَّ بصحبة السَّري السَّقطي والحارث المحاسبي وأبي حمزة البغدادي، وعدَّه العلماء شيخ مذهب الصوفيَّة؛ لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسُّنَّة، ولكونه مصوناً من العقائد الذَّميمة، محميَّ الأساس من شبه الغُلاة، سالماً من كلِّ ما يوجب اعتراض الشَّرع، وكان يفتي وله عشرون سنة، وقيل: =

والشيخ الثاني: وهو خالُه قُطْبُ الوجودِ شيخُ الشُّيوخِ الإمامُ الكبيرُ سَيِّدي منصورٌ البَطَائحيُّ الرَّبَّانيُّ الأنصارِيُّ الـحُسَيْنِيُّ، وهو عن خاله الشَّيخ أبي منصورٍ الطَّيب[1]، عن ابن عمِّه الشَّيخ أبي سعيدٍ يحيى النَّجاريِّ[2]، عن الشَّيخ محمَّد أُبَـيٍّ الـمُكَنَّى بِأَبِي عليٍّ القرمزيِّ التِّرمِذيِّ[3]، عن الشَّيخ أبي القاسم السّندوسيِّ[4]، عن القاضي محمَّد رُوَيْم البغداديِّ[5]، عن الإمام الجنيد، وقد سبق ذكرُه في السَّند الأوَّلِ.

= كان على مذهب سفيان الثَّوري، وقيل: على مذهب أبي ثور صاحب الشافعي ﷺ، وتوفي سنة (٢٩٨)هـ ودفن عند قبر خاله سري السقطي، له: «رسائل» منها ما كتبه إلى بعض إخوانه، ومنها ما هو في التوحيد، والغناء، ومسائل أخرى، وله: «دواء الأرواح» رسالة صغيرة. انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي صـ٥٥ـ و «الأعلام» للزركلي ٢/ ١٤١.

(١) هو الشيخ أبو منصور محمد الطيب بن محمد بن كامل الأنصاري، وهو خال أم الشيخ منصور وابن عم أبيه تـ(٥٠٠)هـ: كان عالماً فقيهاً مباركاً محمود السيرة، شافعيَّ المذهب، محمَّديَّ المشرب، توفي بأم عبيدة ودفن بمقبرة الوردية. انظر: «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ٥٥ـ رقم١٣، و«عقود اللآل» لوحة ٢٣٥-٢٣٦/ خ.

(٢) هو الشيخ يحيى النجاري الأنصاري والد الشيخ منصور البطائحي صاحب أم عبيدة، كان مستجاب الدعوة نافذ البصيرة عظيم الكشف، تخرج به الأصحاب، وانتمى إليه الأحباب، وابتهج به الطلاب، توفي سنة (٥١٠)هـ برواقه في أم عبيدة. «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ٥٣ـ رقم٩.

(٣) هو الشيخ محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر الهاشمي القرشي، شيخ الشيوخ، بركة العارفين أبو علي الترمذي الشافعي، صحب والده، وقبل أن يبلغ درجة الفطام توفي أبوه، فاتصل بخدمة الشيخ أبي القاسم السندوسي، وأكمل السلوك على يديه، توفي رحمه الله بحلب في سفر حجه سنة (٤٠٨)هـ. «إرشاد المسلمين» للفاروثي صـ٥٧ـ رقم٥٧، و«عقود اللآل» لوحة ٢٣٦/ خ.

(٤) هو الشيخ محمد أبو القاسم بن أبي الفضل العقيلي الطالبي السندوسي - نسبة لنهر سندوس: قرية بواسط- الشريف الكبير، تفقه بالأكابر من أعيان واسط، ومهر في العلوم الشرعية، مات بواسط سنة (٣٦١)هـ. «إرشاد المسلمين» صـ٥٨ـ رقم١٥، و«عقود اللآل» لوحة ٢٣٦-٢٣٧/ خ.

(٥) القاضي رُوَيْمُ بن أحمد البغدادي الدار والوفاة، أبو محمد، من جلة المشايخ، مقرئ، فقيه، كبير الشأن، كان من أعزِّ أصحاب الجنيد، وصحب أصحابه وانتفع بهم، وعلت مرتبة عرفانه، وساد بين أقرانه في زمانه، مات ببغداد سنة (٣٠٣)هـ. انظر: «طبقات الأولياء» لابن الملقن رقم ٤٢، صـ١٨١ـ و«إرشاد المسلمين» صـ٦٠ـ رقم١٦، و«روضة الناظرين» للوتري صـ١٢ـ.

والجنيدُ لَبِسَ الخِرقةَ وأخذَ الطَّريقةَ المباركةَ عن خاله السَّرِيِّ السَّقَطِيِّ[1]، عن العارفِ الإمام معروفٍ الكَرخيِّ[2]، عنِ الـحُجَّةِ أبي سليمان داود الطَّائيِّ[3]، عن الشَّيخ الحبيب العجميِّ[4]، عن سيِّد التَّابعين الحَسَنِ البصريِّ[5]، عن أمير المؤمنين وسيِّد

---

(١) هو الإمام سِرَيُّ بنُ المُغَلِّس السَّقَطِيُّ، كنيته أبو الحسن، وهو خالُ الجُنَيْد و أستاذُه، صحبَ معروفاً الكَرْخِيَّ، وهو أوَّلُ من تكلم ببغداد في لسان التوحيد، و حقائق الأحوال، وهو إمامُ البَغْداديين، وشيخُهُم في وَقْته، بغدادي المولد والوفاة، توفي سنة (٢٥٣)هـ وكان دفنه في مقبرة الشونيزية. انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي ٩/ ١٨٧، و«طبقات الصُّوفية» للسلمي صـ٣١.

(٢) هو الإمام معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ تـ (٢٠٠)هـ: أحد أعلام الزهاد والصوفيَّة، كان من موالي الإمام علي الرِّضا بن موسى الكاظم، ولد في كرخ بغداد، ونشأ وتوفي ببغداد، اشتهر بالصَّلاح، وقصده النَّاس للتَّبرك به حتَّى كان الإمام أحمد بن حنبل في جملة من يختلف إليه. انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٥/ ٢٣٣، و «الأعلام» للزركلي ٧/ ٢٦٩.

(٣) هو الشيخ داود بن نُصير، أبو سليمان الطائي، الكوفي،الإمام، العالم، العامل، العابد، الزاهد، أحد أصحاب الإمام أبي حنيفة، وعين أعيان أئمة الأنام، سمع عبد الملك بن عمير، وسليمان الأعمش، وغيرهما، وروى عنه جماعةٌ، منهم إسماعيل بن عُلَيَّة وغيره، وكان داود مِمَّن شغل نفسه بالعلم، ودرَّس الفقه وغيره من العلوم، ثم اختار بعد ذلك العزلة والانفراد والخلوة، ولزم العبادة، واجتهد فيها إلى آخر عمره، توفي بالكوفة سنة ستين، وقيل سنة خمس وستين ومائة رحمه الله تعالى. انظر: «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» للتقي الغزي صـ٢٧٨ـ و«وفيات الأعيان» لابن خلكان ٢/ ٢٥٩.

(٤) حبيبُ العجميُّ البصريُّ أبو محمدٍ الزاهد، أحد الأعلام توفي سنة (١١٩)هـ كما أفاده ابن الجوزي في «المنتظم»، وذكر الوتري والصفدي أنه توفي في حدود (١٤٠)هـ أصله من آل ملوك فارس، تاب في مجلس الإمام الحسن البصري، ثمَّ انقطع له وصحبه وتخرَّجَ به، وكان كثير الخوف من الله تعالى يبكي الليل كله، ولا يشتغل عن طاعة ربه وذكره وقتاً من الأوقات. انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي ٤/ ٨٦، و «روضة الناظرين» للوتري صـ٥ـ و «طبقات الأولياء» لابن الملقن رقم ٣٤، صـ١٤٨ـ.

(٥) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد (٢١ - ١١٠)هـ: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النُّسَّاك، ولد بالمدينة، في خلافة سيِّدنا عمر ﷺ، وكانت أُمُّه خيرة مولاةً لأُمِّ سلمة ﷺا، وشبَّ في كنف عليِّ بن أبي طالبٍ ﷺ، وسكن البصرة، وعَظُمَت هيبتُه في القلوب، فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحقِّ لومة لائم، وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار، قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء، وأقربهم هدياً من الصَّحابة، وكان غايةً في الفصاحة، =

الزَّاهدين ويَعْسُوب[1] المتَّقين وصهر النَّبيِّ الأمين وناصر السُّنَّة والدِّين أسد الله الغالب سيِّدنا علي بن أبي طالبٍ كرَّم الله وجهه ورضي عنه وعنهم أجمعين، عن ابن عمِّه سيِّد خَلْقِ الله وأشرف رُسُل الله سيِّدنا وسيِّد العوالم محمَّدٍ رسولِ الله عليه (٣٧/ب) وعلى إخوانه النَّبيِّين والمرسلين أفضل صلوات الله وأتم تسليمات الله، وهو عليه الصلاة والسلام قال: «أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي»[2].

= تَنْصَبُّ الحكمة من فيه، وتوفي بالبصرة رحمه الله تعالى. انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي ٤/ ٢٢٣، و «الأعلام» للزركلي ٢/ ٢٢٦.

(١) اليَعْسُوب السَّيِّدُ والرئيسُ والـمُقَدَّمُ. «لسان العرب» مادة: (عسب).

(٢) رواه عن سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه: الإمام الرفاعي في «حالة أهل الحقيقة مع الله» رقم ١٨ بسنده عن ابن عمِّه السَّيِّد عثمان، المعروف بسند آل البيت.

وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» رقم (٣١٠) لابن السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود رضي الله عنه، ولفظه كما ذكره المناوي في «فيض القدير» رقم ٣١٠، ١/ ٢٩٠: «إنَّ الله أدَّبني فأحسن أدبي، ثم أمرني بمكارم الأخلاق، فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف]»، وقال: هذا سياق رواية السمعاني بحروفه.

وقال أيضاً ١/ ٢٩١: قال الزركشي: حديث: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» معناه صحيحٌ، لكنَّه لم يأت من طريقٍ صحيحٍ، وذكره ابن الجوزي في «الواهيات» عن عليٍّ رضي الله عنه في ذيل حديثٍ وضعَّفَه، وأسنده سبطه في «مرآة الزمان» وأخرجه بطرقٍ كلها تدور على السدي عن ابن عمارة الجواني عن عليٍّ، وفيه فقال: يا رسول الله، إنَّك تكلِّم الوفود بكلام أو لسان لا نفهم أكثره، فقال: «إنَّ اللهَ أَدَّبَنِي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعِدٍ»، فقال له عمر: يا رسول الله، كلنا من العرب فما بالك أفصحنا، فقال: «أتاني جبريل بلغة إسماعيل وغيرها من اللغات فعلمني إياها»، وصحَّحه أبو الفضل بن ناصر.

قال المؤلف ـ أي السيوطي: وأخرج العسكري عن علي رضي الله عنه، قال: قدم بنو فهد بن زيد على المصطفى ﷺ، فقالوا: أتيناك من غور تهامة، وذكر خطيبهم وما أجابهم المصطفى ﷺ، قال: فقلت: يا نبي الله ﷺ، نحن بنو أب واحد ونشأنا في بلدٍ واحدٍ وإنَّك تُكلِّم العرب بلسانٍ لا نفهم أكثره، فقال: «أدبني ربي...» إلى آخره، وأخرج ابن عساكر أن أبا بكرٍ قال: يا رسول الله ﷺ، طفت في العرب وسمعت كلام فصائحهم فما سمعت أفصح منك فمن أدَّبك، قال: «أدبني ربي ونشأت في بني سعد»، قال: وإسناده ضعيف، وقال السخاوي: ضعيف وإن اقتصر شيخنا ـ يعني: ابن حجر ـ على الحكم عليه بالغرابة في بعض فتاويه.

[الختم الشريف](١)

وقد كان شيخُنا وسيِّدُنا علم العارفين سلطان الأولياء والصَّالحين السَّيِّد أحمد الكبير الرِّفاعيُّ ﷺ يـجمعُ أصحابَهُ عند الحاجةِ لدفع الـمُهمَّاتِ مُتَحلِّقِينَ ويقرأُ وهم معه جهاراً يَقْرَؤُونَ:

- فاتِـحَةَ الكتابِ ثلاثاً.
- وآيَةَ الكُرْسِـيِّ ثلاثاً.
- وسُورةَ القَدْرِ ثلاثاً.
- وسُورةَ النَّصرِ ثلاثاً.
- وسُوْرَةَ الإِخْلاصِ والـمُعوِّذَتَيْنِ والفاتـحةَ ثلاثاً ثلاثاً.
- ويقولُ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[يس:٨٥] إحدى وعشرين مرَّةً.
- ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[الكهف:١٠] إحدى وعشرين مرَّةً.
- «بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ»(٢) إحدى وعشرين مرَّةً.

---

(١) ذكر هذا الختم حفيد جامع هذا الكتاب مفتي الحنفية السيد أسعد المدني الحسيني في «مسلسله» صـ٢٧ــ وقال ما نصه: «وقد أجازني بهذا الختم الشريف سيدي المنلا محمد مكي أفندي كما أجازه بذلك والدي بسنده عن آبائه إلى السيد هاشم الأحدي، وهو تلقاه عن ابن عمه وشيخه سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي ﷺ، وإني ولله الحمد لم أقرأه على نية في حاجة إلا وتقضى بإذن الله تعالى، وله أسرار عجيبة عند المهمات فليحافظ عليه مع أهله وعياله كل ذي لب فإنه من الذخائر النفيسة المجربة بعون الله، وقد أجزت به أولادي وعيالي وكل من سيحدثه الله من ذراريهم إجازة مطلقة، بل وأجزت إجازة عامة لكل من يصل إلى يده هذا الختم المبارك من إخواننا المسلمين».

(٢) رواه عن سيدنا عثمان بن عفان ﷺ مرفوعاً: الأمام أحمد في «مسنده» رقم ٤٤٦، =

- لا إله إلَّا اللهُ مئةً وإحدى وعشرين مَرَّة.
- اللهُ مئةً وإِحْدَى وعشرينَ مَرَّة.
- الصَّلاة والسَّلامُ عليك يا سَيِّدي يا رسولَ الله، يا أحمدُ قَلَّتْ حِيْلَتِي وأَنْتَ وَسِيْلَتِي فَأَدْرِكْنِي إحدى وعشرين مرَّة.

ويختمُ بالفاتحة على النِّيَّة يحصلُ المرادُ بإذن الله تعالى، وكان من دأب أصحابه بعد الصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ أن يقولوا: يا عبادَ الله أغيثونا ثلاثاً، يا محبوبَ رسولِ الثَّقلينِ يا أبا العَلَمَينِ، يا سَيِّدي أحمدُ الرِّفاعيُّ المدد ثلاثاً.

ويختمون بالفاتحة إلى [...][1] المقدام ﷺ وجمعنا عليه في دار السَّلام بسلامٍ مع جدِّه سيِّد الوجودات سيِّدنا محمَّدٍ عليه من رَبِّه أفضلُ الصَّلاةِ وأكملُ السَّلامِ[2].



= وأبو داود في «السنن» كتاب الأدب، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ رقم ٥٠٨٨، والإمام الترمذي في «الجامع»: أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، بَاب مَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى (١٣) رقم ٣٣٨٨ وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

(١) هناك كلمات غير واضحه في صورة الأصل المخطوط، قد تكون والله أعلم قريبة من هذه الكلمات: «ويختمون بالفاتحة إلى سيدنا محمد ﷺ وآله وأصحابه، والسيد أحمد الرفاعي المقدام».

(٢) تم بعون الله وفضله الانتهاء من خدمة هذا الكتاب المبارك في يوم الاثنين ٢٤ ربيع الآخر ١٤٣٥هـ الموافق ٢٤/ ٢/ ٢٠١٤م.

محتوى الفهارس



فهرس الآيات الكريمة

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة التوبة

سورة يونس

سورة يوسف

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة النور

سورة العنكبوت

سورة لقمان

سورة الأحزاب

سورة فاطر

سورة الصافات

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزمر

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

سورة الفتح

سورة ق

سورة الطور

سورة الرحمن

سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الصف

سورة التحريم

سورة القلم

سورة الانفطار

سورة الغاشية

سورة الضحى

سورة العلق



فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأعلام

فهرس الأشعار

صدر البيت	القافية	عدد الأبيات	الصفحة
اصْحَبْ مِنَ الإِخْوانِ مَنْ قَلْبُهُ	والجَوْهَرِ	٤	١١١
تَعَوَّدْ سَهَرَ اللَّيْلِ فَإِنَّ النَّومَ خُسْرَانُ	نِيْرَانُ	٤	١١٠
خُذُوا بِيَدِي يا أَهْلَ أُمِّ عَبِيْدَةِ	سِرُّ	٢	١٥
على أيِّ ظَنٍّ رَدَّ قَاضِي الهوى الدَّعْوَى	لا يُطْوَى	١٣	١١٢
فِي حَالَةِ البُعدِ رُوْحِي كُنْتُ أرسِلُها	نَائِبَتِي	٢	٢٩
قَوْمٌ إذا غَسَلُوا الثِّيَابَ رَأَيْتَهُم	الأَبْوَابَا	١	١١١
كَشَفْنا غطاءَ المجدِ بالجِدِّ والتُّقَى	الأَوَائِلِ	١٢	٢٤
النَّفْسُ مَعْنَى الفَتَى يَعْلُوا إذا اتَّضَعَتْ	مَوْضُوعُ	١	١٠٩
وَفِينَا رَسُولُ الله يَتْلُو كِتَابَهُ	الْفَجْرِ	٣	٦٤
يا كِرَامَ الحِمَى حُسِبْنا عَلَيْكُم	ضِعَافُ	٢	١٥
يُقَاسُ المَرْءُ بِالمَرْءِ	ماشاه	٢	٧٢





فهرس المصادر والمراجع المطبوعة

(أ)

- إرشاد المسلمين لطريقة شيخ المتقين، للإمام المحدث المفسر أحمد عز الدين الفاروثي الرفاعي (٦١٤-٦٩٤)هـ، تحقيق أحمد جحا أبي الهدى.
- الأسرار الإلهية شرح القصيدة الرفاعية، للسيد محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الآلوسي الحسيني (١٢٧٣-١٣٤٢)هـ المطبعة الخيرية ـ مصر سنة (١٣٠٥)هـ.
- الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية، للعلامة أحمد بن محمد الصاوي تـ(١٢٤١)هـ الطبعة الأولى ـ مكتبة القاهرة.
- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر.
- الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.

(ب)

- بوارق الحقائق، للإمام محمد مهدي الصيادي الشهير بالرواس، اعتنى به شرف الدين حسن بن عبد الحكيم عبد الباسط، دار البشائر.
- البرهان المؤيد، للإمام أحمد الرفاعي الكبير، تحقيق عبد الغني نكه مي، دار الكتاب النفيس.

(ت)

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للحافظ الذهبي تـ(٧٤٨)هـ تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تاريخ دمشق، لابن عساكر تـ(٥٧١)هـ دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر ـ بيروت.

- تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي تـ(١٢٠٥)هـ، دار الهداية.
- ترياق المحبين في طبقات المشايخ العارفين، للحافظ تقي الدين عبد الرحمن الواسطي تـ(٧٤٤)هـ بمطبعة محمد أفندي مصطفى سنة ١٣٠٥هـ.
- تعريف أهل الإسلام والإيمان بأنَّ محمَّداً ﷺ لا يخلو منه مكان ولا زمان، للعلامة برهان الدين الحلبي صاحب السيرة الحلبية تـ(١٠٤٤)هـ، هي رسالة ضمنها الشيخ يوسف النبهاني في كتابه جواهر البحار في فضائل المختار.
- تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار، للسيد محمد أبي الهدى الصيادي.
- تنوير الحلك في جواز رؤية النبي والملك، للحافظ جلال الدين السيوطي (٨٤٩ــ ٩١١)هـ دار جوامع الكلم ــ القاهرة.
- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق: الشيخ محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ــ بيروت.
- التاريخ الكبير، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري تـ(٢٥٦)هـ، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد-الدكن.
- الترغيب والترهيب، للحافظ المنذري، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت.
- التعريفات للجرجاني، تحقيق عادل أنور خضر، دار المعرفة ــ بيروت.

(ج)

- جامع كرامات الأولياء، للشيخ يوسف النبهاني تـ(١٣٥٠)هـ المكتبة العصرية ــ بيروت.

(ح)

- حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي تـ(١٢٥٠)هـ دار الكتب العلمية بيروت.
- حالة أهل الحقيقة مع الله، للإمام أحمد الرفاعي الكبير، تحقيق عبد الغني نكه مي، دار الكتاب النفيس.
- حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني تـ(٤٣٠)هـ دار الكتاب العربي ــ بيروت.

(ر)

- روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين، للإمام أحمد بن محمد الوتري تـ(٩٨٠)هـ، المطبعة الخيرية ــ مصر.
- الروضة الندية في تراجم سلسلة السلالة الطاهرة الأسعدية، للعلامة مصطفى أفندي رشدي الدمشقي، المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٩هـ.

(ز)

- الزهد الكبير، للبيهقي، تحقيق عامر حيدر، دار الكتب العلمية - بيروت.

(س)

- سماع وشراب عند أشرف الأقطاب (الشرف المحتم للسيوطي، وإجابة الداعي للبرزنجي، وسواد العينين للرافعي، وأشرف الأقطاب للسيد الرواس) جمع وتحقيق الشيخ عبد الحكيم عبد الباسط.
- سنن ابن ماجه، للحافظ محمد بن يزيد القزويني، تحقيق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر ــ بيروت.
- سنن أبي داود، للحافظ سليمان بن الأشعث، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- سنن الترمذي (الجامع)، للحافظ محمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث - بيروت.

- سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي تـ (٧٤٨)هـ، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط والشيخ محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة.
- سواد العينين في مناقب الغوث أبي العلمين، للإمام عبد الكريم الرافعي (٥٥٧ - ٦٢٣)هـ طبع بالمطبعة الميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣٠١هـ.

(ش)

- الشَّرف المحتَّم فيما منَّ الله به على وليِّه السَّيِّد أحمد الرفاعي ﷺ من تقبيل يد النَّبيِّ ﷺ، للإمام جلال الدين السيوطي تـ(٩١١)هـ ضمن مجموعة رسائل (سماع وشراب عند أشرف الأقطاب) للشيخ عبد الحكيم عبد الباسط.
- شعب الإيمان، للبيهقي،تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت.

(ص)

- صحاح الأخبار في نسب الفاطمية الأخيار، للسيد عبد الله محمد سراج الدين الرفاعي المخزومي، طبع بمطبعة محمد أفندي مصطفى سنة ١٣٠٦هـ.
- صحيح الإمام البخاري تحقيق خليل شيحا، دار المعرفة ــ بيروت.
- صحيح الإمام مسلم، دار الفيحاء ــ دمشق.

(ض)

- ضوابط المعرفة، للشيخ عبد الرحمن حبنكه، دار القلم - دمشق.

(ط)

- طبقات الأولياء، لابن الملقن تـ(٨٠٤)هـ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ــ بيروت.
- طبقات الشاذلية الكبرى، للشيخ الحسن بن محمد الفاسي المغربي تـ(١٣٤٧)هـ، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان.

- طبقات الشافعية الكبرى، للإمام السبكي تـ(٧٧١)هـ تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر ــ مصر.
- طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة تـ(٨٥١)، تحقيق: د. الحافظ عبد الحليم خان، دار عالم الكتب ــ بيروت.
- طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي. طبقات الأولياء، لابن الملقن تـ(٨٠٤)هـ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ــ بيروت. طبقات الحفاظ، للإمام السيوطي.
- طلبة الطلبة، للشيخ أبي حفص نجم الدين عمر النسفي تـ(٥٣٧)هـ المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد.

(ع)

- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي البصري تـ(١٧٠)هـ تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

(غ)

- غاية الاختصار في أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار، للسيد الشريف تاج الدين بن محمد زهرة الحسيني كان حيًّا سنة (٧٥٣)هـ دار الآفاق العربية ــ القاهرة.
- غاية التحرير في نسب قطب العصر غوث الزمان، للإمام عبد العزيز الدِّيريني تـ(٦٩٤)هـ ضمن (المراقب اليافعة في المناقب الرفاعية)، دار المشاريع ــ بيروت.

(ف)

- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للحافظ عبد الرؤوف المناوي، مكتبة مصر.
- الفجر الطالع في ذكر السيف القاطع للشيخ أبي اليمن محمد بن عبد الرحمن البتروني مفتي الحنفية بحلب تـ(١٠٤٦)هـ طبع بالمطبعة الخيرية ــ مصر سنة ١٣٠٩هـ

- الفردوس بمأثور الخطاب، للديلمي، تحقيق السعيد زغلول، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- الفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية للترمذي للمحدث الشيخ محمد بن قاسم جسوس تـ(١١٨٢)هـ طبع بمطبعة الجمالية ـ مصر سنة ١٣٣٠هـ.
- (ق)
- قاموس العاشقين في أخبار السيد حسين برهان الدين، للعلامة عبد المنعم العاني ثم الراوي تـ(١١٨٣)هـ طبع في بيروت بالمطبعة الأدبية سنة (١٣٠٢)هـ.
- قلادة النحر في شرح حزب البحر، للعلامة السيد أبي الهدى الصيادي، طبع بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٣١٥هـ.
- قلائد الجواهر، للعلامة محمد التاذفي (٨٩٩-٩٦٣)هـ، المطبعة الحميدية سنة (١٣٥٦)هـ.
- العقود الجوهرية في مدائح الحضرة الرفاعية، للأديب أحمد عزت باشا العمري الموصلي تـ(١٣١٠)هـ، طبع بمطبعة محمد أفندي مصطفى سنة (١٣٠٦)هـ ـ مصر.

(ك)

- كشف الخفاء، للعجلوني، تحقيق يوسف الحاج أحمد، مكتبة العلم الحديث.
- الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، تحقيق يحيى غزاوي، دار الفكر - بيروت.
- الكليات الأحمدية المؤلفة من كلمات الإمام الرفاعي غوث البرية، للسيد أبي الهدى الصيادي، طبع بمطبعة الواعظ بمصر.
- الكنز المطلسم في مد يد النبي لولده الغوث الرفاعي الأعظم، للعلامة السيد محمد أبي الهدى الصيادي، تحقيق: شرف الدين حسن عبد الباسط، دار البشائر ـ دمشق.

- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (الطبقات الكبرى والصغرى)، للحافظ عبد الرؤوف المناوي تـ(١٠٣١)هـ تحقيق د. محمد أديب الجارود، دار صادر ــ بيروت.
- الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والأخرة، للشيخ أبي الفضل عبد القادر بن الحسين بن مغيزيل الشاذلي، فرغ من تأليفه سنة (٨٩٤) هـ، دار جوامع الكلم ــ القاهرة.

(ل)

- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر ــ بيروت.
- لواقح الأنوار في طبقات الأخيار (الطبقات الكبرى)، للإمام عبد الوهاب الشعراني، تحقيق سليمان صالح، دار المعرفة ــ بيروت.

(م)

- مختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي تـ(٦٦٦)هـ المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت.
- مجمع الزوائد، للحافظ نور الدين علي الهيثمي تـ (٨٠٧)هـ مؤسسة المعارف ــ بيروت.
- مختصر أخبار الخلفاء، للمؤرخ العلامة علي بن أنجب المعروف بابن الساعي تـ(٦٧٤)هـ، المطبعة الأميرية ببولاق المحمية سنة ١٣٠٩هـ.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، للإمام اليافعي تـ(٧٦٨) هـ، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية- بيروت.
- مراحل السالكين، للإمام محمد مهدي بهاء الدين الرواس، تحقيق: أحمد جحا أبي الهدى، دار البيروتي ــ دمشق.

- مسند الإمام أبي يعلى أحمد بن علي الموصلي، تحقيق إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل تـ(٢٤١)هـ بيت الأفكار الدولية.
- مسند البزار، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.
- مسند الشهاب، للقضاعي، تحقيق حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- مصباح الأنام وجلاء الظلام، للشيخ السيد علوي بن أحمد الحداد (١٢٣٢)هـ.
- مصباح الزجاجة، للشيخ أحمد الكناني البوصيري، تحقيق محمد الكشناوي، دار العربية ــ بيروت.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
- معراج التشوف إلى حقائق التصوف، الشيخ أحمد بن محمد ابن عجيبة، ضبطه وعلق عليه: محمود بيروتي، دار البيروتي ــ دمشق.
- موسوعة كشاف اصطلحات الفنون والعلوم، للباحث العلامة محمد علي التهانوي، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون.
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ــ بيروت.
- المسلسل، للعلامة السيد أسعد المدني الحسني مفتي المدينة المنورة (١٠٥٠-١١١٦)هـ المطبعة الخيرية ــ مصر سنة (١٣٠٩)هـ.
- المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، للإمام أحمد عز الدين الصياد، تحقيق الشيخ عاصم جهدو، والشيخ عمر الرحمون، دار الفرقد ــ دمشق.
- المعجم الأوسط، للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق الحسيني، دار الحرمين ــ القاهرة.

- المعجم الكبير، للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم ـــ الموصل.

(ن)

- نزهة المجالس ومنتخب النفائس؛ للشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي تـ(٨٩٤)هـ، تحقيق: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية ـــ مصر.
- نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض للشيخ شهاب الدين أحمد الخفاجي المصري تـ(١٠٦٩)هـ ضبطه وقدم له وعلق عليه محمد بن عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان.
- نفحات الأنس من حضرات القدس، للشيخ عبد الرحمن الجامي تـ(٨٩٨)هـ من مطبوعات الأزهر الشريف.
- نفحات الرضا والقبول في فضائل المدينة وزيارة سيدنا الرسول ﷺ، للشيخ أحمد الحضراوي تـ(١٣٢٧)هـ تحقيق: د. محمد زينهم محمد عزب، دار غريب ـــ القاهرة.
- نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار ﷺ، للشيخ مؤمن الشَّبَلَنجي (١٢٥٢ بعد ١٣٠٨)هـ، دار الفكر.
- نور الإنصاف في كشف ظلمة الخلاف، للسيد أبي الهدى الصيادي، تحقيق الشيخ عبد الحكيم عبد الباسط.
- النجم الساعي في مناقب القطب الكبير الرفاعي، للشيخ أبي بكر العيدروس العدني (٨٨٠-٩١٤)هـ، الطبعة الثانية (١٩٧٦)م، بنفقة عبد الرحمن علي يوسف من جزر القمر.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، للشيخ جمال الدين بن تغري، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، وأ. فهيم محمد شلتوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- النفحات الهدائية على ورد السادة الأحمدية، للشيخ محمد نوري أفندي آل المفتي الأريحاوي، فرغ منه سنة (١٣١١)هـ طبع بمطبعة جريدة البصير بالإسكندرية سنة (١٣١٦)هـ.
- النفحة المسكية في السلالة الرفاعية الزكية، للحافظ عز الدين الفاروثي تـ (٦٩٤)هـ طبع في الأستانة سنة ١٣٠١ هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، عناية رائد بن صبري، بيت الأفكار الدولية.

(و)

- الوافي بالوفيات، للشيخ صلاح الدين الصفدي تـ(٧٦٤)هـ تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لشمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ــ بيروت.



فهرس المصادر والمراجع المخطوطة

- جلاء الصدى في سيرة إمام الهدى، للشيخ أحمد بن جلال اللاري المصري الحنفي تـ(٩٠٠)هـ، مخطوط تاريخ النسخ ١١٠١هـ.
- خبايا الزوايا، للمفتي الشيخ حسن العجيمي (١٠٤٩ ــ ١١١٣)هـ (مكتبة الحرم المكي الشريف رقم ٧).
- روضة الأعيان في أخبار مشاهير الزمان، للعلامة محمد بن أبي بكر علي بن عبد الملك بن حماد الموصلي الرفاعي المتوفى بعد سنة (٧٥٠)هـ مخطوط (مكتبة الأسد ــ دمشق رقم ٥١٩٦.
- عقود اللآل في تراجم السادة الأحمدية أعيان أهل الكمال، مخطوط للإمام تاج الدين أبي بكر بن محمد الأنصاري تـ(٩٦١)هـ، والتي تمَّ تحريرها سنة (٦٩٠هـ.



فهرس الموضوعات

محتوى الفهارس

